منير العَكش

أميركا والإبادات الجنسية

٤٠٠ سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض



منير العكش

أميركا والإبادات الجنسية

٤٠٠ سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض



أميركا
والإبادات الجنسية

The American Eugenicide

400 years of wars against the poor and the weak

Munir Akash

First Published in July 2012

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 535 - 8

الطبعة الاولى: تموز (يوليو) ٢٠١٢

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

محتويات الكتاب

مقدمة
«تعقيم ١٤ مليون أميركي»

«ليس الهولوكست الأميركي تاريخاً مضى وانقضى إنه واقع يعيشه العالم، وإنه خطر يهدد مستقبل الإنسانية بمصير الهنود الحمر».

وينونا لا دوك Winona LaDuke

المرشحة لمنصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٩٦

«تعقيم ١٤ مليون أميركي»؛ بهذا العنوان صدرت صحف ومجلات امبراطور الإعلام وليم هيرست William Hearst في أواخر سبتمبر/أيلول ١٩١٥، منذرةً بخطر الحرب الأميركية على المستضعفين في الأرض وتدمير نسلهم في الأرحام، ومحذّرةً من أن الطبقات الحاكمة ترسم مستقبل أميركا والعالم بالدم. ثم في ١٤ أكتوبر/تشرين الأول كتبت صحيفته *San Francisco Daily News* إفتتاحية بعنوان: «من أين نبدأ؟ Where to Begin?» جاء فيها :

ملايين السيدة هاريمان Harriman أرملة متعهد السكك الحديد، مضافةً إلى ملايين روكيفلر Rockefeller وكارنيغي

Carnegie ستُخصص لتعقيم مئات آلاف الأميركيين من «ضعاف العقول» سنوياً، بهدف تحسين النسل! صحيح أننا لا نعرف ماذا ستفعل ملايين هؤلاء الموسرين المتنفذين للناس العاديين، لكننا نعرف أن أموالهم تشتري حكومات الولايات المتحدة، وتخرق الدستور، وتحتفظ بسلاح خاص لقتل الرجال والنساء والأطفال. وإذا استسلمنا لمثل هذا الجنون فإننا لن نتفاجأ أبداً إذا ما شرَعوا يوماً في تعقيم كل من يكرهون من البشر.. [ثم تتساءل الإفتتاحية]:مَن الأخطر؟ ومن الأَولى بنا تعقيمهم والتخلص منهم؟ أهؤلاء الفقراء المتهمون بضعف العقل، أم الذين تورطوا في برنامج هاريمان ـ روكيفلر ـ كارنيغي للتعقيم، والمتّهمون أيضاً بجشع وحشي إلى تكديس المزيد من الملايين؟ أليس هؤلاء أكثر خطراً؟.. لنبدأ أولاً بفحص الخلل العقلي لدى أبناء أصحاب المليارات. ولنبدأ بتعقيم مَن سيعود تعقيمهم بالخير على المجتمع».

قرأت هذه الافتتاحية منذ سنوات طويلة، لكنها لم تستيقظ في ذاكرتي إلا قبل حوالي سنتين عندما كنت أبحث عن وثائق «الدولة» التي وعدت الحكومةُ الأميركية بإنشائها للهنود الحمر غرب الميسيسيبي. يومَها، وبالمصادفة، عثرت على وثيقة من ١٠٧ صفحات وضعها الدكتور هنري كيسنجر عام ١٩٧٤حين كان مستشاراً للأمن القومي، ووجَّــه منها نسخاً إلى وزير الدفاع، ووزير الزراعة، ومدير الاستخبارات المركزية، ووكيل وزارة الخارجية، ورئيس موظفي البيت الأبيض، مع ملاحظة: «أنْ لا تُرفع السرية عن هذه الوثيقة إلا من قِبل البيت الأبيض».

هذه الوثيقة التي أشارت في سطرها الأول إلى أنها وُضعت بتوجيه من الرئيس جيرالد فورد، تَرسم، بدم بارد، خطة لتعقيم وقطع دابر نسل نساء ١٣ دولة في العالم الثالث بينها مصر، وذلك في مهلة لا تزيد عن ٢٥ سنة.

بعد أقل من ثلاثة أعوام (١٩٧٧)، كشف الدكتور رايمرت راڤنهولت Reimert Ravenholt، مدير مكتب الحكومة الاتحادية للسكان التابع للوكالة الأميركية للتنمية الدولية، عن تورط جامعتي واشنطن وجونز هوبكنز في هذا البرنامج، وعن بدء الحكومة الفيدرالية بالإجراءات العملية لإطلاقِه، فرصدت الميزانية الكافية لتأمين الشروط والوسائل اللازمة لتعقيم ربع نساء العالم القادرات على الحمل (وهن في تقديره ٥٧٠ مليون امرأة) وقطع دابر نسلهن إلى الأبد.

في تلك الفترة التي كانت فيها الولايات المتحدة تخوض حربها الصليبية على الشيوعية، كانت الإدارات الأميركية المتعاقبة ترى أن جرثومة الشيوعية تكمن في التفجر السكاني وما يستتبعه من فقر، وأن القضاء على الشيوعية لا ينجح بالقضاء على الفقر بل بالقضاء على الفقراء واستئصال الأرحام التي قد تحملهم .

هذه المذبحة الخفية لنسل الملايين من الفقراء والمستضعفين داخل أميركا وخارجها هي موضوع هذا الكتاب. فهي لم تبدأ مع كيسنجر، ولم تتوقف مع انهيار الاتحاد السوفياتي، بل لعلها بلغت أوج سعيرها اليوم في عهد الرئيس الحالي باراك أوباما. وهي في النهاية، كما سيرى القارىء، وجه آخر لثقافة الإبادات التي عاشت عليها فكرة أميركا المستمدة من فكرة إسرائيل التاريخية: فكرة

احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ. في إطار هذه الفكرة انتحل الغزاة الانكليز لأنفسهم صفة الشعب المختار، واعتبروا أنفسهم بذلك إستثناء وجودياً يحتكر لنفسه الاضطلاع بإرادة الله، ويختص وحده بتنفيذها، ولا تخضع معاملته للشعوب الأخرى للقوانين الأخلاقية أو الإنسانية أو المبادىء العقلية، بل يحكمها ما نسجه العبرانيون من أساطير عن تجربتهم مع الكنعانيين.

منيـر العَكش
بوسطن، ٢١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١

ملاحظات

١ ـ أتمنى من المخلصين في العزيزة الغالية مصر فتحَ تحقيق في اتفاقيات النظام البائد مع الوكالة الأميركية للتمية الدولية USAID بخصوص سياسات التعقيم التي انتهجها والتي تتستر أحياناً وراء شعارات براقة مثل تحسين الأسرة، أو التنظيم العائلي. فقد كشفت التحقيقات في البلدان الأخرى التي شملها برنامج كيسنجر عن فواجع يمكن وصفها بأنها جرائم ضد الإنسانية كما سنرى في صفحات الكتاب.

٢ ـ في الحواشي شواهد وشروحات كثيرة ومستفيضة أحياناً، فضّلتُ أن أعزلها عن نص الكتاب لتبسيطه وتيسير قراءته، وهي بمجملها كتاب رديف لا غنى للباحث والقارىء المتعمق عنه.

٣ ـ لا يوجد على الأرض نوع آخر غير الإنسان يمارس العلم. فالعلم اختراع بشري صرف، وقد تطور لأنه يؤدي عمله أداء جيداً، ولأنه يصحّح نفسه ويتقدم باستمرار. وهذا ما هيّأ للإنسان أن ينتقل من رحم أمه مباشرة إلى رحم من هدايا العلم ونِعَمه وعطاياه التي كادت تضاهي عطايا الطبيعة. صحيح أنه ليس كاملاً، وأن هناك كثيراً من الأيديولوجيات والأصوليات

والدول التي أساءت استخدامه، ووظفته للشر، وهددت به الإنسانية (كما سيرى القارىء في صفحات الكتاب)، لكنه في النهاية بريء من نزعة الشر التي ابتذلته واستثمرته استثماراً شنيعاً. لذا أتمنى على القارىء أن لا يتصور بأن هذا الكتاب يتهم العلم بما ليس فيه أو يأخذه بجريرة الأصوليات والأيديولوجيات والدول التي جعلت منه سلاحاً لجرائمها.

٤ ـ للبريطانيين على طرفي المحيط الأطلسي عدد من الأصول العرقية المزعومة، منها القوقاز Caucasian، والتيوتون Teutonic، والآريان Aryan، والشماليون Nordic، والفايكنغ Vikings، والجرمان German، والسكسون Saxon، والسلت Celts، والطرواديون Trojans، والقوط Jutes، والإسرائيليون Israelites، والملائكة Angles (التي يقال إن منها اسم إنكلترا England والإنكليز). وهي كلها أصول ملتبسة ومشكوك في صحتها، ولا تتوافر عليها أدلة علمية غير ملفقة. لهذا، وتجنباً لِلَّبس، فقد استعضت عن هذا الحساء العرقي، عند الضرورة، باصطلاح يتداوله الأميركيون في الأكاديميا والإعلام والثقافة الشعبية لأبناء كل هذه الأصول ولمن «دخل في دينهم»، وهو: الزنابير WASPs، (المستمد من الحروف الأولى لكلمات أربع هي «البيض Whites الأنكلو Anglo ـ سكسون Saxon، البروتستانت Protestants) وهنا لابد من التأكيد على أن هذه كلمة لا تقتضي مدحاً ولا ذماً، وسأستخدمها بهذا المعنى كلما اقتضى الأمر.

تأليه الجشع

«سيأتي زمن على الأعراق المتحضرة تُبيد فيه الأعراقَ الهمجية، وترثُ منها الأرض حتماً».

تشارلز داروين(*)

«انتشار الأنكلوسكسون في الأرض توسيع لمملكة الله... وإذا اقتضى الأمر فليكن على جثث الأعراق الضعيفة».

تشارلز كِنغسلي (مؤرخ وروائي بريطاني)(**)

ما أن تخرج من محطة «پارك ستريت» إلى إحدى أجمل حدائق بوسطن حتى تَصدمَ عينيك امرأةٌ تظنُّها للوهلة الأولى كيسَ قمامةٍ من البلاستيك الأسود؛ امرأةٌ سِتينيّةٌ هَرَأها الفقر والجوع، وحَطّها النوم في العراء، وبرى لسانها الاستجداء. ما زالت منذ رأيتُـها أول مرة، قبل سبع سنوات، تجلس وسط أسراب الحمام الزاجل، مُجَلبَبةً مُقبّعَةً

(*) Charles Darwin, *The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex* (Chicago: Rand McNally, 1874), p. 152.

(**) Charles Kingsley, *His Letters and Memories of His Life*, ed. Fanny Kingsley (London, 1877), vol.1, pp. 222-223.

بهذه الأكياس البلاستيكية التي تزداد طبقاتها شتاءً وتتناقص صيفاً. إلى جانبها عربة معدنية صغيرة من عربات المخازن، كدَّسَت فيها كلَّ أعاجيب الصومال الأميركي.

على الطرف الآخر من الحديقة العامة قبة تاريخية مهيبة مطليّة بالذهب الخالص، تعلو قصرَ حاكم الولاية ومجلسها التشريعي منذ العام ١٧٩٨. كل نوافذهم تشرف من علياء هذا القصر على الحديقة والمقبرة الاستعمارية المجاورة وعلى ما في الحديقة والمقبرة من موتى أحياء وأحياء موتى. ومنها لا بد للحاكم والمشرّعين من أن يروا هذه الشقية البلاستيكية، ويروا ـــ لو كانت لهم عيون مختلفة ـــ أمّةً من المخلوقات البلاستيكية يفترشون أرض الحديقة ومقاعدها الخشبية في حر الصيف وثلج الشتاء، ويبحثون عما يسدّ رمقهم في أكياس القمامة المرمية على أبواب المباني المجاورة.

والمشهد من نوافذ البيت الأبيض، لمن يعرف واشنطن جيداً، لا يختلف كثيراً. فالعوالم في هذه الحدائق التي تطل عليها نافذة القيصر لا تقلّ تناقضاً وغرابة، ولا تغايِر ما يعجّ من دمامات موجعة في الدهاليز السفلى للحياة الأميركية. هنا في هذه الظلمات المغمَّسة بالفقر، تحيا إمبراطورية أخرى لطالما دفعت فيها أحابيلُ «ثروةِ الأمم» كثيراً من الطالبات، اللواتي لم يجدن عملاً بعد تخّرجهن، إلى بيع أجسادهن حتى يسددن للمصارف أقساط دراستهن وما ترتب عليها من ربا فاحش [١]. وهنا، قريباً جداً من عرش الإمبراطور، قضى غول النظام الربوي على إحدى مساعِدات وزيرة الخارجية، حين عجزت عن تسديد ديون دراستها الجامعية، لِتغدو ما يسمى في عجرفة الأدبيات الأميركية «نجمة عهر» porn-star [٢].

ولا يحتاج المرء إلى كثير من الخيال كي يدرك غَوْر هذا الجرح في بلد حيثُ ينشب الرّبا مخالبه في لحم الإنسان من مهده إلى لحده، ويعيش فيه أكثر من أربعين مليون إنسان فقيراً أشعث أغبر، هُمْ بالتأكيد أسوأ حالاً وأشد عوزاً من «نجمة العهر» في بلاط القيصر[٣].

ولكن، إذا كانت هذه القوة العظمى تصبّ أنهاراً من الثروات على جهنم حروبها التي لم تنطفىء نارها منذ أربعة قرون، أو يخبُ سُعارها في يوم من الأيام، فلماذا لا يزال فيها ٤٤ مليون إنسان لا يملكون ما يستطيعون أن يشتروا به قوتاً لأنفسهم وأطفالهم؟[٤]. هل لأنها مصابة بالإدمان على الحروب وزهق الأرواح، أم لأنها تعيش بمنطق عجيب يرى أن الفقر جرثومةً في الدم أدهى من الخطيئة الأُصلية يتوارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء، ولا علاج لها إلا بالقضاء على الفقراء والمستضعفين ونسل الفقراء والمستضعفين؟ ربما، فكل تاريخ هذا العجل الذهبي المعبود «كان حرباً على الفقراء والمستضعفين»، كما يصفه هربرت غانس Herbert J. Gans أحد أبرز علماء الإجتماع الأميركيين في كتاب له بهذا العنوان[٥]. إنها حرب قتل هستيريّ مباشر، لكنها في أغلب الأحيان قتل للأرواح والفُرَص، ومفاقَمةٌ لبؤس المعوزين وذوي الحاجات، وتسعير لنار الكراهية والحقد على الفقراء والمستضعفين. وهي أيضا حرب إهاناتٍ وزِرايات وقذف وشائعات، تتهم الفقراء بفساد الدم وسوء الطوية وتنغيص عيش الآلهة، وتلومهم على ما يشكون منه ويعانون، بل وما يشكو منه المجتمع الأميركي ويعاني، وتدعو إلى القسوة في معاملتهم، وترميهم بأنهم «لا يستحقون» undeserving المساعدة ولا يستأهلون الشفقة والإحسان لأنهم «بلا أخلاق»! كذلك يعرض غانس فلسفة الحرب التي تشنها ضواري «ثروة الأمم» على الفقراء والمستضعفين في أربع نقاط:

أولاً، إنهم شذوا بسلوكهم عن طريقة الحياة الأميركية السائدة واعتنقوا قيماً بذيئة، فصاروا يُعرفون بالذين «لا يستحقون undeserving» [المساعدة والإحسان].

ثانياً، إنهم «لا يستحقون» لأنهم كسالى صرفوا وجوههم عن العمل، وما قَدروا أهميتَه ومتطلباتِه حق قدرها. وهذا ما جعلهم مجرمين خطرين على أنفسهم وأهليهم والعالم من حولهم.

ثالثاً، نساء هؤلاء موبوءاتٌ بنزعةٍ رذيلةٍ إلى النكاح المبكر وإنجاب الأطفال وهنّ مراهقات. ولو أنهن انتظرن حتى يكبرن ويعملن لدفعن عن أنفسهن وأطفالهن غائلة الفقر.

رابعاً، إذا لم يغيروا قيمهم وسلوكهم فلا بد من إرغامهم على ذلك بكل الوسائل الممكنة(٦).

مع انتصار أخلاق الجشع في غابة «ثروة الأمم» حُشِرَ الفقراءُ في معسكرات الأعراق والجماعات التي أحلّت «فكرةُ أميركا»(٧) استئصالهم هُمْ وذراريهم. وبالقضاء المبرم لأخلاق الجشع، مُنِعَ مئات آلاف الأميركيين في العقود الستة الأولى من القرن العشرين من الإنجاب قسراً وكَرهاً، بسبب فقرهم أو أصولهم العرقية.

كان الهدفُ المُلِحّ تعقيمَ ١٤ مليون فقير مستضعف يُعرفون بالمِعشار الدنيّ the lower tenth من المجتمع الأميركي، وقطعَ دابر نسل الملايين من الشعوب الأخرى خارج أميركا، ما أمكن ذلك. هكذا أُجبر الكثيرون على التعقيم، وحرموا من الزواج، وسيق من سيق منهم إلى المصحات العقلية حيث ماتوا بأعداد كبيرة(٨).

هذه الحرب على الفقراء والمستضعفين ونسل الفقراء والمستضعفين،

لم يخضها جيش، ولم يُثَر فيها نقع، أو يُطلَق فيها رصاص، بل كانت وما زالت حربَ القفّازات الناعمة البيضاء في أيدي الجراحين، وحرب العلماء وأساتذة الجامعات والصناعيين الأغنياء وفقهاء القانون وقدّيسي النقاء العرقي، وكان هدفها وما زال تكنيس الأرض من فقرائها وضعفائها وأجناسها اللعينة.

في جبال بْرَش Brush مثلاً، كان ضابط الشرطة في كل يوم يتسلى باعتقال من يستطيع من جماعة فقيرة أطلقت عليها ولاية ڤرجينيا اسم «القمامة البيضاء» White Trash، ثم يزربهم ليشحنهم في مجموعات إلى مستشفى Western State في مدينة ستونتون Staunton، الشهير بأنه مأوى للمجانين أو ما يسمى بالمعتوهين البلهاء أو ضعاف العقول feeble-minded، يديره الدكتور فرانسيس ستريبلنغ Francis T. Stribling أحد مؤسسي الرابطة الأميركية للأطباء النفسانيين. لم يكن أحد يعرف ما المقصود بالمعتوهين البلهاء ـ هذا التعبير الحربائي المفتوح على كل بحار السردين البشري. لكن سلطات هذه المنطقة الجبلية الساحرة التي كان أهلُها الهنود (الحمر) يشتارون من مناحلها أطيب العسل كانت على يقين من أن عقول كل مَن في جبال بْرَش معطوبة لأنهم فقراء. لهذا يُحَرّمُ عليهم إنجاب كائنات على شاكلتهم. «فجرثومة الفقر والفساد الأخلاقي تجري في الدم ولا بد من القضاء عليها كما ينبغي القضاء على الطاعون»[٩].

كان المراهقون والمراهقات من هؤلاء الفقراء المستضعفين يُسلّمون أعضاءهم التناسلية لمباضع الجراحين دون أن يعرفوا أي مذبحة أُعِدّت لنسلهم وذراريهم. وكان يقال لهم، مثلاً، إنهم بحاجة إلى استئصال الزائدة الدودية، أو يُؤكلون بأعذار مخادعة تصاغ بلغة

الرحمة والعطف ودموع «ثروة الأمم» السخية. لهذا لم يكتشف الكثيرون منهم لغز عقمهم إلا بعد عقود طويلة عندما افتُضِحَت الحقيقة في تقارير المحققين ــ كما في الفيلم الوثائقي الذي أخرجه الكاتب والمنتج السينمائي الإنساني ستيفن ترومبلي Stephen Trombley بعنوان «قصة [مِصَح] لينشْبيرغ». كان هذا المصح التابع لولاية ڤرجينيا أشبه بمسلخ جنسي يضم الآلاف من المغضوب على نسلهم وذراريهم. وكان وراء ذلك رجال أعمال متنفذون، ورسميون كبار مثل رئيس المحكمة العليا وِندِل هولمز Wendell Holmes الذي قال في تبرير ذلك:

> أوْلى بنا أن نقتلَ هؤلاء المنحطين في الأرحام لنتجنّب إعدامهم بعد ذلك عندما يُخلقون ويصبحون مجرمين أو فقراء معوزين يجوعون بسبب غبائهم[١٠].

أما صحف المنطقة فتذكر أن معظم فقراء هذه الجبال وضواحي البلدات الصغيرة وأحزمة الفقر حول المدن الكبيرة قد عُقّموا جماعياً، حالُهم في ذلك حال السود والهنود الحمر الذين تتلقفهم هذه «الآلة» العملاقة بالآلاف يومياً[١١].

ويروي الضحية بَكْ سميث Buck Smith [اسم مستعار لرجل خجل من ذكر اسمه الحقيقي] ما جرى له عندما حُمَّ عليه القضاءُ في لينشبيرغ، يوم كان في الخامسة عشرة من عمره:

> بالطبع، أنت تعرف أن وقتَك قد حان. كل واحد منا كان يعرف هذه الحقيقة. بل إن بعضنا تندَّر بها وجعلها نكتة ومناسبة للضحك. لم نكن بالسن التي تسمح لنا بإدراكها أو التفكير فيها. ولم نكن نعرف ماذا تعني. كل ما كنت أعرفه

> هو أن وقتي حان... كنت في المهجع حين نادوني، فعرفت أنهم مستعدون لي الآن...لم تكن المقاومة مجدية، فقد ألقموني بضع حبات مخدِّرة خبلتني وأفقدتني وعيي، ثم نقلوني إلى غرفة العمليات. وأذكر أن الطبيب هارِل Dr. Harell قال لي عندما صحوت: «إسمع يا بَك. سوف أربط ذَكَرَك، وبعدها، ربما تستطيع العودة إلى البيت»(١٢).

كل جريمة بَكْ أنه فقير، ولأنه فقير، حكمت عليه ولاية ڤرجينيا بأنه معتوه أبله ضعيف العقل غير قادر على العناية بنفسه. كانت سلطات الولاية تدَّعي بأن السماح له بالإنجاب يعني أن نسله سيرث عنه فقره ومرضه العقلي. إذْ تبنت سلطات الولاية المزاعم «العلمية» بأن أساس الفقر هو خللٌ بيولوجي أدهى من الخطيئة الأصلية، ينتقل من جيل إلى جيل عبر الخلايا الوراثية.

نعم. كان «بَكْ» فقيراً، لكنه لم يكن معتوهاً كما حكمت عليه الولاية. فحين اكتشف الحقيقة وسنحت له فرصة الكلام خرج على الملأ وقال أمام وسائل الإعلام(١٣):

> لا عيبَ فيَّ سوى الفقر وقلة التعلّم. إنني لا أستطيع أن أفهم لماذا استأصلوا نسلي، ولن أستطيع أن أفهم ذلك أبداً. لقد اقتطعوا جزءاً ثميناً من حياتي.

ضحية أخرى اسمها ماري دونالد Mary Donald تروي قصة تعقيمها في لينشبيرغ وهي تتحشرج بالكلمات. كانت يومها في الحادية عشرة من عمرها. ولما تزوجَت لم تعرف لماذا لم تستطع الإنجاب، فطلقها زوجها بعد ١٨سنة من زواجها. قالت ذلك ثم أجهشت بالبكاء وهي تتحدث عن يوم تعقيمها:

سألني الطبيب: «هل تعرفين لماذا أنت هنا؟»، فقلت: «لا... لا أعرف!»، قال: «إنك هنا من أجل عملية جراحية كبيرة، وإنها من أجل صحتك». هذا هو الأسلوب الذي عبّروا لي به عما حدث. لذلك قلتُ: «إذا كان الأمر يتعلق بصحتي فأنا موافقة».[١٤]

الفقر والغنى: معادلات مَنَويّة

«أَوْلى بنا أن نقتل هؤلاء المنحطّين في الأرحام لنتجنّب إعدامهم عندما يُخلقون ويصبحون مجرمين أو فقراء معوزين يجوعون بسبب غبائهم.

وِندل هولمز Wendell Holmes
(رئيس المحكمة العليا).

«أرحم ما تفعله الأسرة الكبيرة لواحد من أطفالها أن تقتله»!

مرغريت سانغر Margaret Sanger
(من نجوم «الداروينية الاجتماعية» في أميركا)

على الصعيد الاجتماعي، فرَّخَت الحرب الأميركية على الفقراء والضعفاء في القرن العشرين حركاتٍ ومؤسساتٍ وتياراتٍ فكريةٍ وأكاديمية نشطت تحت أسماء مختلفة، وتسلّحت أدبياتها بكوابيس توماس مالتوس Thomas Malthus وعصبيات «الداروينية الاجتماعية» Social Darwinism. فالعالِم الأنثروبولوجي ثيودور لوثروب ستودارد Theodore Lothrop Stoddard المعروف بمعادلاته للهجرة غير الأنكلوسكسونية من أوروبا وبلاد الشام وغيرها، مثلاً، يعترف بأن

هدف هذه الحرب على جبهة التعقيم والإخصاء في الولايات المتحدة هو أن نصنع من الأمة الأميركية جنساً بشريّاً أعلى بكل ما يعنيه تعبير «الجنس الأعلى» من قوة وثراء ونبوغ وسيطرة؛ جنساً يتمتع بتفوق بيولوجي على كل ما عداه(١٥).

في كتابها **محور الحضارة** الذي قدّمه لها أبو الخيال العلمي H. G. Wells، تصف مبدعة تعبير «تحديد النسل» مرغريت سانغر Margaret Higgins Sanger الفقراء بأنهم «قمامة بشرية»، وتدعو إلى إغلاق جمعيات الخير والإحسان التي تمد لهم يد العون لهم لأنهم «سينجبون جيلاً مثلَهم خطِراً على المجتمع وعلى الإنسانية». كذلك تعزو سانغر فقر الفقراء إلى ضعف عقولهم وإلى غباء متأصل في دمهم وخلاياهم، وتقول: «ليس ثمة لعنة على الأجيال المقبلة أدهى من توريثها مزيداً من الأغبياء»(١٦).

قراءة سريعة لسيرة هذه المرأة الرحيمة، التي تُعتبر نجماً متألقاً من نجوم المجتمع وعَلَماً مِن أعلام الداروينية الاجتماعية في الولايات المتحدة، تكشف عن ينابيع أفكارها النبيلة عن الفقراء والضعفاء وكل من نسبتهم إلى الغباء: فقد حملت أمُّها بثمانية عشر طفلاً لم يعش منهم سوى أحد عشر، ثم ماتت بالسل والسرطان، واضطرت هي للعناية بإخوتها وأخواتها. أما أبوها الذي ألهمتها مهنته بالكثير فكان يكسب قوته من نقش شواهد القبور(١٧). ولكن بدلاً من أن تنحو بلائمتها على الفقر والظلم الاجتماعي وتثور عليهما، إنهالت بلعنة الموت على الفقراء والضعفاء ونسل الفقراء والضعفاء، فكانت من أنشط دعاة التعقيم الانتقائي في الولايات المتحدة، حتى إن كتابها «المرأة والعِرق الجديد» أهّلها لأن تكون واحداً من أبرز من ترك بصماته الاجتماعية على الحياة الأميركية في القرن العشرين(١٨).

لعل أوضح هذه البصمات الاجتماعية مطالبتها بتعقيم عاجل لكل السود والهنود والطبقات الفقيرة، وبِحَجْرٍ كامل على نسائهم في سن الخصوبة، بالتدليس والكذب. وفعلاً، فقد كتبت في رسالة إلى كلارنس غامبل Clarence Gamble صاحب شركة پروكتر أند غامبل Procter & Gamble وأحد مموّلي حملة التعقيم الوطنية: «لا نريد أحداً أن يعرف أننا ننوي القضاء على الزنوج». كذلك بذلت نفسها ونفيسها لتعقيم كل نساء مستعمرة پورتوريكو. ومن تعابيرها الشهيرة: «مِن أرحم ما تفعله الأسرة الكبيرة لواحدٍ من أطفالها أن تقتله»[١٩].

قدّمت الداروينية الاجتماعية لصناديد «ثروة الأمم» مبررات علمية وأخلاقية مغرية لحربهم على الضعفاء والفقراء، وأمدّتهم بحجج جديدة للإيمان بالضرورات الوجودية لصناعة عرق أميركي أسمى متفوق بالطبيعة على الأعراق والطبقات الدنيا من البشر الذين «تسوقهم خلاياهم الوراثية إلى الانقراض الحتمي»[٢٠]. كذلك فإنها جددت دماءَ «فكرة أميركا» حين كست لاهوتَها الپيوريتاني برداء العلم، فصار احتلالُ أرض الغير واستبدالُ شعب بشعب وثقافةٍ بثقافة عملاً اقتضاه التطور الطبيعي ووجهاً علمياً للدعاوى اللاهوتية المستمدة أصلاً من فكرة إسرائيل الأسطورية.

صحيح أن الداروينية الاجتماعية سبقت داروين وعصره[٢١]، لكن التعسف الفاجر في استخدام مذهب داروين هو الذي مهد السبيل للتسويغ «العلمي» لأفكارها[٢٢]. ففي غلواء العصر الاستعماري السافر وعجرفة صناعة الموت في القرن التاسع عشر، فتَحتْ الداروينيةُ على الشعوب الضعيفة باب جهنم حين وضعت للرجل الأبيض إنجيلاً طبيعياً لعبادة الـذات، وحين صاغت مشروعيةً علمية وأخلاقية

للتطبيق العنصري لمبدأ «القوة هي الحق» might is right الذي امتصت به «ثروةُ الأمم» رحيقَ الأرض، وعاشت عليه «فكرة أميركا» بصيغتها اللاهوتية العبرانية الفجّة منذ بداية الغزو البريطاني لأميركا الشمالية.

قبل داروين والداروينية الاجتماعية وبعدهما، وقبل أن تُبتلى ألمانيا النازية بالأمراض والعاهات الأميركية، كانت بريطانيا ورعاياها في شمال أميركا وأستراليا أرضاً خصبة لكل آفات العنصرية وأخلاق الجشع وعبادة الذات. يقول الجّراح البريطاني شارلز وايت Charles White المشهور بنظريته عن تعدد أصول الأعراق البشرية وعدم نسبتها كلها لآدم واحد: «إن السود لا ينتمون إلى جنس البشر الذي ينتمي إليه البيض». وفي التسبيح بحمد الإنسان الأبيض الذي خلقه الله من طينة مُطهَّرَة خاصة مختلفة عن طينة الأعراق الضعيفة، يقول:

«أين تجد في غير أوروبا مثل هذا الرأس الهلالي النبيل الذي يحتوي على هذا القدر الهائل من الدماغ...؟ أين تجد مثل هذا الوجه الأشم والأنف الناتىء الجميل والذقن النابذ المستدير؟ أين تجد مثل تلك الملامح الغنية المشبعة بالمعاني، أو أمواج الشعر الناعم المنساب، أو تلك اللحية الجليلة والوجنات الوردية والشفاه المرجانية؟ في أي بقعة من الأرض غير أوروبا تجد مثل هذا التورّد المنداح في قسمات الغيد الحسان المفعمة بالرقة واللطف والأحاسيس المرهفة والمعاني؟ هل تجد في صدورٍ غير صدور نساء أوروبا نهوداً بضةً ريانة ناصعة البياض ومتوجة بالقرمز؟»[٢٣].

مع بداية ذلك القرن بدأ الإنكليز على طرفي المحيط الأطلسي بإنعاش

تعبير «الزنابير WASPs (البيض الأنكلوسكسون البروتستانت) وحَقنه بدلالات أسطورية ذات أبعاد عنصرية. فبالمقارنة مع الشعوب الأخرى «الضعيفة» تبين لهم أن الدم الأنكلوسكسوني العابق بثروة الأمم والمترع بترياق اللوثرية وروحانيات يوحنا البطمي «هو أعظم أسباب التفوق والرقي الحضاري، وأن العالم بأسره سيسقط تحت أقدام أبناء هذا العرق سواء كانوا في الجزيرة البريطانية أو في أميركا الشمالية، لأن الطبيعة هي التي أوجبت ذلك». ومع بداية ذلك القرن ساد الاعتقاد بينهم بأنه آن الأوان للّغة الإنكليزية، والقانون الإنكليزي، والمؤسسات الإنكليزية أن تحكم العالم[٢٤]. فتوماس كارلايل Thomas Carlyle المؤرخ والكاتب الساخر مثلاً لا يجد في مبادىء العلم وقواعد الأخلاق حرجاً من الادّعاء بأن الأرض كانت خراباً إلى أن حل فيها الأنكلوسكسون وعمروها وزرعوها وحكموها، وأن الله أوكل إليهم مهمة فتح نصف الأرض أو أكثر، [فالسكسون الذين بزغت أنوارهم] في أول الزمان على أطراف البحر الأسود وزحفوا مع الشمس [غرباً من القوقاز في وسط آسيا إلى الجزيرة البريطانية فإلى القارة الأميركية] مازالت لديهم فتوحات كبيرة لينجزوها[٢٥].

هكذا دأبت مجلة «أنكلوسكسون» منذ عددها الأول على القول إن «قدر هذا العرق [الأنكلوسكسوني] أن يحكم الشرق والغرب، ويمسك بزمام العالم». بل إن الرئيس ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt [رمز البياض المفضل] كان يسخر من فكرة «أن تبقى قارات الأرض مرتعاً لقبائل همجية مبعثرة لا تختلف حياتها توحشاً وحقارةً وخواءً عن حياة الوحوش التي ترتع معها»، ويرى «أن القرون الثلاثة الماضية التي انتشر فيها الأنكلوسكسون في مجاهل العالم لم تكن أبهى ملامح الإنسانية وحسب، بل كانت أيضا أعظم أحداث

التاريخ وأكثرها أهمية، وأبلغها تأثيراً»[٢٦]. «فالأنكلوسكسوني إبن كل مناخ. إنه رسول السماء إلى كل بقعة من بقاع الأرض». ثم إن انتشار اللغة الانكليزية سيمكّن الأنكلوسكسون من استيعاب من يتكلمها وإعادة صياغته من جديد»[٢٧]. أما «انتشار الأنكلوسكسون التوتونيين المسيحيين في الأرض فهو توسيع لمملكة الله... وإذا اقتضى الأمر فليكن على جثث الأعراق الضعيفة»[٢٨].

وللإنصاف، لابد من الاعتراف بأن معظم القراءات الجادة لكتاب **أصل الأنواع** الذي تبنى فيه داروين فكرة «البقاء للأصلح»، وجعلها القانون الطبيعي لتطور الكائنات الحية، تشير إلى أنه كان يتحدث عن عالم طبيعي متميز عن الإنسان[٢٩]، وأن المفكرين الاجتماعيين الذين صكّوا عبارة «الداروينية الاجتماعية» إنما تعسفوا وشطحوا في تأويله ونسبوا إليه عبارات وأفكاراً لم يستخدمها من أجل بناء عنصرية علمية[٣٠]. لقد وظفوا «التناحر الطبيعي على البقاء» في برامجهم وخططهم العنصرية ليخلصوا إلى أن التناحر الاجتماعي في عالمنا الموبوء بالتفاوت الطبقي ومرض الاستكبار والاستصغار ـ كالتناحر الطبيعي ـ يعني البقاء للأقوى، ويؤكد علمياً على أن كثيراً من البشر الضعفاء والفقراء وذوي الحاجات لا قيمة لهم وأنهم، حتماً، منذورون للفناء. وفي هذا السياق السحري، لم تعد فكرة «الشعب المختار» والذُّريات الملعونة أو المنذورة للفناء والعبودية لهذا «الشعب المختار» مجرد هلوسات لاهوتية مَرَضيّة تُنسب إلى السماء بل أصبحت مادة طبيعية من اختصاص العلم والعلماء.

وهذا ما تجسد واضحاً في أفكار عالم الحياة الانكليزي فرانسيس غالتون Francis J. Galton الذي يتحدّر وداروين من جدّ واحد،

ويُعتبر عرّاب «العنصرية العلمية» بحق. كان غالتون ينظر إلى ما هو أبعد مما ذهب إليه داروين وسبنسر Herbert Spencer ومندل Gregor Mendel في دراساتهم التطورية[٣١]. وكان يلحّ على فكرة نقاء الدم الأنكلوسكسوني وتفادي تلويثه وإفساده بدم آخر to keep blood pure and not degenerating؛ بل كان يصر على أن دماغ الأمة البريطانية معدوم لدى الطبقات الفقيرة لأنه ميزة العَلِيّة الاجتماعية وحكر عليها وحدها. ففي كتابه عن النبوغ الوراثي ادعى بأن الوراثة لا تقتصر على لون الشعر والطول والصفات الجسدية الأخرى، بل تشمل المواهب والخصال العاطفية والقدرات العقلية. ومن براهينه العجيبة على ذلك، مثلاً، أنه قريب داروين لأمه، لذا فهو يُعَدّ من العباقرة النابغين[٣٢]. ومن مآثره البريطانية تأكيده على أن «الطالح» محكوم بطبيعته لأن يكون «غير صالح» للحياة ولابد من وضع حد لنسله ونسل الأسرة التي ينتمي إليها[٣٣]. لذلك دعا إلى التحكم بأذون الزواج والتأكد من أن الولادات الجديدة لن تأتي إلا بالأقوياء، فما تفعله الطبيعة [سنّة البقاء للأصلح] بعمى وبطء وقسوة يستطيع الإنسان أن يفعله بحكمة وسرعة ولطف[٣٤]. فالمواهب والعبقريات والنبوغ الأدبي والفني مجرد معادلات مَنَوِية يمكن حسابها وصقلها في جنس من البشر النابغين، عبر التحكم بالزواج وتنظيمه على مدى أجيال متعاقبة. وليس هذا الهدف النبيل، فيما يذهبون إليه، بأحلام أو أضغاث أحلام، ذلك أن استيلاد أفضل البشر لا بد من أن يخلق جنساً متفوقاً جداً يسمو على كل الأعراق[٣٥]. ومَن أَوْلى بهذا العرش غير الزنابير؟[٣٦].

في عام ١٨٦٤ نشر الفيلسوف الإنكليزي ومهندس الداروينية الاجتماعية هربرت سبنسر Herbert Spencer كتابه **مبادىء علم الحياة**، شَحَذ فيه واحدة من **أفتك** مقاصل العنصرية المتعلْمنة على

مدى قرن كامل: مفهوم «البقاء للأصلح». في هذا الكتاب، حاول سبنسر أن ينقل مذهب التطور من عالم الطبيعة إلى عالمي الاجتماع والأخلاق[٣٧]. وكان في كتابه **سُكونيات اجتماعية** (١٨٥١) قد أكد على أن تطور الإنسان والمجتمعات وقفٌ على الطبيعة الموروثة حيث البقاء لِـ«الصالح fit» الذي يتقدم ويرقى سلم التطور أما «الطالح unfit» المغضوب على طبيعته الوراثية فإنه يزداد فقراً وجهلاً ويتلاشى حتماً: «كل جهد الطبيعة ينكبّ على التخلص من هؤلاء الطالحين وإفساح المجال للعرق الأفضل... ومِن الأفضل لهم أن يموتوا»[٣٨].

لم يتردد سبنسر والمتأثرون به في الولايات المتحدة في إرجاع كل أسباب الفقر والعوز والتخلف والجريمة وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية إلى علل بيولوجية وراثية. لهذا رفضوا «العَقْد الاجتماعي» الذي ينظم حياة الناس ويكفل بعض الشروط الإنسانية لهؤلاء المنذورين للفناء، واعتبروه محاولة فظة للهرب من حتمية «البقاء للأصلح». كذلك رأوا في حقوق الإنسان والمساواة والتكافل الاجتماعي ضرباً من العبث بقوانين التطور ستُلحق ضرراً بالغاً بتقدم الإنسانية وتطورها[٣٩]. وقد لاقت أفكار نبيّ مذهب التطور في الولايات المتحدة حماسة ومرتعاً خصباً للتطوير والتطبيق، ولا تزال بصماتها واضحة في ولادة «علم الاجتماع الأميركي»[٤٠]، وفي أيديولوجية الحركات المعادية للهجرة غير الأنكلوسكسونية[٤١]، وحركات «علم التناسل» التي دعت إلى التعقيم القسري لعشر فئات إجتماعية، منهم الفقراء، والمكفوفون، والصمّ، وذوو الحاجات، وكل من يلوذ بهم من ذويهم وأقاربهم، مرضى كانوا أو أصحّاء[٤٢].

هكذا قدمت العنصرية العلمية Scientific Racism مبررات عقلانية

وأخلاقية لاستضعاف الآسيويين والمكسيكيين وبيض أوروبا الشرقية والوسطى على أساس بيولوجي، فسُنّت تشريعات للحد من هجرتهم، ومورِست أبشع أنواع العنصرية ضد المقيمين منهم. فولاية كاليفورنيا مثلاً رفضت شهادات الصينيين والسود والخلاسيين والهنود الحمر في محاكمها[٤٣]. وفعلاً فقد اتّهم المجلس التشريعي لولاية كاليفورنيا الصينيين بعجزهم عن التمدن واتباع طريقة الحياة الأنكلوسكسونية باعتبارها المثل الأعلى للحضارة، وأبدى امتعاضه من «رفض عاداتنا، وملابسنا، ومناهج تعليمنا. إنهم لا يميزون بين الخطأ والصواب، ولا يحيدون عن عبادة أوثانهم، ولا يخرجون من قوقعتهم»[٤٤]. ثم إن الرئيس الأميركي التاسع عشر روثرفورد هايس **Rutherford Hayes** برر هذه الاجراءات العنصرية بعبارات داروينية نسب فيها أبناء الحضارة الصينية إلى الأعراق الدنيا وقارنهم بالهنود الحمر وإنسان الغابات الأفريقية[٤٥].

لغة العنصرية العلمية التي استُخدمت للتحذير من هجرة بيض أوروبا الوسطى والجنوبية لم تختلف أبداً عن لغة التحذير من السود والهنود، فهم أيضا منحطون بالجِبِلّة والطبيعة: «إنهم ذوو شعر خشن، ووجوه كبيرة، وعقلية منحطة. وبالتأكيد فإنهم أقرب إلى إنسان العصر الجليدي... ولا يختلفون أشكالاً عن الثيران»[٤٦] وللتخلص من البيض الكاثوليك ذوي الأصل الإيرلندي، يروي باري شوارتز **Barry N. Schwartz** في ملحمته عن العنصرية البيضاء أن عدداً من الكتّاب والسياسيين اقترحوا أن يُشَجَّعَ كل إيرلندي على قتل واحد أو أكثر من الزنوج، ثم تُعلق مشنقته عقاباً له على جريمته![٤٧].

لم يكن الزنابير بحاجة إلى الداروينية الاجتماعية أو الطبيعية للاقتناع

بأن الأعراق الأخرى المنحطة مسألة بيولوجية لا بد من تطهير الأرض منها. فلطالما كانوا يقارنون دماء المهاجرين الأوائل بمياه الينابيع الصافية، ويقارنون الدماء الطارئة بطوفان من الطين لا بد من تطهير الأرض منه. أما هذا الدم الطيني فلا يقتصر على الفقراء والمرضى والمعوقين، بل يشمل كل من لم يتحدّر من جد تيوتوني [أصل جرماني يتنازع على مجده الألمان والإنكليز]. «بمثل هذا الجد يتميز الإنسان بنقاء الدم، وسمو العقل، والحصافة والقوة»(٤٨).

ومنذ عام ١٨٩١ عبّرت أميركا رسمياً عن هذه النزعة العنصرية إلى استيلاد عرق أنكلوسكسوني أسمى والقضاء على الأعراق الأخرى. جاء ذلك على لسان أول مرشحة نسائية للرئاسة (١٨٧٢) فكتوريا وودهُلّ Victoria Claflin (California) Woodhull حين قالت:

> كل العقول اللامعة هذه الأيام تُقرّ بضرورة استيلاد المجتمع المتفوق المنشود، وتُعبر عن كراهيتها لأن يكون البلهاء والمجرمون والفقراء وغيرهم من «الطالحين» مواطنين في المجتمع الأميركي، وتلح على ضرورة تعقيمهم وقطع دابر نسلهم(٤٩).

في الولايات المتحدة وفي زمن ثيودور روزفلت، وليس في ألمانيا النازية وزمن هتلر كما يشاع، بدأ التطبيق العملي لهذه العنصرية العلمية على المستضعفين في الأرض(٥٠). ففي بداية القرن العشرين انتقلت الفكرة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة وتحولت إلى ما هو أكثر من فلسفة مجردة. لقد صارت هاجساً لصانعي القرار السياسي، وتجندت في حملة شعواء لتطهير الأرض من الفقراء والمستضعفين داخل أميركا وخارجها. ما كان في بريطانيا بحثاً في علم الحياة

أصبح في أميركا «علماً» عنصرياً أريد به صقل الجوهرة الأنكلوسكسونية وحمايتها من كدر المهاجرين البيض وغير البيض، والتخلص من ملايين الولادات «غير الصالحة». لم يعد «الطالحُ» غيرُ الصالح للحياة مجردَ مسألة بيولوجية بل مسألة أيديولوجية قابلة للبرمجة والتطبيق، خاصة وأن علماء «التناسل» الأميركيين يعتقدون بأن الفقراء والضعفاء من كل الأعراق جنس بشري منحطّ لا يستأهل الوجود ولا بد من محاصرته والقضاء عليه. بل بلغ مبلغُهم أن راحوا يُسَلّون أنفسهم وأطفالهم بعرض «عيّنات» من هؤلاء المستضعفين المغضوب عليهم في حدائق الحيوان، داخل أقفاص القرود.

ولعل فاجعة الأفريقي أوتا بِنغا Ota Benga وقصة خطفِه من الكونغو واستِقراده الذي انتهى بانتحاره تمثل تجسيداً حياً للعنصرية العلمية الأميركية وأيديولوجية الحرب على المستضعفين في الأرض. كان في الثالثة والعشرين حين خطفه من بلده وأهله صاموئيل ڤيرنر Samuel Phillips Verner أحد مؤسسي الجمعية الأنثروبولوجية الأميركية، وذلك بالتعاون مع السلطات الاستعمارية البلجيكية في الكونغو. في البداية عَرضَه في الجناح الأنثروبولوجي لمعرض سانت لويس الدولي أنموذجاً للإنسان الوحش، ثم نقله بعد ذلك إلى حديقة حيوانات برونكس Bronx Zoo (١٩٠٤/٩/٩) حيث حُشر في جناح القرود، وفي قفص واحد مع قرد وببغاء للتأكيد على أن الإنسان من غير «الشعب الأنكلوسكسوني المختار» لا يختلف عن القرد وأنه إذا تكلم فكما يتكلم الببغاء[٥١].

دارت فصول هذه الفاجعة في الفترة التي وَجدت فيه هذه العنصرية العلمية عقلها المدبر وصانع برامجها ومؤسس أهم منظماتها التطبيقية

شارلز داڤنپورت Charles Davanport المسؤول شخصياً عن تعقيم أكثر من ستين ألف ضحية أميركية من «الطالحين» المغضوب عليهم[٥٢]. داڤنپورت هو الجسد الحي لذلك اللاهوت الپيوريتاني الذي اتخذ وجهاً «علمياً»؛ اللاهوت الذي استعار فكرة أميركا من فكرة إسرائيل الأسطورية، وانتحل للغزاة الانكليز صفة «الشعب المختار» واعتبرهم كالإسرائيليين التاريخيين استثناء وجودياً يحتكر لنفسه الاضطلاع بإرادة الله، ويختص وحده بتنفيذها.

كان داڤنبورت يتباهى بأنه يتحدر من دم أنكلوسكسوني نقي منذ ١٠٦٨، ويعتز بأنه من نسل آباء كنيسة المستعمرات الإنكليزية الأولى الذين كانوا يسمّون أنفسهم عبرانيين Hebraists، وأن والده الپيوريتاني إلى النخاع أنشأه على دينه، وأنه لهذا يلازم التوراة، ويعيش الپيوريتانية في كل تفاصيل حياته، ويكره الفرح![٥٣]. وقد اعترف في رسالة كتبها بأن انكبابه على تطهير الأرض من الفقراء والضعفاء واهتمامه بنظريات عرّاب «العنصرية العلمية» فرانسيس غالتون ينبعان من نشأته الدينية وتقواه ومن حرصه على نقاوة العرق الأنكلوسكسوني وإدراكه لخطر تدفق الأعراق المنحطة على أميركا[٥٤].

على غرار غالتون، كان داڤنپورت يرى أن الوراثة لا تقتصر على لون الشعر والطول والصفات الجسدية الأخرى بل تشمل المواهب والعواطف والخصال والـمَـلكات العقلية. فأهل إيطاليا مطبوعون على العنف، وأبناء إيرلندا يعانون من خلل في عقولهم،[٥٥] وغير ذلك من هذا القصف العشوائي. لهذا راح يدعو إلى بناء جدار بشري حول أميركا؛ جدار شاهق من الآلهة الأنكلوسكسون في وجه المهاجرين من الأعراق الدنيا. وكان يُحذر دائماً من اليوم الذي لن يَبقى فيه أمام

الأجيال المقبلة من الأنكلوسكسون سوى أن يتركوا البلاد للسود والسمر والصفر، ويبحثوا عن الهجرة [٥٦]. أما الجدار البشري فإنه، كما قال، لا يُعَمَّرُ وينهض إلا باستيلاد «الصالحين» وتعقيم «الطالحين» واستئصال الزنوج كلهم دفعة واحدة[٥٧]. وعندما تنجح أميركا في القضاء على أعراقها المنحطة ستفيض ببركات ذلك التطهير على المستضعفين من شعوب العالم، «وتتحكم بالولادات البشرية لألف سنة مقبلة»[٥٨].

في عام ١٩٠٤ تمكن داڤنپورت من تأمين المال اللازم لحربه المقدسة على الفقراء والمستضعفين، إذ وافقت مؤسسة كارنيغي Carnegie Institution، بعد شهرين من تأسيسها بأموال أمبراطور الفولاذ وأحد أغنى أغنياء أميركا أندرو كارنيغي Andrew Carnegie، على حقنه بجرعة من دم «ثروة الأمم»[٥٩]. ثم إنها ضاعفت عطاءها في عام ١٩١١، وكذلك فعل كلٌّ من ماري هاريمان Mary Harriman وريثة أمبراطور السكك الحديدية، وجون روكيفلر الذي انضم إلى النادي بحيث قدّما له عطاءً سخياً جداً. وهذا ما أنبتَ للحركة مخلباً جديداً مهمته دراسة أفضل الوسائل العملية للقضاء على الفقراء والمستضعفين، [٦٠] إضافة إلى جهاز استخبارات عرقي هائل بإدارة صديق هتلر الحميم هاري لَفلين Harry H. Laughlin سمّوه «ديوان سجلات تحسين النسل (Eugenics Record Office)»، وأغدقوا عليه ميزانية كبيرة. أما مهمة هذا الجهاز فهي جمع المعلومات عن نقاوة دم كل من يعيش على الأرض الأميركية، وعن شجرة نسبه، وعن العلل الاجتماعية والصحية التي يشكو منها، وذلك لفرز أصحاب النعيم من أصحاب الجحيم استعداداً للقيامة العرقية[٦١].

كان الهدف في البداية متواضعاً جداً، فقد اقتصر عدد المستهدفين بالإخصاء والتعقيم في هذه المرحلة الأولى على مُجرَّد ١٤ مليون أميركي من الفقراء والمستضعفين؛ طرِدوا جميعاً من ملكوت البشر وفقدوا حقهم الطبيعي في إنجاب الأطفال[٦٢]. وهذا ما عززته المجالس التشريعية بصيغة قوانين شَرَّعت لهذه المذابح النسلية في ثلاثين ولاية أميركية، منها بنسلڤانيا، وواشنطن، وكونِتيكت، وكاليفورنيا، ونيڤادا، وإياوا، ونيو جيرسي، ونيويورك[٦٣]، على أن يبدأ العمل في بلدان العالم الأخرى بمجرد الانتهاء من حملة تطهير أميركا[٦٤].

«أولاد إسماعيل رمز الانحطاط البشري»!

«تخبرنا التوراة المقدسة أن إسماعيل كان وحشاً بشرياً. وحين تنصّ التوراة على أن إسماعيل وحش بشري فإنه سيبقى وحشاً بشريا إلى الأبد».

الحاخام شوفيتز حاييم

«معظم الأميركيين يتمنون أن يروا قنبلة نووية تهوي فوق عاصمة عربية كبيرة، ويتمنون أن يكون القصف النووي عشوائيا دون تمييز. إن البطانيات الملوثة بجراثيم الجدري التي أعطاها الجيش الأميركي لهنود الشيروكي لقتلهم أثناء ترحيلهم إلى الغرب شيء تافه بالمقارنة مع ما نريد أن يصاب به هؤلاء العرب»!

مايكل سافج، Savage Nation, May 12, 2004

بعد نصف قرن من غزو بلاد هنود ميامي Miami (ميامبا Myaamia، وتعني في لغتهم: الحلفاء) وتأسيس مدينة إنديانابوليس (١٨٢٠) على أنقاض قراهم وحقولهم وقبور آبائهم، اكتشف الكاهن المستشرق أوسكار مكّولوش Oscar Carlton McCulloch في هذه المدينة ظاهرة اجتماعية غريبة جعلها مثلاً حياً على كل قبح، وشر، وفساد، وانحطاط،

وعاهات عرفتها البشرية. وقد أعانه إسم أهلها الغريب [قبيلة] «ابن إسماعيل» Ben Ishmael على سكب المزيد من الحبر الأسود على الصورة الاستشراقية النمطية السائدة عن العرب والمسلمين[٦٥].

كانوا مزارعين يعيشون في الجنوب، لكنهم مع التهام الفقر للريف الأميركي في سبعينيات القرن الثامن عشر هاجروا مع مَن هاجر يومها مِن مستوطنين وعبيد محرَّرين إلى الغرب الأوسط، بحثاً عن حياة أفضل. في البدء، أسسوا لأنفسهم قرية بدائية في هضاب كِنتُكي Kentuky Hills، ثم رحلوا عنها إلى مدينة سِنْسيناتي Cincinnati بولاية أوهايو عندما حوّل المستوطنون البيض تلك الأراضي الزراعية في كنتكي إلى مزارع للعبيد، ومنها رحلوا إلى مناطق في جنوب إلينوي Illinois. وما أن وصلوا إلى مدينة إنديانابوليس حتى لازَمَهم لقب النوماد (الرُّحَّل) وتهافت عليهم المصلحون والمبشرون علماء الأحياء وعلماء الإجتماع، وبدأوا برسم صورة نمطية مخيفة لهؤلاء الضحايا[٦٦] جعلت منهم فريسة شهية.

في هذه المدينة التي أسس فيها الزنابير إحدى أعنف المنظمات العنصرية في الولايات المتحدة «كو كلوكس كلان Ku Klux Klan»، عانى هؤلاء الفقراء الرُّحّل من التمييز والمهانة والاضطهاد وأشنع أنواع التنميط[٦٧]. حسبُهم في ذلك أن دراسة أوسكار مكّولوش التي وحّشَتهم وهمَّجتهم وشبّهتهم بالطفيليات المائية sacculina التي تعيش على قشر السلطعون، مثلاً، كانت بعنوان إنكليزي فصيح: **قبيلة إسماعيل دراسة في الانحطاط الاجتماعي** The Tribe of Ishmael, A Study in Social Degradation[٦٨].

هذا المَسخ الأوفيدي للبشر لم يكن ممكناً إلا بتزوير بعض الحقائق

أو تحريفها لتتناسب مع النعوش المعَدَّة ولتثلج قلوب الآلهة. فطالما أن لأفراد هذه «القبيلة» بياض العرق الأنكلوسكسوني ودمه الأزرق، كان لا بد من البحث عن علة لـ«حقارتهم» خارج الملكوت المقدس للبياض والزرقة، وكان لا بد من افتراس المنطق. ومن ذلك الإيحاء بأن لـ«قبيلة بِن إسماعيل Ben Ishmael» قرابةً مع المسلمين أو العرب، لا سيما أن أسطورة هاجَر الجارية [أم إسماعيل] وأولادها المنذورين للعبودية إلى يوم القيامة مازالت تنخر اللاوعي الأميركي [بل والعربي] المسكون بأساطير العبرانيين(٦٩).

وفي إطار هذا الخبط في التعليل والتفسير والاجتهاد في علة بؤس هؤلاء الفقراء البيض، عَرَض الآلهةُ أعجوبةَ «قبيلة بن إسماعيل» في قاعة العلم Hall of Science التابعة للمعرض العالمي World Fair بشيكاغو عام ١٩٣٣ رمزاً للأخطار والمخاوف التي تعجز كوابيس سكان المقابر عن تصويرها(٧٠). في هذه السنة التي طبّقت فيها الحكومة النازية التعقيم القسري على المغضوب عليهم من البشر، وشاع فيها تصنيف الجماعات البشرية تطورياً، قدّم المعرض في سياق الاحتفال بمئة سنة من التقدم العلمي مثلاً على «العنصرية العلمية» يعكس تفوق الزنابير وتقدمهم بجناح صرعة العصر «جنرال موتورز»، يقابله مثلٌ نقيض قابع تحت سقف هذا الجناح لقرية للهنود الحمر يعكس الانحطاط والتخلف وضعف العقل.

وغير بعيد عن معجزات «جنرال موتورز»، عُرضت في «جناح العلم» عيّنات من المغضوب عليهم من الجماعات البشرية التي تهدد الحضارة والتقدم في صورة وحوش العالم الجديد، والذين يسمون «قبيلة بن إسماعيل». فهُم كما تشرح أدبيات الجناح لزوار المعرض

قبيلة من الهمج المنحطين عقلياً، الفاسدين أخلاقياً، الضارين اجتماعياً، لم يتطوروا رغم كل الفرص التي أتيحت لهم(!)، لأنهم كائنات كسالى، شحاذون، صعاليك، افتقرت خلاياهم ودماؤهم إلى خصائص الذكاء وأسلمتهم بذلك للضعف والحقارة والفناء(٧١).

وللكشف عن الهوة الشاسعة بين التطور والانحطاط؛ بين الذكاء والغباء؛ زها الجناح بصور لأنموذجين متناقضين من البشر: صور لعشيرة روزفلت التي أنعمت على الإنسانية باللاهوتي جوناثان إدواردز Jonathan Edwards مجدد البيوريتانية العبرانية في القرن الثامن عشر وفيلسوف ما يعرف باليقظة الكبرى The Great Awakening(٧٢)، وبرئيسين للولايات المتحدة هما ثيودور وفرانكلين روزفلت مقابل صور شنيعة لـ«قبيلة بن إسماعيل». كل ذلك للتأكيد على أن الخلايا الوراثية هي التي تُغني وتُفقر، وتعزّ وتذلّ، وتُطوّر وتُقهقِر، فترفع بشراً إلى أعلى السلّم الحضاري وتهوي بآخرين إلى دركاته السفلى وتَنذُرهم إما لتساقط الصخور واللعنات على رؤوسهم من الأعالي، أو للفناء.

ثم شاء لهؤلاء الفقراء تَعْسُهُم أن يلتقوا بالرجل الذي صنع منهم رمزاً حيّاً لعاهات المجتمع الأميركي وأمراضه، ومادة غنية للدراسات الوراثية، ومعروضات للتسلية والاعتبار، وشكلاً بشرياً للطفيليات المائية التي تعيش على قشور السلطعون. كان أوسكار ماك كولوش من روّاد «العنصرية العلمية» في الولايات المتحدة وفارساً مُجلّياً من فرسان البيوريتانية والاستشراق والتشنيع بالعرب والمسلمين. فما أن اكتشف أن ضحاياه ينتمون إلى «بِن [مختصر بنجامين] إسماعيل» حتى أدرك أنه أمام الفريسة المشتهاة، إذ سرعان ما تحوّل «بِن

إسماعيل» إلى «إبن إسماعيل». ومع إضافة لقب «القبيلة» إلى نسله وَجَد فنُّ الشيطنة نفسه، في عراء صحراء العرب، وجهاً لوجه مع الجارية هاجَر وذراريها الذين حقنَ الفوهرر السماوي في خلاياهم الوراثية ما قضى عليهم بالعبودية الأبدية لشعبه[٧٣].

أمضى مكّولوش بقية حياته في التشهير والتحقير والتحريض على هؤلاء الفقراء الضعفاء، وبذَلَ كلَّ ما يستطيع لطردهم من الوجود أو الحَجْر على حرياتهم وأرواحهم وأعضائهم التناسلية. لذلك، ربما، كانت إنديانا أول ولاية تَسنُّ قانوناً للتعقيم الإلزامي، وأول بقعة في الأرض تشهد تعقيماً جماعياً[٧٤]، صار بعد ثلاثة عقود نبراساً للنازيين الألمان.

هكذا شملهم قانون التعقيم، وتعرضوا للاضطهاد والتنميط والكراهية والقذف والشائعات وأصناف القتل السادي للأرواح والفرص، على يد الحكومة المحلية والحكومة الفيدرالية[٧٥]. وهكذا استُغِلَّ إسمُ «بن إسماعيل» ذو الرنين العربي في أروقة الكونغرس للتحريض على هجرة «المغضوب عليهم» من الآسيويين والبيض والسود. فهي كما قالوا تهدد المجتمع الأميركي ونقاء العرق الأنكلوسكسوني وتشوه حضارته ما لم يستيقظ الكونغرس من غفلته ويتّخذ إجراء حاسماً. ثم استُخدمت كل هذه التحِلات والتلفيقات لحض الكونغرس على إصدار قانون عنصري للهجرة مما انتهى فعلاً بِسَنّهِ وتصديقه في عام ١٩٢٤. ومما قاله ألبرت ويغَم Albert Edward Wiggam أحد أبرز أعضاء مجموعة الضغط، في تأكيده على خطر تناسل مثل هؤلاء البشر وازدياد أعدادهم، وفي دعوة صريحة للقضاء عليهم: «قبل بضعة أجيال لم يكن هناك سوى العجوز إسماعيل وزوجته... وها نحن اليوم أمام ١٢ ألفاً من نسله»[٧٦].

مع استعار لهيب النازية في أوروبا والحملة الإعلامية على جرائمها التي شملت «التعقيم»، توارت مباضع التعقيم ومقصات الإخصاء عن العيون، وغابت بذلك «قبيلة بن إسماعيل» عن ذاكرة الأميركيين، وتحولت ظاهرتهم على مدى عقود أربعة إلى سيرة ضبابية ليس لها من ذكر إلا في حواشي كتب بعض الباحثين. ثم، فجأة، وفي منعطف غريب في هذه القصة الغريبة، بُعثت هذه «القبيلة» من مرقدها على يد كاهن آخر مهووس بالإسلام يدعى هوغو ليمنغ Hugo Prosper Leaming: بُعثت من جديد، بعد مئة سنة من ولادتها على يد الكاهن مكّولوش، وبعد مئتي سنة من اشتراك جدها الأول المستوطن «بنجامين إسماعيل» في حروب الثورة الأميركية. ففي عام ١٩٧٧ نشر ليمنغ فصلاً بعنوان «قبيلة إسماعيل:أمة هائمة في الشمال الغربي القديم» ذهب فيه إلى أن «القبيلة» هي التي أسست مدينة إنديانابوليس وأن المغفور له «بنجامين إسماعيل» كان «إماماً مسلماً مقدساً من أصل أفريقي(!)»، وكان مؤسس أول جماعة إسلامية غير مهاجرة مولودة في أميركا من أصول أفريقية وهندية حمراء ولآلىء بيضاء.

هذا التبحر في علم التنجيم ألحقَ مسلمي أميركا في الوعي الأميركي بـ«قبيلة بن إسماعيل» رمز الانحطاط البشري والطفيليات المائية، وجعل خطرهم على المجتمع الأميركي استمراراً لخطرها[٧٧]. لهذا، ربما، أعيد نشر فصل ليمنغ مراراً وتكراراً، وأصبح أكثر تداولاً من نص مكّولوش، وكان مقدمة لتأليف عدد من الكتب حول ما سمي بالتاريخ الخفي للجماعات الإسلامية في أميركا[٧٨].

شبح مالتوس في البيت الأبيض

«لو قُدّر لي أن أتناسخ وأعيش من جديد لتمنيت أن أكون جرثومة فتاكة تساهم في حل مشكلة التفجر السكاني».

الأمير فيليب (زوج الملكة إليزابيت)
من مقدمته لكتاب «لوكنت حيواناً
***If I were an Animal*».**

«تفادياً للخطر السكاني الذي يهدد كوكب الأرض، تعمل الولايات المتحدة على تأمين الشروط اللازمة لتعقيم ربع نساء العالم القادرات على الحمل (١٤٢ مليون امرأة)، لحماية مصالحها الاقتصادية».

رايمرت راڤنهولت، Reimer t Ravenholt، ١٩٧٧
(مدير مكتب الحكومة الاتحادية للسكان)

توارت حملة التعقيم والإخصاء عن العيون، لكنها لم تختف ولم تيأس بل ظل جمرها متقداً تحت رماد العنصرية رغم الفظائع التي ارتكبتها في ألمانيا والولايات المتحدة، ورغم الحملة القاسية عليها محلياً ودولياً. ففي ٢٢ أبريل/نيسان ١٩٧٧ تبين أن شبح مالتوس يطوف في أروقة البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي. في مساء ذلك اليوم

الربيعي كشف الدكتور رايمرت راڤنهولت Reimert T. Ravenholt مدير مكتب الحكومة الاتحادية للسكان التابع للوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID's Office of Population عن برنامج تطهير عرقي وطبقي لم تجرؤ على مثله النازية. وبرر ذلك بأن الولايات المتحدة ـ تفادياً للخطر السكاني الذي يهدد كوكب الأرض ـ تعمل على تأمين الشروط والوسائل اللازمة لتعقيم ربع نساء العالم القادرات على الحمل وذلك لحماية مصالحها الاقتصادية[٧٩]. وقال أيضاً إن الحكومة بدأت بالإجراءات العملية لهذا البرنامج، فهي الآن تدرب نخبة من الأطباء الأجانب على تقنيات التعقيم المتطورة في كلية الطب التابعة لجامعة واشنطن Washington University بعد أن رصدت الميزانية اللازمة لذلك، منها مليارات ونصف المليار دولار لجامعة واشنطن. ولهذا الهدف أيضاً، تشترك جامعة جونز هوپكينز Johns Hopkins في برنامج رديف PIEGO[٨٠].

ثم ذكر راڤنهولت أربعة أسباب دفعت الولايات المتحدة إلى إطلاق هذا البرنامج، تتلخص في حفظ أمن الولايات المتحدة، وحماية مصلحتها الاقتصادية، ذلك أن زيادة السكان في العالم الثالث الفقير ستزيد من فرص الثورات على الولايات المتحدة وتضر بمصالحها.

بعد القراءة الموجعة لإعلان راڤنهولت تبين لي أن هذا البرنامج ليس إلا ترجمة لمذكرة رئاسية عثرتُ عليها بالمصادفة. هذه المذكرة التي صدرت قبل ثلاث سنوات من تصريح راڤنهولت، أعدها هنري كيسنجر Kenry Kissinger حين كان مستشاراً للأمن القومي، بطلب من الرئيس جيرالد فورد، واستهدف فيها نسل شعوب ١٣ دولة من دول العالم الثالث، إحداها مصر البهية الغالية أكبر بلاد العرب[٨١].

في تلك الفترة حين كانت «ثروة الأمم» تخوض حربها الصليبية على الشيوعية بقيادة الولايات المتحدة، كان كيسنجر على غرار مالتوس، يرى أن جرثومة الشيوعية تكمن في التفجر السكاني وما يستتبعه من فقر، وأن القضاء على الشيوعية لا ينجح إلا بالقضاء على الفقراء واستئصال الفائض السكاني في العالم الثالث.

هذا الاستهداف الأميركي لنسل ملايين الفقراء والمستضعفين في أميركا والعالم ليس تاريخاً مضى وانقضى، وليس استعارة كابوسية من عالم جورج أورويل أو هلوسات رجل مجنون مهووس بالقتل. أبداً، هذا تاريخ الأمس وواقع اليوم، فشبح مالتوس ما زال إلى يومنا هذا يعسّ في البيت الأبيض، يطارد الفقراء والمستضعفين في الأرض متقمّصاً مَن أئتمنه الرئيس الحالي باراك أوباما على سياسة إدارته العلمية والتكنولوجية. إنه جون هولدرن John Holdern الذي اختاره الرئيس لتولي أخطر ثلاثة مناصب علمية في إدارته: مدير مكتب السياسة العلمية والتكنولوجية في البيت الأبيض، ومساعد خاص لقضايا العلم والتكنولوجيا، ورئيس مشارك لمجلس مستشاريه للعلم والتكنولوجيا [٨٢]. إنه، كما تسميه واشنطن بحق، الإمبراطور Obama's Science Czar الحاكم بأمره في قضايا العلم والتكنولوجيا في إدارة الرئيس أوباما.

لهذا الـ «مالتوس» العصري القابع في البيت الأبيض اليوم كتاب من ١٠٥١ صفحة، ألفه مع إثنين من علماء الحياة والسكان پول وآن إلريش Paul and Anne Ehrlich، وبشّرَ فيه الإنسانية بعصر تفرض فيه الولايات المتحدة على شعوب الأرض «حزام عِفةٍ» إلكترونياً، يُزرع تحت جلد كل ذكر وأنثى، ولا يُنزع إلا بإذن رسمي من «الأخ

الأكبر»، وبمعالجة طعام هذه الشعوب وشرابها بعقاقير التعقيم[٨٣].

مشاهد تشاؤمية مظلمة لمستقبل العالم يعرضها كتاب هولدرن، وأمواج هائجة من المجاعات والأمراض والحروب يزعم أنها ستقضي على الإنسانية إذا لم تسيطر أميركا على خصوبة البشر، وتتحكم بنشاط أعضائهم التناسلية. لكنه في النهاية يمد لها حبل النجاة عبر برنامج معقد يمكن تلخيصه في نقاط:

* سيطرة الدولة على خصوبة النساء والرجال والتحكم الصارم بنسبة نشاط هذه الخصوبة، عبر «كبسولة» إلكترونية تزرع تحت الجلد ولا تُرفع إلا بإذن رسمي؛ وقطع دابر نسل «الذين يعيثون فساداً في المجتمع» بتعقيمهم، وبعث القوانين التي فرضت التعقيم القسري من مرقدها مجدداً لأنها في رأيه لا تتناقض مع الدستور[٨٤].
* إرغام النساء الحوامل على الاجهاض، شئن أم أبين[٨٥].
* تعقيم جماعي للبشر عبر عقاقير تعالَج بها المنتجات الغذائية الأساسية ومياه الشرب [ولكي يُظهر مدى خوفه على الإنسانية، يضيف] على أن لا يؤدي ذلك إلى الضرر بخصوبة الحيوانات![٨٦].
* نظام كوكبي planetary regime يفرض هذا البرنامجَ على شعوب الأرض، ويضع سقفاً للتكاثر، ويتحكم باختيار من يجب أن يولد ولا يولد، ويسيطر على الغذاء والماء والمصادر الطبيعية في البر والبحر[٨٧]. وعلى حكومات العالم أن تتنازل عن بعض سيادتها لهذا النظام وجيشه وقوات الأمن التابعة له[٨٨].

«الأرحام المنهوبة *Stolen Wombs*» دراسة يقدم فيها المؤرخ الأميركي بروس جوهانسن *Bruce E. Johansen* بعض الأمثلة الحية على التطبيق الدولي لهذا البرنامج[٨٩] الذي يسعى إلى «تخفيض أكبر عدد ممكن من سكان العالم الثالث»[٩٠]. كل ذلك يجري بإسم الرحمة والمساعدات الإنسانية، وتحت مظلة «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID» التي تَرى شعارَها الودي (اليدين المتصافحتين مع عبارة: هدية من الشعب الأميركي الصديق) على شِراك وزارة الخارجية الأميركية المرسلة على عَجَل إلى المناطق المنكوبة في العالم على شكل أكياس الطحين والرز والسكر ورزم المعونات[٩١].

لم يكف راوندا، مثلاً، ما شهدته من حرب إبادة جماعية ذهب ضحيتها حوالى ٨٠٠ ألف إنسان، فقد تكرمت عليها الوكالة الأميركيـة للتنمية الدولية» بالمزيد. ففي عهد هذه الإدارة التي يستوي على عرشـها الآن رئيس من أصـل أفريقي وأب «مسلم» حائز على جائزة نوبل للسلام، ولا يفتأ يهدينا الابتسامات والتحيات وقصائد الغزل في كل مناسبة (انظر الملحق في آخر الكتاب)، هناك الآن تقارير موثقة تتحدث عن تمويل USAID لحملة تعقيم وإخصاء «إختيارية!» واسعة تشمل ٧٠٠ ألف أفريقي راوندي من الأطفال الرضّع new born والجنود والشرطة وطلاب الجامعات [يُقطع نسلهم إلى الأبد]، كما صرح بذلك وزير الصحة الراوندية الدكتور ريتشارد سيزوبيرا Richard Sezubera. وتذكر مؤسسة الدراسات السكانية Population Research Institute في أحد تقاريرها أن البرنامج لم يُقرّ من الحكومة الراوندية إلاّ بضغط شديد من الولايات المتحدة والمنظمات الصحية الدولية المهيمنة عليها. ثم تحذرنا من الانخداع بكلمة «إختياري»، فلدى الحكومة [الراوندية] مهمة محددة: أن تغلق

٧٠٠ ألف «قناة [جنسية] دافقة» على مدى ثلاث سنوات... وإن تجربتنا في مؤسسة الدراسات السكانية تفيدنا بأنه كلما كان لحملة التعقيم هدف واضح ووقت محدد كان الإكراه والقسر وانتهاك حقوق الإنسان، تماماً كما يعقب الليل النهار(٩٢).

أما في الپيرو، تلك الروضة البهية من الحديقة الخلفية للأوليمپ الأميركي، فما أن انتُخِب «المعتدِل» ألبرتو فوجيموري Alberto Fujimori رئيساً لهذا البلد ذي النسبة العالية جداً من السكان الأصليين والغالبية الكاثوليكية حتى رُفع التحريم عن التعقيم وصارت الآلهة تمطر على فقراء هذا البلد سمناً وعسلاً وعقاقير «هديةً من الشعب الأميركي الصديق». ولكي تتخذ حملة التعقيم طابعاً خيرياً متمدناً تَخَفَّت وراء شعار «تنظيم الأسرة»، ونشطت بسرعة فلكية تَصاعدَ معها عدد الضحايا من عشرة آلاف امرأة في عام ١٩٩٦ إلى ١١٠ آلاف في عام ١٩٩٧، وارتفع سخاء USAID على البيرو إلى المرتبة الأولى في أميركا اللاتينية.

كان العاملون في البرنامج يطوفون الأرياف والمناطق الفقيرة التي يسكنها الفقراء والسكان الأصليون ويعرضون هدايا الرحمة الأميركية من الدقيق والسكر والمعلبات وأنواع الأطعمة لقاء الموافقة على التعقيم «الاختياري»(٩٣). وكانت وزارة الصحة تُحيي في بعض الأحيان مهرجانات واحتفالات خاصة يشرّع فيها العم سام أبواب رحمته على الفقراء والسكان الأصليين ليستل على غفلة منهم نسلهم وذراريهم، حتى إذا لم ينفع الإغراء والإغواء برزت نيوب الليث.

كان موظفو وزارة الصحة المدربون في الولايات المتحدة، وبتمويل وتخطيط أميركي، هم الذين يتولون عملية التعقيم مجاناً، بل

ومصحوبة بهدايا مغرية. وتذكر التقارير أن كل واحد من هؤلاء العاملين قد أُلزمَ بصيد عدد محدد من الضحايا[٩٤]. وكان على الضحية (الأمية أحياناً، أو التي لا تعرف الإسبانية في أغلب الأحيان) أن توقّع أوراقاً تعفي المرتكبين من الملاحقة مهما كانت النتائج، وتعفي الدولة من أية مسؤولية[٩٥]. لهذا مات عدد كبير منهن بسبب الخبرة البدائية والوسائل غير الصحية، كما توثق ذلك منظمة «تحالف أميركا اللاتينية للأسرة» Alianza Latinoamerica para la Familia[٩٦]. ويسرد جوهانسن أمثلة كثيرة، منها أن الشقية الهندية خوانا غَتييرِز شيرو Juana Gutierrez Chero ماتت بعد عشر ساعات من عملية تعقيمها. ويقول زوجها إنها لم تكن ترغب في التعقيم لكن موظفي الصحة جاؤوا إليها مرة بعد مرة وألحوا عليها.كانت تحاول الاختباء عنهم والتواري عن أنظارهم لكن ذلك لم ينفع، «فقد أخذوها في غيابي ودون علمي.. وعندما عدت إلى البيت وجدتها تعاني من سكرات الموت»[٩٧].

كذلك كان حال الفقراء والسكان الأصليين في البرازيل، فبدعم سخي من الولايات المتحدة، تم تعقيم كل امرأة تقريباً في بعض القرى الهندية الفقيرة مما أدى إلى انقطاع نسل أهلها تماماً بعد جيل أو جيلين[٩٨]. ولكن، بعد أن رُفعت السرية عن مذكرة هنري كيسنجر التي استهدفت ـ علناً ـ نساء شعوب ١٣ دولة، من بينها البرازيل، وأمام الاحتجاجات الشعبية الواسعة وانتقادات جمعيات حقوق الإنسان، أجرى ١٦٥ نائباً في المجلس التشريعي البرازيلي تحقيقاً أدانوا فيه الولايات المتحدة «المسؤولة عن تعقيم نصفْ نساء البرازيل». هكذا اكفهرت السماء وغضبت، وأحجم رب العرش الأبيض عن إرسال الهدايا إلى فقراء البرازيل من الشعب الأميركي الصديق[٩٩].

أما في بورتوريكو التي استعمرتها الولايات المتحدة بعد انتصارها في الحرب الإسبانية واتفاقية باريس(١٨٩٨)، فتذكر الباحثة لورا بريغز Laura Briggs في دراسة تحليلية معمقة لها أن تعقيم النساء في هذا البلد يمكن وصفه بالإبادة genocide للسكان الأصليين[١٠٠]، وأنه بين الخمسينيات والتسعينيات [من القرن العشرين] تم تعقيم ثلث نساء الجزيرة المؤهلات للحمل والولادة[١٠١]. وقد بدأ ذلك منذ الأيام الأولى لاستعمار الجزيرة، في محاولة للقضاء على سكانها الأصليين كما فعلوا فيما يسمى اليوم بالولايات المتحدة. فمنذ عام ١٩٣٧، أقرّ الحاكم العسكري الأميركي «بلانتون وينشيپ Blanton Winship حملة التعقيم لـ«غير الصالحين» unfit. وهذا يعني بكل بساطة استئصال نسل الفقراء وغير البيض... تنفيذاً لبرنامج إبادة أميركي»[١٠٢]. هذا ما سمِعَتْه الأمم المتحدة أيضاً في شهادة لعدد من الزعماء البورتوريكيين (١٩٧٤) أمام لجنة الأُمم المتحدة الخاصة بالاستعمار United Nations Special Committee on Colonialism حيث قالوا إن «بورتوريكو مهددة ببرنامج إبادة أميركي للفقراء والسكان الأصليين»... «وإن عدد الضحايا تجاوز ٢٠٠ ألف امرأة»[١٠٣] من أصل ٩٥٣٢٤٣ عدد السكان الأصليين، رجالاً ونساء وأطفالاً، عند وصول أول حاكم عسكري أميركي إلى الجزيرة في السنة الأولى من القرن العشرين[١٠٤]. كذلك تروي آيرين ڤيلار Irene Vilar (محررة *The Americas* الصادرة عن جامعة تكساس التكنولوجية) أنه منذ السنوات الأولى للاستعمار الأميركي لبورتوريكو قال الزعيم پيدرو ألبيزو كامپوس Pedro Albizu Campos

> إن وقاحة المستعمر اليانكي بلغت ذروتها في اعتدائه على الأمومة البورتوريكية وفي سعيه لغزو أعمق أعماق الوطنية

البورتوريكية. فإذا تحقق لهذا المستعمر ما أراد وفقدت نساؤنا نعمة الأمومة التي أنعم الله عليهن بها فإن بورتوريكو ستختفي في مدى جيل واحد» [وقد اختفى فعلاً معظم السكان الأصليين]، كما اتهم أطباءَ مؤسسة روكيفلر [إحدى أكرم ممولي حملة التعقيم في أميركا والعالم] بإجراء تجارب سرطانية مميتة على البورتوريكيين. وليؤكد ذلك، عرَض رسالة من الطبيب كورنيليوس رودس Cornelius Rhoads اعترف فيها بأنه قتل عدداً من السكان الأصليين في هذه التجارب، وأنه حقن السرطان في عدد آخر(١٠٥).

«منذ اللقاء الأول، [كما يروي المؤرخ داڤيد ستانرد David Stannard] أرسل الغزاة على هنود أميركا عواصف نارية من الأوبئة. كان السكان الأصليون الذين لم تقتلهم الحرب الجرثومية يبادون بالعنف، في عمل متكامل أودى بحياة أمم كاملة، وفي عملية تطهير عنصرية مقصودة، من إسبنيولا Hispaniola [أكبر جزر الكاريبي وتشمل اليوم جمهورية الدومينيكان وهايتي] في القرن الخامس عشر حتى كاليفورنيا في القرن التاسع عشر. ثم يضيف:

اليوم وبعد خمسة قرون مازال هؤلاء الناس يسامون أصنافاً من العذاب ويذبحون، وما زالت قراهم وبيوتهم تضرب بالقنابل وتحرق. كل هذه الجرائم مازالت مستمرة بمساعدة الولايات المتحدة حتى لحظة كتابة هذا الكتاب ولحظة قراءته. وإن كثيراً من تفاصيل هذه الفظاعات المُغيّبة عن الإعلام لا تختلف في حقيقتها عما قرأناه في حوليات الغزاة قبل خمسمائة عام: «أطفال بعمر سنتين أو أربع سنوات اختطفوهم

أمام عينيّ وشقّوا كلاً منهم نصفين» كما قال شاهد المذبحة التي ارتكبها العسكر بحق الهنود في غواتيمالا عام ١٩٨٢. ويروي شاهد آخر قصة هجوم على الهنود: «قتلوا الأطفال بالساطور. بعضهم بعمر سنتين، وبعضهم تسعة أشهر. قتلوهم ثم أحرقوهم... أما أبي فغرسوا منجلاً هنا (وأشار إلى صدره)، ثم فلقوا قلبه وأحرقوه. هذا هو العذاب الذي لن ننساه[١٠٦].

وفي كتاب مثير يتحدث عن دور الولايات المتحدة في هذه الفظاعات لأستاذة الدراسات الأميركية في جامعة كاليفورنيا، سانتا كروز، سوزان جوناس Susanne Jonas نقرأ:

في الساعة الواحدة بعد الظهر، بدأ الجنود بإطلاق النار على النساء داخل الكنيسة الصغيرة. ولما لم يمت معظمهن عزلوهن عن أطفالهن... وقتلوهن بالساطور، ثم عادوا لقتل الأطفال الذين كانوا يبكون ويصرخون. الرجل الذي روى هذه المذبحة كان مختبئاً في المحكمة. وكان يرى هذه الفظاعات من ثقب في النافذة: يشاهد كيف يشقون بطون الأطفال بالسكاكين، ثم يجرونهم من أرجلهم ويخبطون رؤوسهم بهراوات غليظة. وأخيراً جاء دور الرجال. لقد ساقوهم إلى خارج الكنيسة وبطحوهم أرضاً وأطلقوا عليهم النار. [وتضيف جوناس أن عدد الضحايا في هذه المذبحة بلغ ٣٣٠ قتيلاً]. أما المدن التي دمرت أو أحرقت وأُبيدت من على وجه الأرض فقد زاد عددها على ٤٤٠. بذلك اختفى عشرة آلاف هندي وشُرّد حوالي مليون من أصل أربعة ملايين بعد حرق أراضي أجدادهم وتدميرها...[١٠٧].

تطهير الأرحام من الألغام

«لن تنتصر قيمنا الحضارية ما لم نتخلق بالأخلاق البربرية».

الرئيس: ثيودور روزفلت
في رسالة إلى عالم نفس، ١٨٩٩

«إذا كان لا بد من شعار يرمز لأميركا وتاريخها فليس هناك ما يعبر عن هذه الحقيقة سوى هرم هائل من الجماجم».

المؤرخ ريتشارد سلوتكين Richard Slotkin

يبقى لتعقيم نساء السكان الأُصليين (الهنود الحمر)، داخل ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة، منزلة مقدسة في قلوب «الشعب المختار» تضرب جذورها في أعماق فكرة أميركا نفسها، لا لاستئصال شهود «الإبادة الأطول والأدمى في تاريخ البشرية»[١٠٨] ومحو آثارها وحسب، وإنما لأن الغزاة البيض يرون في رحم المرأة الهندية مزرعة ألغام، فهي التي تنجب الأجيال المقبلة، وتحول بذلك دون السيطرة على ما تبقى من الأرض وثروات الأرض في أيدي الهنود ــ وما

أكرمها. هذا ما تعبر عنه أيضاً الأكاديمية الهندية اينس هرنانديس أفيلا Ines Hernandez-Avila رئيسة قسم دراسات سكان أميركا الأصليين في جامعة كاليفورنيا (دايفيس Davis) بقولها: «لطالما استُهدفت المرأة الهندية وقُتلت، خوفاً مما قد تحمله في رحمها، ذلك أن إنجابها هو تأكيد على استمرار هذه الشعوب الهندية وبقائها على أرضها»[١٠٩]. كذلك يروي مؤلف **الهولوكست الأميركي** دافيد ستانرد David Stannard قصصاً مؤلمة عن مذابح النساء والأطفال التي ارتكبها الرئيس أندرو جاكسون لاستكمال مهمة الإبادة[١١٠]. فبذلك يتحقق أحد أركان «فكرة أميركا» الثلاثة:احتلال الأرض، واستبدال شعب بشعب، وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ.

منذ أربعة قرون وهم ينهشون أجساد الهنود ويشبهونها بأجساد الكنعانيين التي أحل الله لشعبه أن يفعل بها ما يشاء[١١١]. كانوا يتفننون في أنواع الأوبئة التي يقتلون بها هؤلاء الكنعانيين الحمر. أكثر من ٩٣ حرباً جرثومية شاملة شنوها عليهم منذ أن وطأت أقدامهم صخرة پليموث المقدسة في القرن السابع عشر حتى القرن العشرين[١١٢]. «فحيثما وجهت طرفك» والكلام لتوماس مورتون Thomas Morton أحد المستوطنين الأوائل الذين عاشوا مع الهنود، «كنت ترى أكوام الهياكل العظمية»، في منظر ألهم «شعب الله» أن يسمي هذه البلاد بالجلجلة الجديدة New Found Golgtha، لكنها «جلجلة بهيجة أثلجت قلوب مكتشفيها لأنها آية إلهية تدل على رضى السماء عن موت الهنود وعن مواكبة العناية الإلهية لاستعمار العالم الجديد»[١١٣].

مما يرضي الله ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم

الأمراض والموت. هكذا يموت ٩٠٠ من كل ألف منهم، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه. إن على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته» (١١٤)

كما يقول وليم برادفورد William Bradford حاكم مستعمرة بليموث. ثم يمضي في وصفه لحال الهنود:

كان موتهم بالجدري شنيعاً... الجدري يسري سريعاً بينهم من واحد لآخر، وجلودهم تلتصق بالفراش الذي يرقدون فوقه. فإذا ما قلبتهم يقشر جلدهم كله ويسبحون في الدم... ثم يموتون مثل النعاج النتنة. ما أتعس أحوالهم. كانوا يتساقطون الواحد بعد الآخر غير قادرين على مساعدة بعضهم، أو على إشعال نار تدفئهم، أو على جلب ماء يروي ظمأهم، أو على دفن موتاهم... بعضهم كان يزحف على أربع طلباً لجرعة ماء، ثم يسقط ميتا قبل أن ينال مناه..(١١٥).

حجم هذه الإبادة وسرعتها يختلفان من مكان إلى مكان في هذه المنطقة التي تسمى اليوم بالولايات المتحدة والتي كان يسكنها أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب. لكن الدراسات الحديثة تتحدث عن نسبة تُقدر بين ٩٠ و٩٨ بالمئة من أبناء وبنات هذه الأمم والشعوب(١١٦). ويصف رحّالة إنكليزي حال هذه البلاد، بعد قرنين من وصول كولومبس قائلاً: «ليس هناك من الورق والكلام والوقت ما يكفي للحديث عما حل بالهنود وبلادهم من دمار ولصوصية»(١١٧).

صحيح أن الأوبئة التي حارب بها الأوروبيون سكانَ أميركا أسقطت عدداً من القتلى أكبر مما سقط بالقتل المباشر، لكن المؤرخين

لايعللون فَناء ١١٢ مليون إنسان من أبناء العالم الجديد [١١٨] بلوم الأمراض وحسب بل يحاولون الإيحاء بأن هذا الهولوكست الفلكيّ إنما حدث قضاء وقدراً. فالمؤرخ ألفرد كروسبي Alfred W. Crosby مثلاً لايتورع عن القول إن «المستعمرين الأوروبيين لم يريدوا موت السكان الأصليين ولم يقصدوه، ولكن لسوء الحظ [!] ماتوا»[١١٩].وهذا ما وصفه المؤرخ ألكسندر ساكستون Alexander Saxton «بالوجه الناعم للعنصرية ضد الهنود» كما ظهرت في القرن التاسع عشر، وتضمنت فيما تضمنت ذرف دموع التماسيح على هذه «المأساة المشؤومة التي يؤسف لها» والتي كانت «غير مقصودة» و«لا يمكن تجنبها» ولكنها في النهاية تضحيات بسيطة. إنها مجرد «أضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة»[١٢٠].

منذ بداية الغزو البريطاني لشمال أميركا، وتحديداً لجزيرة روانوك Roanoeke ومستعمرتها المفقودة (١٥٩٠)، لاحظ الإنكليزي الموسوعي توماس هاريوت Thomas Hariot أنه «حيثما زار الانكليز قرية هندية: يبدأ الناس بالموت سريعاً جداً، وبكثرة كبيرة جداً». وفي تفسير سحري لهذه «النعمة الإلهية» يقول هاريوت: «إن بعض المنجمين الذين لديهم علم بكسوف الشمس يعزون ذلك إلى الكسوف»، ثم يخلص إلى أن «هناك إرادة إلهية وراء هذا الموت بالأوبئة الفتاكة. ويا للمعجزة: إنها لا تقتل إلا الهنود. إن الله يعاقبهم بسبب عدوانهم على الانكليز»[١٢١]؛ «إنسانِ عين الله وقُرّتـها»[١٢٢].

كان الانكليز ـ وهم يتفننون في «عبادة الذات» ـ يمجدون ربهم ويقدسونه بهذه الحرب الجرثومية، بل كانوا يعتقدون أن السماء هي التي سخّرت هذه الأوبئة لتكنس الأرض أمام زحف شعب الله[١٢٣].

فقدّيس الاستعمار البريطاني للعالم الجديد كوتون ماذر Cotton Mather، مثلاً، كان يعتقد أن الشيطان هو الذي استدرج الهنود للعيش في أميركا ليخلو بهم بعيداً جداً عن المسيح والكتاب المقدس،[١٢٤] لكن مكر الله أكبر، فقد عرف في النهاية مكان الشيطان وأرسل إليه وإلى أتباعه الهنود أقدس محاربيه، الإنكليز، الذين استطاعوا بعون السماء أن ينشروا الأوبئة ويمجدوا الرب[١٢٥].

لم يكتف الغزاة الإنكليز بأن وظفوا ربهم في حروبهم جندياً مهووساً بالقتل والجريمة يتقدم عساكرهم ومستوطنيهم، بل تعمدوا أيضاً أن ينسبوا إليه كل رذائلهم ومذابحهم وفظاعاتهم التي استمرت في زمن السلم وزمن الحرب، مع المحترفين، ومع الهواة، وبشكل جماعي منظم أو شكل فردي يتولاه المستوطنون. فاتهام العناية الإلهية بهذه الحرب الجرثومية، ثم الادعاء بأن ما حدث كان «مأساة مشؤومة يؤسف لها» لا يهدف إلى تبرئة أنفسهم وحسب، بل يهدف في سياق طقوس «عبادة الذات» إلى التبجح بأنهم أنبل من ربهم الذي ارتكب كل هذه الجرائم. لكن هذه الادعاءات لم تَخفَ على الهنود[١٢٦] ولم تَخفَ على المنصفين من المؤرخين بعد اكتشاف الوثائق الدامغة التي أثبتت استخدام الغزاة الإنكليز للسلاح الجرثومي عمداً ووفق سياسة رسمية.

كانت البداية مع ما يسمى بالحرب الهندية الفرنسية التي خاضها الإنكليز (١٧٥٤ ـ ١٧٦٣)، عندما كتب القائد الإنكليزي العام اللورد أمهرست Lord Jeffrey Amherst عام ١٧٦٣ رسائل بخط يده إلى عدد من مرؤوسيه مثل الكولونيل بوكيه Henry Bouquet والكابتن إيكوير Simeon Ecuyer يأمرهما فيها بإجراء مفاوضات سلام مع

الهنود يُهديانهم أثناءها بطانيات مسمومة بجراثيم الجدري «لاستئصال هذا الجنس اللعين». وهنا يذكر المؤرخ كارل والدمن Carl Waldman في روايته عن حصار الزعيم الهندي پونتياك حصنَ Fort Pitt ومَن فيه من قوات بريطانية في صيف ١٧٦٣ أن الكابتن إيكوير حاول كسب الوقت بإرسال بطانيات ومناديل مسمّمة بجراثيم الجدري إلى الهنود الذين يحاصرون الحصن بتشجيع من اللورد أمهرست[١٢٧].

وفي مكتبة الكونغرس مجموعة كبيرة من الرسائل للورد أمهرست جُمعت بهدف حمايتها خلال الحرب العالمية الثانية ضمن «مشروع المخطوطات البريطانية» The British Manuscript Project. هناك ما يقارب ٣٠٠ لفافة خاصة بأمهرست، معظمها صعب القراءة. ومنها واحدة (١٣ تموز/ يوليو) يقترح فيها «توزيع البطانيات المسممة بجراثيم الجدري على الهنود»[١٢٨]. وبعد ثلاثة أيام (١٦ تموز/ يوليو)، كتب إلى بوكيه رسالة من صفحتين مؤكداً على الخطة، وطالباً منه أن يبذل جهده «لاستئصال هذا الجنس اللعين»[١٢٩]. ويبدو أن الجراثيم والأوبئة لم تشف غليل اللورد أمهرست، فقد حفلت هذه الرسائل بدعوة إلى استخدام الكلاب لصيد الهنود، لكن الخطة لم تنفذ لعدم وجود ما يكفي من هذه الكلاب. وبعد عشرة أيام كتب بوكيه رسالة إلى أمهرست يبشره فيها بطاعته قائلاً: «ستُنفذ كل أوامرك»[١٣٠].

وفي رسائل أخرى مكتوبة بلغة دموية باردة تؤكد على عزم الانكليز على الإبادة الشاملة، منها واحدة من بوكيه إلى أمهرست يقول له فيها: «إن هؤلاء الهوام فقدوا كل حق إنساني». ويقول في أخرى: «لا

أستطيع أن أمسك نفسي عن قتل هؤلاء الوحوش كلهم». أما أمهرست فيكتب إلى وليم جونسون William Johnson مدير دائرة هنود الشمال يبشره فيها بأن «هناك خططاً جاهزة ستؤدي إلى تصفية هذه الأمم الهندية». ثم في رسالة أخرى يأمره: «ضع حداً حاسماً ونهائياً لصميم وجودهم». «إنني لا أعبأ متى يهربون [إلى الغابات] فمخلوقات الغابات أفضل رفاق لهم وأقرب إليهم من البشر»[١٣١]. وهناك تأكيد آخر على هذه الدموية الباردة وارد في يوميات وليم ترنت William Trent قائد المليشيا في مدينة بيتسبرغ Pittsburgh أيام الحرب على الزعيم پونتياك حيث يقول: «أعطيناهم بطانيات ومناديل من مستشفى الجدري. أرجو أن تفعل فعلها ويكون لها النتيجة المنتظرة»، ثم يضيف قائلاً إن «خطة هذه الحرب البيولوجية تمت بموافقة اللورد أمهرست ومساعديه»[١٣٢].

هذه الحرب البيولوجية لم تجد مثواها الأخير في متحف التاريخ بعد، فما زالت نارها توقد بأيدي أبناء «إنسانِ عين الله وقُرّتِها» إلى اليوم. هنا في هذه الغابة البشرية، تَستشرسُ حملةُ احتطابِ نسل الهنود وأرواح أجيالهم قبل أن تتبرعم في أرحام الأمهات. ويوماً بعد يوم يتوحش هذا التعقيم «الاختياري» ويفحش، وساعة بعد ساعة يزداد عدد المعَقَّمين والمعَقَّمات من هذه البقية الناجية من أطول وأدمى حرب إبادة عرفها التاريخ الإنساني.

أكثر الأرقام تواضعاً تتحدث عن تورط مصلحة الصحة الهندية Indian Health Service بتعقيم ٢٥ بالمئة من صبايا الهنود اللواتي لم يتجاوزن الخامسة والعشرين من عمرهن. وكما هو منتظر فقد لجأت إلى خداعهن والكذب عليهن فلم تخبرهن بحقيقة ما تفعله بهن.

وكانت حين يرفضن أو يترددن تُكرههن وتُرهبهن للتوقيع على أوراقٍ تحتاج إلى محامين متخصصين لفك طلاسمها[١٣٣]. بل إن بعض اللواتي أُكرهن على هذا التعقيم «الاختياري» لم يوقّعن إلا بعد العملية، وليس قبلها بمهلة ٧٢ ساعة كما تنص القوانين التي لا تسري على الفقراء والمستضعفين[١٣٤]. ثم إن موظفي الحكومة ومصلحة الصحة الهندية استظلوا بما يسمى بالتخطيط الأسري Family Planning لقطع دابر هذه الأسر نهائياً. فبينما دل إحصاء عام ١٩٧٠ على أن معدل إنجاب المرأة الهندية هو أكثر من ثلاثة أطفال (٣,٧٩) نجده قد انخفض بقدرة قادر إلى أقل من نصف هذا المعدل في إحصاء ١٩٨٠. فمعدل ولادات نساء هنود الأپاشي Apache وزوني Zuni، مثلاً، انحفض من أربعة أطفال (٤,٠١) إلى أقل من اثنين (١,٩). أما المعدل العام لكل الشعوب الهندية فقد انخفض من (٣,٢٩) أطفال إلى (١,٣) طفل[١٣٥].

بعض الدراسات ذهب إلى أن التعقيم شمل ٥٠ بالمئة من نساء الشعوب الهندية ما بين ١٩٧٠ و١٩٧٦[١٣٦]. ففي ١٩٧٤ عام اكتشفت الطبيبة الهندية كوني پينكرتون ــ أوري Connie Pinkerton-Uri في سجلات المستشفى حيث تعمل في ولاية أوكلاهوما نسبة مرتفعة من النساء اللواتي أُخضعن لعمليات التعقيم. ولدهشتها فقد تبين لها أن الضحايا كلهن من الهنود وأنه تم تعقيمهن بعد يوم واحد أو يومين من وضعهن. ولاحظت أن عدد اللواتي خضعن للتعقيم في هذا المستشفى كان وحده ٤٨ ضحية سبقته مئات العمليات التي لا تتم عادة إلا في حالات السرطان. وقدّرت كوني (وهي شيروكية من قبيلة شكتاو Choctaw-Cherokee) في دراستها عدد من تم تعقيمهن من قبيلتها وحدها بأكثر من ٢٥ ألف صبية دون الخامسة والعشرين،

وقالت إنه لم يبق في شعبها ـ آنذاك ـ سوى ١٠٠ ألف امرأة قادرة على الحمل، وإن الهنود في هذا البلد يتلاشون مهما لفّقت الحكومة وإحصائياتها من مزاعم[١٣٧].

وتكشف دراسة أخرى أعدتها منظمة «نساء كل الأمم الحمر» Women of All Red Nations في ساوث داكوتا، كيف أن النساء الهنديات خضعن للتعقيم «طوعاً» بأوراق لم تكن بِلُغَتِهِن، إثرَ تهديدات لهن بأنهن سيمتن أو يخسرن إعاشتهن إذا ما أنجبن. وتحدثت هذه الدراسة عن الميزانيات المالية الهائلة التي رصدتها الدولة الفيدرالية لتعقيمهن مشيرة إلى رسالة ماجستير جريئة أعدتها الهندية سالي توربي Sally Torpy لقسم التاريخ في جامعة نبراسكا أوماها[١٣٨]، وثّقت فيها ارتفاع ميزانية البرنامج من ٥١ مليوناً في عام ١٩٦٩ إلى ٢٥٠ مليوناً في عام ١٩٧٤، وارتفاع عدد الضحايا الهنود من٦٣ ألف امرأة بين عامَي ١٩٠٧ و١٩٦٤ إلى ٥٤٨ ألف امرأة ما بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٧[١٣٩].

المُرضعة الأميركية للهولوكست النازي

«إن هتلر ينافسنا الآن على لعبتنا».

جوزيف دو جارنيت Joseph de Jarnette، (مدير أحد المعسكرات الحكومية للتعقيم الجماعي في ڤرجينيا)

«تفريغ العالم الجديد من سكانه الأصليين كان السحابة التي أمطرت بالهولوكست النازي».

الفيلسوف الصهيوني ستيڤن كاتز Steven Katz

«مَن لا يحتفل بإبادة سكان أميركا الأصليين إنسان يكره إنسانيته. إنه مخبل، جاهل بليد... هذه الإبادة تستأهل التمجيد والفخار لأنها ساهمت في تحسين الوضع الإنساني»(!)

كريستوفر هيتشنز Chirstopher Hitchens (كاتب وناقد وصحافي من أصل بريطاني)

على الرغم من عشقهم المَرَضي لاحتكار مفهوم الضحية بالمطلق، زماناً ومكاناً ومعنى، وإدمانهم على اتهام كل من يشكك بحقهم في

هذا الاحتكار بالكفر والتجديف»[١٤٠]، لم يتمالك بعض مؤرخي الهولوكست أنفسهم أمام مغريات تشبيه ما جرى لليهود في ألمانيا بما جرى لسكان أميركا الأصليين. بل ذهب الروائي رافائيل سليغمن Rafael Seligmann إلى حد وصفهم بأنهم «هنود ألمانيا»[١٤١]، أما المؤرخة لوسي داڤيدوڤيتش Lucy Dawidowicz فوصفت اقتراح «إنشاء وطن قومي لليهود في مدغشقر بأنه صورة عن المعازل التي يعيش فيها الهنود»[١٤٢]. وهي صورة قد تبدو واقعية من حيث الشكل، لكنها ككل هذه المقارنات الملغومة بِحِيل عقلية مغرية تنسى أن هذه المعازل التي آل إليها مصير الهنود هي شظايا صغيرة جداً من بلادهم التي اغتصبها الغزاة، وأنها بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم وليست ملكاً لشعوب أخرى كحال مدغشقر أو ليبيا أو فلسطين التي بحث هرتزل إمكانية جعلها وطناً قومياً لليهود. أليس هذا ما سمعه هرتزل (كما ذكر في يومياته ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩٠٤) من مَلك إيطاليا ڤيكتور عمانوئيل حين يئس من اقناعه باغتصاب فلسطين واقترح عليه (عام ١٩٠٤) أن «يهب» ليبيا لليهود: «لكن هذه أيضا وطنٌ لشعب آخر» Ma e ancora casa di altri؟

هذه الحيل العقلية المغرية كانت، وما زالت، حشيش المؤرخين الأميركيين الذين تجاهلوا أو استهتروا أو استخفوا أو برروا هذا الهولوكست العضال الذي تعرض له سكان أميركا الأصليون وتتعرض له شعوب العالم، على الرغم من أنه الأكبر والأدمى والأطول في التاريخ البشري. بهذه الحيل العقلية، تحاول ثقافة هذا التاريخ، لا أن تخدع العالم وحسب، بل أن تخدع نفسها أيضاً، حين تغسل الدم الذي يقطر من كل صفحات تاريخها بالحديث عن فظائع تاريخ الآخرين. وهذا ما أصبح نبراساً ومثلاً وحيداً فريداً تحتذيه دراسات

الهولوكست في العالم، دون أن يُستثنى من ذلك مواقف ودراسات بعض البهاليل العرب الساعين إلى كسب رضا الرجل الأبيض ورُشاه.

المؤرخ اليهودي بيتر نوفيك Peter Novick يتهم كل محاولة لكسر احتكار اليهود للهولوكست ومفهوم الضحية بأنه «عدوان مجرم على الحقيقة والذاكرة»[١٤٣]. ثم يقول، وهو على حق، إن هذا الهولوكست [المحتكَر] صار نوعاً من الدين المدني للأميركيين عامة[١٤٤] ولليهود الأميركيين خاصة.

بذلك تُشكل هذه الحيل العقلية طقساً آخر من طقوس «عبادة الذات» المتأصلة في الثقافة الأميركية، بل وفي فكرة أميركا نفسها. بهذه الخدع العقلية وجد المؤرخون الأميركيون ما يُسقطون عليه جرائم تاريخهم وهم مرتاحو الضمير، كما يعبر عن ذلك المؤرخ الهندي الأحمر جيرالد ڤيزينور Gerald Vizenor[١٤٥]. وللمسرحي والروائي الهنغاري جيورجي تابوري György Tábori استعارة فاحشة ومثيرة لهذه الحيل العقلية المغرية حيث يصفها بأنها «عدوان جنسي على العقل»[١٤٦]. وبالطبع فإن الهدف النهائي لهذه الخدع العقلية هو خدمة ثقافة الإبادة التي هي حجر الرحى في فكرة أميركا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؛ فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب، وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ.

ليس في الولايات المتحدة مَن يشك في أن الهولوكست النازي الذي أودى بحياة عشرات الملايين من الأوروبيين كان وصمة عار على التاريخ الألماني وكان من أبشع الجرائم ضد الإنسانية في القرن العشرين. لكن فيما نجد نسيج الثقافة الألمانية المعاصرة مرتَهَناً بكل ألوانه لجريمة الهولوكست النازي، نرى المؤرخين الأميركيين، الذين

لا تهتز شعرة في مفرقهم لإبادة أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب في المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة، ينظرون إلى هذه الجريمة باستهزاء وانكار. فهم في أنبل مواقفهم يرون أنها مجرد «أضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة» و«تضحيات لا بد منها» لولادة أعظم أمة على وجه الأرض!

المؤرخ العنصري جيمس أكستل James Axtel لا يكتفي بالتشكيك والاستهتار بالهولوكست الأميركي، بل يدعو إلى محوه من الذاكرة والتعالي عليه بعد أن ولدت منه «أعظم أمة على وجه الأرض»:

> إننا نسيء إلى أحكامنا التاريخية حين يتملكنا وخز الضمير تجاه الذنوب الحقيقية أو الخيالية التي ارتكبها آباؤنا وأجدادنا. يجب أن نضع حداً لجلْد أنفسنا [لا أعرف متى جلدت أميركا نفسها] بأصولنا الإمبريالية، وتشويه صورتنا بريشة القطران السوداء؛ قطران الإبادة. إننا أمة عظيمة ذات قوانين ونظام وحساسية مفرطة، ولسنا مذنبين بقتل نساء الهنود وأطفالهم أو بوسم العبيد في جباههم أو باغتصاب أي أرض في العالم [!][١٤٧].

لا أدري ما ردة فعل هذا المؤرخ لو صدر مثل هذا التبرير للهولكست النازي عن أي مؤرخ ألماني أو أميركي. فما زالت فكرة المقارنة بين الهولوكست الأميركي والنازي ـ مجرد فكرة المقارنة ـ من الكبائر والمحرمات التي قد تفضي بصاحبها إلى فقدان عمله ومضايقته في رزقه، وتشويه سمعته وعَضّه، إن لم تنته به وراء القضبان. هذه إحدى أنكر الكبائر في الدين المدني الأميركي، يرضعها الأطفال قبل حليب أمهاتهم، ويتعلمها التلاميذ في المدارس، ويجترها السياسيون

والإعلاميون والأكاديميون قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. ولهذا فهي متجذرة في الوجدان والضمير الأميركيين بل لعل سبب تجذرها هو كثرة الوحل في هذا الضمير. هناك نوع من السرد السحري لخرافتي «الشعب المختار» و«القدر المتجلي» يتحكم بفهم الأميركيين لتاريخهم ولسيرورة هذا التاريخ، ترثها أجيالهم عن بعضها منذ موجات الغزو الأولى. إنها طبيعة ثانية ذابت في معارف شعبية ومعتقدات تقليدية شائعة لدى ملائكة المؤسسات التنويرية والقانون والنظام والتقدم والإحسان والحرية والحداثة والديمقراطية. وبالتالي فإنه من نافلة النوافل تلك الجهود التي تبذلها آلة الكذب لتزييف الحقائق وتحويل هؤلاء الملائكة الأبرياء الطيبين إلى جلادين مقدسين. هذه الطبيعة الثانية، التي جعلت من ملائكة المؤسسات التنويرية جلادين مقدسين، مازالت منذ أربعة قرون تطرد البشر الآخرين من ملكوت البشر وتستحل أرضهم وحرياتهم وأرواحهم وتصوغ أمجاد التاريخ الأميركي ومآثره العظيمة.

إننا فيما نرى هذا الإصرار الأميركي على نخر ضمير ألمانيا والعالم بالذنب والمهانة والجريمة عبر طوفان الكتب والدراسات والمسرحيات والأفلام الخاصة بالهولوكست النازي ومحاولة عولمة ذلك وفرضه على برامج تعليم الشعوب، بما في ذلك الشعب الفلسطيني، نراها على لسان المؤرخين الأميركيين تستهتر بإبادة أكثر من أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة، بل تراوغ وتعيد صياغة هذا الهولوكست الأكبر والأدمى والأطول في التاريخ البشري لتصنع منه أمجاداً ومن مجرميه أبطالاً وقديسين[١٤٨].

كل أبطال الجرائم النازية شُوّهت سمعتهم ووجوههم، وحوكموا

ونالوا جزاءهم، فيما أنزل الحلفاء بألمانيا وشعبها دماراً وموتاً يخجل منه النازيون، ثم كفّروا عن ذنوب النازية بذبح فلسطين وأهل فلسطين بعد أن احتكروا الهولوكست عنصرياً لبعض ضحاياه. أما مجرمو الهولوكست الأميركي كلهم بلا استثناء فقد صنعت الولايات المتحدة منهم أيقونات مقدسة .

الرئيس أندرو جاكسون Andrew Jackson الذي تزين أيقونته المقدسة ورقة العشرين دولاراً كان يتباهى بالقول إنه يسلخ جلود كل من يقتلهم ويحتفظ بها، وأنه سلخ جثث مئات الهنود وجدَعَ أنوفهم ودبغَ جلود أجسادهم لجعلها أعِنّةً للخيول(١٤٩). كان هذا القديس الأميركي يأمر القوات الأميركية بقتل كل نساء الهنود وأطفالهم والبحث عنهم في مخابئهم لاستكمال هذه الإبادة(١٥٠). هذه العبارات والأفعال، التي لم نسمع مثلها من أفواه النازيين والتي ظل يكررها إلى أن مات، تحولت في كتب التاريخ المدرسية إلى بطولات وأمجاد. ففي رسالته السنوية الثانية إلى الكونغرس، مثلاً، يؤكد جاكسون على سحر هذه الخدع العقلية التي تعشّش اليوم في وجدان الأميركيين ويقول: «على بعض الأميركيين الذين يتباكون على طرد الهنود إلى القبور أن يفهموا بأن هذا لا يختلف عن موت جيل من أجل أن يفسح المجال للجيل الذي يليه»(١٥١).. هناك اليوم مدن أميركية عديدة باسم أندرو جاكسون تخليداً لبطولات هذا الرئيس القديس الذي وهب حياته للهولوكست الأميركي، وهناك مئات التماثيل التي تصوره في مواقف استعراضية يتواضع أمامها الأنبياء، منها واحد تحت قبة الكونغرس وآخر في حديقة لافاييت Lafayette المواجهة للبيت الأبيض، متقلداً سيفه، وممتطياً حصانه الجامح نحو السماء ومحاطاً بمدافعه التي دك بها هنود الجنوب.

آباء أميركا المقدسون شاركوا جميعاً في هذا الهولوكست. هذا جورج واشنطن، الذي تظهر أيقونته المقدسة على ورقة الدولار وتخلده آلاف التماثيل وعشرات المدن الأميركية من العاصمة في الشرق إلى ولاية واشنطن في أقصى الغرب، يأمر قائده العام في الحرب على هنود الأروكوا Iroquis بأن يدمر كل ما يجده على وجه الأرض، ويحضه على أن يصم أذنيه عن نداءات السلام أو الرحمة قبل أن تصبح أرض هنود الأروكوا قاعاً صفصفاً. وقد أطاع الجنرال جون سوليڤن John Sullivan أوامر الرئيس واشنطن وكتب له لاحقاً يبشره بدمار كل شيء وبتحويل «تلك الجنان الجميلة إلى قفار مخيفة»، ثم يزف إليه أنباء القتل: «لقد اصطيد الهنود كما تُصطاد الوحوش في حرب إبادة واستئصال»[١٥٢]. وفعلاً فقد كان واشنطن يصفهم بالوحوش والذئاب ويقول إنهم لا يختلفون عنهم إلا في الهيئة[١٥٣]. بهذه الخدعة العقلية التي انطلت عليه أولاً زاغ بصر هذا الفوهرر الأميركي المقدس فلم يعد يستطيع أن يرى في الهنود بشراً، وتحجرت مشاعره الإنسانية فلفظت عنها كل معاني الشفقة ووخز الضمير أمام قتل الهنود أو تدميرهم أو تحويل جنانهم إلى قفار مخيفة، أو أمام الفظائع التي تعرضوا لها على أيدي قواته الذين كانوا يتلذذون بسلخ الجثث من الوركين إلى القدمين ليدبغوها ويصنعوا منها بساطير boots وأجربة leggets جلدية[١٥٤]. كان الناجون من الهنود يسمون هذا المريض بالقتل والدمار «هدّام المدن» بعد أن هدم في أقل من خمس سنوات ٢٨ مدينة من أصل ٣٠ من مدن هنود السينيكا Seneca، وكذلك فعل بمدن وقرى هنود الموهوك Mohawk والكايوغا Cayuga وغيرهم من هنود الشمال[١٥٥]. لهذا ربما قال كومبلانتر Complanter أحد زعماء هنود الأروكوا لواشنطن ذات لقاء

في عام ١٧٩٢: «عندما يُذكر إسمك تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات وتشحب وجوههن. أما أطفالنا فإنهم يتلببون بأعناق أمهاتهم من الخوف»[١٥٦].

كذلك كان آباء الهنود يخيفون أبناءهم بقديسين آخرين مثل توماس جفرسون Thomas Jefferson بعد أن أبلى بلاء حسناً في هذا الهولوكست الأميركي الذي «صنع أعظم أمة في التاريخ». كان جفرسون يأمر وزير حربه بأن يسحق كل هندي يرفض التوسع الأميركي وأن يستخدم البلطة في ذلك. وكان يقول: «لن نرفع هذه البلطة عن رؤوسهم حتى يبادوا عن بكرة أبيهم أو يرحلوا إلى ما وراء نهرالميسيسيبي [حيث كان يُعتقد يومها أن هذا النهر سيكون الحد الفاصل بين الولايات المتحدة وبين الهنود والإسبان والإنكليز الذين يحتلون أجزاء من الأراضي الهندية وراء الميسيسيبي]. نعم، قد يَقتلون بعضاً منا لكننا في النهاية سندمرهم جميعاً، إذ ليس لدى الحكومة الأميركية من خيار سوى مطاردة الهنود واستئصالهم من الأرض»[١٥٧].

هذا الهولوكست الأميركي الذي يزهو بملابس القديسين هو مذبحة للذاكرة البشرية مثلما هو مذبحة لأكثر من ٤٠٠ أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة. ولعل الزعيم الهندي رسل مينس Russell Means أفضل من يعبر عن هذه الأساطير والأكاذيب التي تروجها أميركا عن نفسها:

منذ أن خُلقت وأنا أسمع هذا الهراء والدجل عن أن الولايات المتحدة مثال للحرية ونبراس للديمقراطية، وأن هذا البلد فريد جداً في التنور والإنسانية، وأن التاريخ البشري لم يعرف بلداً

آخر يحاكيه أو يضاهيه في ذلك، وأن هذه «أمة القوانين» لا تعتدي ولا تغزو كما تفعل بلدان أخرى. إنني على يقين من أنكم سمعتم بهذا أيضا، فهذه هي الحقيقة الرسمية في الولايات المتحدة، وهذا ما يتعلمه الأطفال في المدارس، وما تُحشى به أدمغة العامة. حسناً. إن لدي خبراً مراً أزفّه لكم: هذا كذب محض. كل ذلك كذب وهراء ودجل. هكذا كان دائماً وأبداً. لننس الآن الحجج الدامغة التي تفند هذا الدجل من قبل السود والمتحدرين من أصل مكسيكي والمهاجرين الآسيويين هنا في شمال أميركا (دون أن نذكر شعوب المكسيك، ونيكاراغوا، وغواتيمالا، وبورتو ريكو، وهاواي، والفيليپين، وساموا، وتامور، وغويان، وجزائر المارشال، وكوريا، والڤييتنام، وكوبا، والدومينيكان، وغرانادا، وليبيا، وپاناما، والعراق، وعشرات الشعوب الأخرى التي ذاقت ويلات الغزو والاحتلال الأميركي) فهناك حرب إبادة دارت رحاها هنا في هذا البلد [الولايات المتحدة] أيضاً. إنني أتحدث هنا عن الإبادة التي تعرض لها هنود أميركا ــ إبادة بدأت منذ اللحظة الأولى التي رست فيها أول سفينة أوروپية على شاطىء جزيرة تيرتل [السلحفاة] Turtle Island [أميركا الشمالية كما يسميها الهنود] ولا تزال مستمرة حتى هذه اللحظة. ليس هناك من قانون لم تنتهكه الولايات المتحدة ولا جريمة ضد الإنسانية لم ترتكبها... ومازالت هذه الإبادة مستمرة حتى هذه اللحظة(١٥٨).

أكبر حجج فردانية الهولوكست النازي (بعدما اغتصبته لنفسها جماعة واحدة من ضحاياه) مقارنَةً بإبادة ١١٢ مليون أميركي هندي في

شمال وجنوب القارة الأميركية، أن النازيين تعمدوا إبادة ضحاياهم بتدبير مسبق وقصد (وهنا أيضاً، لا يشار إلا إلى فئة واحدة فقط من الضحايا)، أما الهولوكست الأميركي فلم يكن مقصوداً. فقد قُتل سكان القارة بالأمراض، وبِنِيّة حسنة، وليس بالقتل المتعمد المباشر[١٥٩]، وبالتالي ليس هناك من تلوم إذا أردت أن تلوم إلا القضاء والقدر. وهناك من اعترف منهم بأن عدد ضحايا الهولوكست الأميركي أكبر بكثير من عدد ضحايا الهولوكست النازي لكنه برر ذلك بأنه كان مجرد حملة «تفريغ سكاني» Depopulation طبيعية لا تستأهل صفة الإبادة أو الهولوكست[١٦٠]. القتل النازي لليهود دون غيرهم من الضحايا كان من أجل القتل، أما إبادة ١١٢ مليون إنسان في العالم الجديد فلها ما يبررها [ما موقف هذا العنصري لو سمع أحداً يقول إن الهولوكست النازي له ما يبرره؟]. نعم لقد كان لهذه الإبادة ما يبررها في أخلاق الغزاة ولاهوتهم، فهي ركن ثابت في فكرة أميركا؛ فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة. وقد كانت إبادةً بالسيف والنار كما كانت إبادة بالجراثيم. وهي إبادة كانت ومازالت مشفوعةً بالاستعباد، والعمل بالسخرة، والتجويع الإجباري، والترحيل الجماعي، وتدمير البيوت والقرى والمدن والحقول الزراعية وكل أسباب الحياة الاقتصادية، وذلك لاجتثاث شروط المناعة وشحذ مخالب الموت[١٦١].

كأن «فكرة أميركا» لم تكن كافية لتبرير الإبادة في عيون هؤلاء الحصريين العنصريين حتى تردفها عقيدة «القدر المتجلي» Manifest Destiny، التي جندت القدر وأسلحة القدر في حروب المستوطنين الغزاة ومذابحهم، ونسبت إلى القدر كل فظاعات هذه الوحوش البشرية وجشعهم واستشراسهم الدموي في اغتصاب أراضي الهنود

وأرواحهم. وككل العقائد والأفكار الوطنية الأميركية، استمدت عقيدة «القدر المتجلي» جموحها التوسعي وأخلاقها من «فكرة أميركا»؛ فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة. كما تشرّبت أفكارها ومعتقداتها من «عقلانية» الحركة الرومانسية الأوروبية التي عززت شعور «الشعب المختار» بالتفوق المشحون بالتعصب المسلح وشبق السيطرة والاستعلاء، وبالقناعة بأن التوسع الأميركي وفناء السكان الأصليين قدر الأمة الأميركية المتفوقة. إنه القدر الحتمي الذي تقرر منذ الأزل والذي انصاعت له كل قوانين الطبيعة وتجندت له كل قوى الغيب؛ قدرٌ يتجلى في زحف المستوطنين والتجار والمبشرين والمغامرين الباحثين عن الذهب في أراضي الهنود ودمائهم، ويؤكد من جديد على المعنى الإسرائيلي لفكرة أميركا: تلك الخدعة العقلية التي فرّخت أخطر مبررات الهولوكست الأميركي الذي ينكره الحصريون العنصريون[١٦٢].

كان لشعار «القدر المتجلي» فعل السحر في نفوس المستوطنين والسياسيين والجنرالات وآكلي أكباد البشر[١٦٣]، أشاع لهيباً من الحماسة والثقة بأن يد القدر هي التي تقود زحف المستوطنين إلى أقصى الغرب فوق أجساد الهنود. لقد شَحن القدرُ هذا السعارَ الاستيطاني بجشع وحشي إلى المزيد من القتل والمزيد من التوسع خاصة أن الانتصار في حرب المكسيك (١٨٤٦ ـ ١٨٤٨) زاد من القناعة بأن الولايات المتحدة يجب أن تصبح أكبر من الأرض نفسها، أو كما عرّفها آرثر بيرد Arthur Bird عام ١٨٩٩ بأنها ستكون بعد مئة عام «جمهورية كونية Universal... يحدها من الشمال القطب الشمالي ومن الجنوب قارة الأنتركتيكا (القطب

الجنوبي). أما من الشرق فيحدها الإصحاح الأول من سفر التكوين، ومن الغرب يوم القيامة»[١٦٤].

هل من المستغرب بعد ذلك أن هتلر المتدين الأصولي، الذي تَشَرّب بكل أساطير العبرانيين عن تفوقهم واصطفائهم دون بقية البشر وحقهم في استباحة بلاد الكنعانيين وإبادة أهلها، أن يعجب بعقيدة «القدر المتجلي» وأن يترجمها إلى ما يعرف بسياسة «المجال الحيوي» Lebensraumpolitik؟ هذا الجنون الدموي بالتفوق العرقي (أو صِفه بما شئت) المنسوخ أصلاً عن «عقيدة الاختيار الإلهي» هو الذي برر إبادة الأعراق الضعيفة لمصلحة العرق الأعلى، [١٦٥] فقد كان هتلر مفتوناً ـ كما يقول كاتب سيرته جون تالاند John Taland ـ بعقيدة القدر المتجلي وبفعالية الحملة الإبادية لسكان أميركا الأصليين، وكان يعتبرها مثالاً يحتذى في برنامجه العرقي[١٦٦]. وفي هذا يقول المؤرخ الأميركي دافيد ستانرد David Stanard «لو أن هتلر بحث عمّا يعزز أفكاره وبرامجه ويبررها لما وجد أفضل من تبريرات البيوريتانس [الغزاة الإنكليز] التي نسبوها إلى السماء [وهي بالطبع مستمدة من تبريرات العبرانيين لقتل الكنعانيين واغتصاب بلادهم] وأبادوا بها سكان أميركا الأصليين»[١٦٧]. ولست أدري ما إذا كانت زلة لسان من الحَضْري العنصري ستڤين كاتز Steven Katz أن يقول: «إن تفريغ العالم الجديد من سكانه كان السحابة التي أمطرت بالهولوكست النازي»[١٦٨]. وهذا ما يتكشف في عدد من ظواهر التشابك وأوجه الشبه ـ كما بينت في **حق التضحية بالآخر** ـ منها:

* اصطلاح «القدر المتجلي» في الولايات المتحدة واصطلاح

«المجال الحيوي» في ألمانيا النازية كلاهما اعتمد فكرة النماء الطبيعي. فألمانيا النازية والولايات المتحدة كلتاهما آمنت بالحاجة الحيوية لنماء الدولة، وبررت الغزو والتوسع انطلاقاً من ذلك. ومع طغيان نظرية التطور، ساوت كلتاهما بين البقاء survival وبين التوسع الجغرافي انطلاقاً من فكرة «البقاء للأقوى».

* ألمانيا النازية والولايات المتحدة كلتاهما آمنت بأن الاكتفاء الاقتصادي يحتم توسع الدولة، وأن نماء هذا الاقتصاد يتوقف على نماء المجال الحيوي. وكلتاهما ربطت مفهوم الحدود الطبيعية بحدود الاكتفاء الذاتي الذي لا يكتفي أبداً. وهذا ما ترك استقلال الدول الأخرى خاضعاً لمصلحتهما الاقتصادية وجعل حق الشعوب الأخرى في الحياة مسألة فيها نظر.

* ألمانيا النازية والولايات المتحدة كلتاهما اعتمدت استراتيجية جيوسياسية تؤكد على صلاحية الامتداد المستمر للمجال الحيوي. وكلتاهما آمنت بأن هناك حتمية جغرافية لا ترسم من منظار الأمن القومي وحسب، بل من منظار «التفوق» والحق في قيادة العالم أيضاً.

* فكرة الانتماء النورديّ [شعوب شمال أوروبا وشمال الأطلسي] خلقت لدى النازيين شعوراً بأن توسعهم حتمي بسبب تفوقهم الثقافي والعرقي، وأن هذا التوسع واجب أخلاقي توجبه مصلحة الإنسانية وتمليه ضرورة تهميش الفقراء والضعفاء و الأعراق المنحطة. وهو ما أدى لاحقاً إلى اعتقادهم بحقهم في التوسع النهائي من أجل قيادة العالم،

ولخير العالم. وهذا بالضبط ما قدمته عقيدة القدر المتجلي للأنكلوسكسون (الفرع الأميركي)، فهم يعتقدون أيضاً بتفوقهم العرقي والثقافي الذي يمدهم بحق التوسع وقيادة العالم، وحق القضاء على أية مقاومة لهذه القيادة بالحروب والعنف والإبادات. إن أميركا الأنكلوسكسونية لا تزال تعتبر نفسها الأمة التوتونية الأعلى أو الأقوى the most vigorous Teutonic nation، وهي لهذا صاحبة الحق الأعلى في قيادة العالم.

* ألمانيا النازية والولايات المتحدة كلتاهما تؤمن بفكرة انحطاط قوانين وأخلاق الشعوب الأخرى وضرورة عدم احترامها عندما تتعارض مع حقهما في النماء والتوسع. وكلتاهما تعتقد بأن متطلبات النماء والتوسع (الذي يتم بإسم الإنسانية كلها) تفرض الاستهتار بحق الآخرين في تقرير مصيرهم أو سيادتهم على أراضيهم.

* يرى الاستراتيجي البريطاني بيتر تايلور Peter J. Tayler أن النظام الجغرافي/السياسي الذي سبق الحرب الباردة هو الذي حسم الصراع بين الولايات المتحدة وألمانيا على وراثة الامبراطورية البريطانية[١٦٩]. كانت الدولتان تعملان على خطة متطابقة للهيمنة على العالم، وكانتا تتنازعان على وراثة النظام الجغرافي/السياسي الذي هيمنت عليه الامبراطورية البريطانية (انظر الملحق ودور إشعيا بومن Isaiah Bawman في آخر الكتاب). وهنا يقول تايلور: «إننا نفسر الحربين العالميتين بأنهما منافسة عنيفة على وراثة الامبراطورية البريطانية بين الولايات المتحدة وألمانيا النازية»[١٧٠]، وإنه نتيجة للحرب

العالمية الثانية فقد ورثت الولايات المتحدة بريطانيا[١٧١].
«مات الملك عاش الملك».

كان الهولوكست الأميركي ومازال هو الأكثر دموية والأكبر والأدوم على مدى التاريخ البشري المعروف، وهو المثال الذي استعار النازيون أخلاقة وكثيراً من مبرراته وأسلحته، كما استعار الغزاة الإنكليز قبلهم شيئاً من ذلك من أساطير العبرانيين. ولكن فيما أدان العالم الهولوكست النازي دون تردد أو فسحة للدرس والنظر، وأصبحت تلك الإدانة مسلَّمة تتصف بالقداسة والعصمة والشمول والإطلاق. مازال الإرهاب الفكري يحاصر كل محاولة لإدانة المثال الأميركي الذي استعار النازيون أخلاقه وكثيراً من مبرراته وأسلحته. ما زال أولئك الحَضْريون يرفضون مجرد إطلاق صفة الهولوكست على إبادة ١١٢ مليون إنسان من بينهم أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة. ومازال هناك من يعتبر هؤلاء الضحايا مجرد أضرار هامشية لا بد منها لولادة أعظم أمة على وجه الأرض. وهذا ما لم يخفه الرئيس ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt في مقالة كتبها في **الإندبندنت** البريطانية:

كل تاريخنا الوطني كان تاريخاً للتوسع. ففي عهد واشنطن وآدامس توسعنا غرباً حتى الميسيسيبي. وفي عهد جفرسون توسعنا في القارة حتى ثغر كولومبيا. وفي عهد مونرو توسعنا في فلوريدا، ثم في تكساس وكاليفورنيا. وأخيراً عبر «سيورد» Seward وبفضلها إلىٰ آلاسكا، فيما ينشط التوسع سريعاً في ظل كل حكومة أميركية. وما دامت هناك ثغور [على بلاد الهنود] ستبقى الحرب بين المستوطنين والهندي الأحمر أبرز

ملامح الحياة في هذه الثغور. والسبب الأقوى لذلك هو أننا بكل بساطة نعيش في بلد كان يسيطر عليه المتوحشون أو أنصاف المتوحشين. وكذلك هو حالنا اليوم في الفيليبين... لهذا فإن قضية التوسع هي أساساً قضية السلام ...فليس هناك من يبسط السلام في العالم إلا القوة الحربية للشعوب المتحضرة. العرب مثلاً دمروا حضارة شواطىء المتوسط. والأتراك دمروا حضارة جنوب شرق أوروبا... أما النقيض الذي نفعله اليوم والذي أدى الى انحسار هؤلاء البرابرة بعد أن غزوناهم واجتحناهم فقد حل السلام حيثما تقهقر هؤلاء وانهزموا[١٧٢]. وما كان ذلك ليتم لولا أننا ما زلنا نصقل موهبة القتال فينا ونتوسع شيئاً فشيئاً في المجاهل التي يسكنها البرابرة[١٧٣] [والمجاهل وبالطبع، هي كل أرض لا يسكنها الآلهة البيض].

هذه الخدع العقلية التي تقوم عليها الروح الوطنية الأميركية، بدءًا من المعنى الإسرائيلي لأميركا وانتهاء بميتافيزيقا كراهية الكنعانيين الهنود، كانت ولاتزال مركزية في فهم الأميركي لنفسه وللعالم من حوله، بل وفي البناء الوطني والنهج السياسي للولايات المتحدة[١٧٤]. والقضية الأساسية هنا هي أن هذه الميتافيزيقا الوطنية لكراهية الكنعانيين الهنود ــ الكراهية التي أبادتهم بعد أن طردتهم من ملكوت البشر ــ قد تعممت على كل بني البشر، وأن ما يسمى بالتوسع نحو الغرب لا يرى في الغرب جهة أو منطقة، بل يراه شكلاً اجتماعياً يصفه بالتوحش والبربرية والانحطاط والشمولية [وكل شكل اجتماعي مغاير للشكل الأميركي أو لا يخدمه يوصف بهذه الأوصاف] أو غيرها من صفات الاستضعاف الاجتماعي أو العرقي أو الثقافي وما إلى ذلك من

النعوش والأكفان المعدة لشعوب العالم، ثم يعممه على كل كوكب الأرض الذي أصبح «المجال الحيوي» Lebensraum للأمة الأميركية .

لهذا مازال الهولوكست الأميركي مستمراً. إنه ليس تاريخاً مضى وانقضى، بل «واقع يعيشه العالم ويهدد مستقبل الإنسانية» كما تقول الكاتبة الهندية وينونا لا دوك Winona LaDuke نائبة رئيس حزب الخضر والمرشحة لمنصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٩٦. إنها تحذر المستضعفين في الأرض قائلة: «إن تجربتنا مع البقاء يشاركنا فيها الكثير من الشعوب، فهي ليست خاصة بالسكان الأصليين وحدهم، بل هي تجربة بقاء كل هذه الإنسانية التي تهددها أميركا بمصير السكان الأصليين»(١٧٥). وبالطبع فإن الهولوكست الأميركي سيستمر ما لم تضع الإنسانية حداً له كما وضعت حداً للهولوكست النازي. إنه عملٌ لم يكتمل بعد unfinished business ـ وما زال مفتوحاً على المستقبل ويهدد كل المستضعفين في الأرض بكل أعراقهم وأوطانهم وثقافاتهم. لكن لا يمكن إدراك أبعاد هذا الخطر الذي تهدد به الولايات المتحدة كل البشرية بمعزل عن واقع هذا الخطر وعن البعد الميتافيزيقي للجغرافيا السياسية الأميركية .

على مستوى الواقع، قد يصبح هذا الخطر أكثر دموية وجنوناً بعد أن نُقلت «ثروة الأمم» إلى غرفة الإنعاش وآذنت بنهاية «نهاية التاريخ». كل الدلائل تشير إلى أن صنماً أيديولوجياً قد هوى، وأن أخلاق الجشع انتخرت من داخلها وتحولت إلى سرطان في جسد هذا السيكلوپ الجريح. طبعاً مَا زال هناك من يأمل في «صفقة جديدة new deal» تبعث هذه الرمّة من مرقدها. أما دون ذلك، وما ذلك ببعيد، فإن نهاية «نهاية التاريخ» حائرة بين ثلاثة خيارات مُرة: أولها أن

نشهد إنعاشاً لثروة الأمم يستمر معه اقتصاد الربا في «الإنتاج من أجل الربح» وفي الجشع الوحشي إلى تكديس رأس المال، مما سيقود عالمنا إلى كارثة بيئية تؤدي بالإنسانية إلى ما يشبه الانتحار الجماعي. وثانيها أن يتمكن نضال من نوع ما من تشييع «ثروة الأمم» وكل تراث «وول ستريت» إلى مقبرة التاريخ، ولكن دون أن يصوغ نظاماً اجتماعياً قادراً على الحياة بيئياً واجتماعياً. وهذا ما سيُدخل الأرض في فوضى لا نهائية وعنف مميت. أما الاختيار الثالث فأن يتمكن هذا النضال من صياغة نظام جديد يرعى البيئة ويهدف إلى «إنتاج يلبي الحاجات الإنسانية الأولى» ويتميز بمستوى رفيع من الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. بهذا تستطيع الإنسانية التي أنقذت تاريخها من أشداق وحش رأس المال أن تصنع تاريخاً بأيديها وتضع النهاية الطبيعية لـ«نهاية التاريخ» التي لم يعلنها الذين أعلنوها إلا لأنهم جعلوا من أنفسهم آلهة قبل أن يصيروا بشراً.

وعلى مستوى البُعد الميتافيزيقي للجغرافيا السياسية geopolitics الأميركية فإن الوطنية الأميركية القائمة على «عبادة الذات» كانت وما زالت مريضة بأساطيرها الأنكلوسكسونية حول «التوسع نحو الغرب»، وما يسمى في الولايات المتحدة بِـ«فلسفة الثغور الحربية». وسأسمح لنفسي قبل الحديث عن ذلك بأن أذكّر القارىء من جديد بأن هذه الوطنية ليست لها حدود جغرافية أو سياسية حاضرة أو منتَظَرة، وأنها ما زالت تنطلق من الإيمان العميق بأن أميركا كانت وستبقى «جمهورية كونية universal... يحدها من الشمال القطب الشمالي ومن الجنوب قارة الأنتركتيكا (القطب الجنوبي) أما من الشرق فيحدها الإصحاح الأول من سفر التكوين، ومن الغرب يوم القيامة»[١٧٦]. وفي هذا يقول المؤرخ درينون Richard Drinnon: إن

الغرب «في الفهم الأنكلو أميركي يعني أرض الدم والظلمات التي يجب اجتياحها وكسبها... فإذا كان الغرب شكلاً اجتماعياً كما تَصَوَّرَه [فيلسوف «الثغور الحربية»] جيمس تيرنر James Turner فإن كسب هذا الغرب يعني كسب العالم كله وأمْركته وتغريبه وتحديثه، أي إنهم يسعون إلى غزو الأرض كل الأرض». بل إن تيرنر وصف التوسع الدائم والزحف المستمر والحروب المتواصلة بأنها الصمغ الذي يمسك طبقات المجتمع الأميركي ويحول دون تصدعها وانفجارها:

> التوسع... هو الإنجيل الذي أنزله مسيح الاستثناء الأميركي الفتي؛ مسيح الفحولة المطلقة. ولطالما كان الثغر الحربي هو الينبوع السحري الذي تغتسل به أميركا وتجدد صباها. بدون هذه الثغور الحربية ستتصدع طبقات المجتمع وتتضارب وتتسع شقة الخلاف بينها. لهذا تحتاج الفحولة الأميركية إلى التوسع والزحف الدائم(١٧٧).

بينما يقول رجل الكونغرس ووزير العدل كالب كَشينغ Caleb Cushing «من المؤكد أن رجالاً وأمما وأعراقاً سوف تتلاشى أمام زحفنا. هذا أمر حتمي(!) كيف يمكن التغيير نحو الأفضل بدون هذا [التلاشي]؟»(١٧٨).

مشكلة الغرب هي أولاً وأخيراً مشكلة التوسع الأميركي. الغرب هو حجر الرحى الأول في فكرة أميركا نفسها، فبدون احتلال أرض الغير لا تتحقق هذه الفكرة. و«نظرةٌ سريعة على حوليّات الخريطة الأميركية تكشف هذه الحقيقة»، كما يقول تيرنر. الغرب [المقصود بالاحتلال] ليس بجهة، أو منطقة، أو جغرافيا محددة. الغرب هو الإسم الآخر

للدونيّة والاستضعاف. فالرجل [الزاحف] الى الغرب يؤمن بالقدر المتجلي لشعبه المختار حيث يقف على تخوم هذا الغرب الجديد ويتلمظ: أرضه غنيمة، وأهله فريسة .

يقول تيرنر:

> الغرب...شكل اجتماعي. إنه الاصطلاح الذي ينطبق على المنطقة التي تعيش شروطاً إجتماعية وفكرية دونيّة. بهذا الفهم يصبح الغرب بحاجة إلى أن يطوره [الأنكلوسكسون] الذين يأتون إليه من الشرق ليستعمروه ويزيلوا مجاهله ويحولوه إلى ثغر جديد يعيش فيه مجتمع جديد يتطلع من جديد إلى غرب جديد يزحف إليه ويطوّعه للحضارة... وهكذا .
>
> عقوداً بعد عقود، وغرباً بعد غرب، استمرت ولادات المجتمع الأميركي [واستمرت معها إبادات السكان الأصليين]. بهذا المعنى كان [هذا المفهوم الخاص] الغرب قوة بناءة ذات دلالة عظيمة للمجتمع الأميركي. إنه الجوهر الأميركي لأميركا»[١٧٩].

منذ القرن الثاني عشر والإنكليز يؤمنون بأن الإمبراطوريات تواكب الشمس في مسارها من الشرق إلى الغرب[١٨٠]. ثم إن الحماسة لاكتشاف العالم الجديد زادت من القناعة بمسيرة الإمبراطورية مع الشمس غرباً، وإن كان الهدف الأول من هذه الاكتشافات ـ يا للمصادفة ـ هو الشرق. هذا يعني أن شمس «الحضارة» التي تزحف على أجساد الآخرين وبلادهم وثقافاتهم لابد أن تكمل دورتها حول كوكب الأرض، مادام أن الزحف يبتلع غرباً بعد غرب ويتطلع دائماً إلى غرب جديد يزحف إليه ليبتلعه وأهله[١٨١]. «فسنوات حياتهم

قليلة، وإن قدَر الحضارة هو القضاء عليهم هم ووحوش البراري»[١٨٢]، وهو قدر محتوم «يزحف مع توسع الأنكلوسكسون حيثما زحفوا عسكرياً أو اقتصادياً»، كما يذهب عالم الاجتماع العرقي جورج فيتزهو George Fitzhugh ويلح عليه في كل أعماله:

> إن القاصي والداني يعلم أن الإنكليز أو الأميركيين الذين استوطنوا بين الأعراق الوضيعة أصبحوا بسرعة سادة الأرض وأصحابها وراحوا بالتدريج يستأصلون السكان الأصليين...فالهندي الأحمر كالكنعاني [الفلسطيني] المتوحش منذور للفناء... والإبادة هنا عمل ضروري لا غبار عليه لأن القوي، حيثما كان، يبتلع الضعيف مثلما أن النبات والحيوان الأقوى يقضي على الأضعف. كذلك فإن العرق المتفوق يستأصل الأعراق الوضيعة. إن قوانين الطبيعة التي مكنت العرق الأقوى من قهر العرق الضعيف وإبادته [في أميركا] تنطبق على كل مجتمعات الأرض. وإن قدر العرق الأنكلو سكسوني أن يلتهم الأعراق الأخرى eat out all other races[١٨٣]. هذا ما ستفعله أميركا في مكسيكو، وجنوب أميركا، وآسيا، والمحيط الهادي [بل وفي أوروبا]. فعندما يتقدم العرق الأميركي الذي يجري في عروقه أفضل دم ـ دم الأنكلوسكسون ـ تتلاشى الأعراق الأخرى، لأن ذلك وعد إلهي[١٨٤].

لحسن الحظ، قُضي على مجرمي النازية قبل أن يحققوا كل ما كانوا يصبون إليه. ولسوء الحظ فإن الذين انتصروا على النازيين ليسوا أقل شراً منهم. فالعم سام الذي يتجسد اليوم بالعم توم Uncle Tom في

البيت الأبيض ما زال ماضياً في مشروعه داخل الولايات المتحدة وخارجها (انظر الملحق في آخر الكتاب). وما زال يرى في ضحاياه «أضراراً هامشية» لا بد منها لتقدم الحضارة أو لتقدم الديمقراطية إلى آخر هذا الزؤام الأخلاقي. ومازالت الثقافة الشعبية الأميركية المسكونة بالأساطير لا ترى في هؤلاء الضحايا بشراً يستأهلون الحياة. ما قيمة أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه الأرض التي صار اسمها الولايات المتحدة؟ ما أهمية مليون نصف مليون عراقي أبيدوا بالنار والحصار؟ ما قيمة الملايين الذين سحقوا في المكسيك والفيليپين والڤييتنام وكوريا ونيكاراغوا وكولومبيا وكوبا والباهاماس وترينيداد وأرجاء الأرض الأربعة؟ مَن يذكر هؤلاء المتوحشين اليوم أو يبكيهم في الولايات المتحدة؟ كل هؤلاء الضحايا مجردأضرار هامشية تواكب انتشار الحضارة والديمقراطية وطريقة الحياة الأميركية. إنهم الآخر المستضعف المطرود من ملكوت البشر، والمنذور للموت أو الاستعباد. وإنهم لا يختلفون عن ضحايا الهولوكست النازي سوى في أن أميركا المسكونة بعبادة الذات تسألهم، أحياءً كانوا أو أمواتاً، أن يشكروا لها فضلها ونعمتها على ما فعلته بهم، وأن يدفعوا لها ثمن المشنقة وأجرة الجلاد وفوائد ربوية على التأخير .

ثمة عبرة في معرفة أصول كلمة التوحش savagery في اللغة الإنكليزية. فهي كلمة مستمدة من أصل لاتيني silvaticus يعني «مِن الغابة silva». وللمرء أن يتأمل في أبعاد هذا المعنى في سريرة الذين أدمنوا على وصف الآخر بالتوحش ثم أبادوه. ما حدث لأكثر من ٤٠٠ أمة وشعب في هذا البلد المنهوب المنكوب كان حريقاً بحجم قارة أميركا الشمالية، حريقاً هائلاً تعجز عن إشعاله البراكين والزلازل،

حريقاً لم يلتهم بشراً من أطفال ورجال وصبايا وأحياء أبداً. ألم ير ذلك الوعي الأميركي المريض بالجريمة في هؤلاء البشر سوى حطب يحترق قرباناً لحضارة العرق الرباني السيد الذي يجري في عروقه أفضل دم ـ دم الأنكلوسكسون؟ ألم يكن الكولونيل بوكيه الذي سمم الهنود بجراثيم الجدري يعبر عن هذا المعنى حين قال: «كل شجرة هندي وكل هندي شجرة»؟[١٨٥].

لا يتميز الهولوكست الأميركي عن فرخه الهولوكست النازي بطول العمر وحسب، أو بالاستمرار والإصرار على الاستمرار، أو بالحجم الفلكي للضحايا، أو بتطويب مجرميه قديسين وأبطالاً، أو بأنه يسأل ضحاياه أن يشكروا نعمته عليهم، أو بأنه ما زال يسرح ويمرح دون حساب أو عقاب، مُبتذِلاً بمبررات جرائمه وحروبه النبيلة كل معنى للنبل والأخلاق والإنسانية والديمقراطية وحقوق الإنسان؛ بل يتميز أيضاً بأنه لا يختلف عما يسميه علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بالجريمة الطقسية ritual crime التي تشيع البهجة والقداسة لدى مرتكبيها الذين يتلذذون بالقتل والتعذيب والإهانة ومشهد الدم. فعلى مدى خمسة قرون، منذ أن وطأت أقدام تاجر العبيد كريستوفر كولومبس أرض العالم الجديد حتى الإحصاء الذي أجرته الولايات المتحدة عام ١٨٩٢، وتبين أنه لم يبق من السكان الأصليين في المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة سوى ربع مليون إنسان، قضى الهولوكست الأميركي على أكثر من ١١٢ مليون إنسان من السكان الأميركيين الذي يطلق عليهم إسم الهنود الحمر. لقد أبيدوا بالبلطات والسيوف والمُدى الطويلة، واحترق كثير منهم وهم أحياء، واصطيدوا وأطعموا للكلاب، وطُعنوا بالمدى، وسُلخت جلودهم وفروات رؤوسهم، بالسكاكين تارة وبالأسنان تارة، لقاء مكافآت مالية

رسمية، وأجبروا على العمل بالسّخرة المميتة، وتعرضوا لمجاعات قاتلة ومسيرات مميتة، وقُتل منهم الملايين بحروب الأوبئة والجراثيم، وعُرقبت أجسادهم على كُلّاب الجزارين أو ضُمت في السَّفُود لتُشوى على النار، لتُبنى بعد ذلك مدن «الحضارة» على أنقاض مدنهم وقراهم، وليرتفع متحف الهولوكست النازي فوق سوق تجارية لشعب كونوي الهندي الذي أبيد عن بكرة أبيه.

ما رأيناه في سجن «أبو غريب» لم يكن إلا مشهداً صبيانياً بريئاً إذا ما قورن بوحشية مجرمي الهولوكست الأميركي الذين كانوا يسلخون ضحاياهم بأسنانهم[١٨٦]، أو يتهادون في المناسبات والأعياد جماجم ضحاياهم وفروات رؤوسهم[١٨٧]، أو ينزعون الجنين من بطن أمه ويغطسونه بالماء المقدس لتعميده ثم يخبطون رأسه بالجدار ويسحقونه[١٨٨]، أو يقتلون البشر ترفيهاً عن النفس ثم يسلخون قتلاهم ليصنعوا من جلودهم مشاحذ لموسى الحلاقة[١٨٩]، أو يشوون البشر ويأكلون بطاطا مطبوخة بشحمهم[١٩٠]، أو ترصد حكوماتهم جوائز لسلخ فروات الرؤوس[١٩١]، أو يسلقون رؤوس قتلاهم في القدور ويصنعون منها حساء[١٩٢]، أو يتلذذون بأكل أكبادهم، أو يقتلعون فروج النساء ويشدونها على سروج خيولهم أو قبعاتهم، أو يصنعون من ذكر الرجال أكياس تبغ[١٩٣].

وأستطيع أن أسرد قائمة موثّقة بطول مئات الأمتار من أمجاد هذا الهولوكست الأميركي الذي تتقزّم أمامه كل جرائم النازية، لكنني سأكتفي بواحدة من هذه الجرائم الطقسية التي يقيم لها أصحابها أفراحاً وأعراساً. وهي قصة عن فريق أميركي لسلخ الرؤوس بقيادة جيمس كيركر James Kirker نقلها الرحالة الإنكليزي جورج فردريك

رَكستون George Fredrick Ruxton وكان كيركر من أشهر تجار سلخ الرؤوس، فعلى يديه سلخت آلاف الرؤوس. وهناك دراسة فصيحة عنه بعنوان «ملك صيادي فراء الرؤوس King of the Scalp Hunters نشرت في *The Smoke Signal* (خريف) عام ١٩٦٢):

في مواجهة المدخل الرئيسي للكاتدرائية، فوق البوابات التي تشكل إحدى واجهات الساحة، نُشرت ١٧٠ فروة من فروات رؤوس الأباشي الذين ذبحهم صيادو الهنود الذين يتلقون مكافآت من الدولة لقاء ذلك. لقد أحضرت هذه الفروات وعلقت هنا للذكرى والفخار.

من أجل القضاء على المتوحشين، تشكلت شركات مساهمة ترعاها الحكومة التي عرضت مكافأة قدرها ٥٠ دولاراً لكل فروة رأس مسلوخة، وذلك تشجيعاً للناس على إبادة الأباشي.

إن دون سانتياغو كيركر الذي يضيق مجلدٌ كبير بقصص سفكه دماءَ الهنود يترأس عصابة من ١٥٠ سفاحاً. وهذه الفروات المنشورة أمام مدخل الكاتدرائية ليست إلا آخر مآثره ومآثرهم.

في شهر أغسطس/آب، كان الأپاشي في سلام مع الحكومة. ولهذا فقد جاء ١٧٠ منهم إلى قرية غالينا Galeana للتجارة، ظناً منهم أن معاهدة السلام تضمن سلامتهم. ولكن فيما كانوا بدون سلاح يرقصون ويسلون أنفسهم جاءهم كيركر وعصابته. ولم يبد الهنود أية مقاومة، وكأنهم كانوا يلقون بأنفسهم أرضاً ويستسلمون لمصيرهم .

> لم يوفر كيركر شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً. لقد ذبح هؤلاء الضحايا المسالمين دون مقاومة. وكانت بين الهنود امرأة حامل فهربت إلى الكنيسة وتعلقت بالمذبح وصارت تصلي وتطلب الرحمة لنفسها وجنينها. ولكنهم لحقوا بها وطعنوها عدة طعنات صرعتها أرضاً. ثم ـ من الصعب الكتابة عن هذه الفظاعة لكنني أرويها عن شاهد عيان ـ انتزعوا الجنين الذي كان ينبض في بطن أمه، وغطسوه في الماء المقدس لتعميده. وبعدها خبطوا رأسه على الجدار وسحقوه.
>
> وعندما عاد رجال كيركر بمائة وسبعين فروة من رؤوس الأباشي استُقبِلوا بعَراضة حماسية اشترك فيها الحاكم والقس وفرقة من الموسيقى(١٩٤).

ثم يحدثونك عن فرادة الهولوكست النازي وعن أنه يحق لجماعة واحدة من ضحاياه أن تحتكره بل أن تحتكر مفهوم الضحية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، هذا الاحتكار الذي كان مُدَّعوه وراء قتل ضحايا الهولوكست الأميركي مرتين، وكانوا وما زالوا يستثمرون الهولوكست النازي ومفهوم الضحية في جرائم طقسية أدمى من جرائم جلّاديهم.

ملحق:
أنكل أوباما ولسانه المشقوق

«كم أتمنى أن أن أُحَمِّلَ طيَّارة حربية مقاتلة من نوع إف – ١٥ برأسين نوويين، وأقودها طلعةً واحدة نتخلّصُ بعدها من كل ما إسمه سوريا» (تصفيق حاد وهتاف)

عضو الكونغرس سام جونسون،
١٩ فبراير/شباط ٢٠٠٥

يطلق الهنود الحمر على من يخونهم من بني جلدتهم مع المستعمرين البيض اسم «التفاحة» لأنه لم يبق له من هنديته إلا البشرة الحمراء، أما من الداخل فقد أصبح كالمستعمر الأبيض، أبيضَ السياسة والأخلاق، وأبيض النظرة الى معتقدات أهله وثقافتهم وذوقهم وسلوكهم وتراثهم الروحي. كذلك فإنهم يشبهون «مكتب الشؤون الهندية» الذي أنشأه لهم المستعمرون البيض وجعلوه بمثابة «السلطة الوطنية» للهنود الحمر

(*) نُشرت في «الجزيرة نت»، ٣٠ أيار/ مايو، ٢٠١٠. وقد رأيت أن ألحقها هنا لأن كثيراً من أفكارها على علاقة بأفكار الكتاب.

بالنمل الأبيض. ذلك لأن هذه الآفة من أخطر ما يواجهه الأميركيون في حياتهم اليومية لأنها تنخر قواعد بيوتهم وتعطبها من الداخل وربما تؤدي بها إلى الانهيار...

مَن يقوم بدور النمل الأبيض لدى الأميركيين السود يشبهونه بحلوى تسمى «أوريو»، وهي طبقتان من «البسكويت» الأسود وبينهما مادة سكرية بيضاء. لكن الإسم الشائع للأسود المتأبيض هو «أنكل توم». وقد جاء الاصطلاح من رواية «كوخ العم توم» *Uncle Tom's Cabin* (١٨٥٢) للروائية الأميركية هرييت بيشر ستو Harriet Beecher Stowe. «العم توم» في الرواية أسود متفوق أخلاقياً على سيده الأبيض، لكنه استُعمل فيما بعد اصطلاحاً مهيناً لوصف من يخون بني جنسه من السود بالذل والخنوع والمبالغة في التملق للسيد الأبيض. ومن ظاهرة هذا الأسوَد المتأبيض استعارَ علمُ النفس ما يعرف بأعراض وباء العلم توم Uncle Tom syndrome، ومن ذلك المبالغة في النفاق والخنوع والتملق كما يعبر عن ذلك القول المأثور في كليلة ودمنة: «كُلني يا مولاي».

لطالما وَصفت منظمات الحقوق المدنية السوداء أوباما بحلوى «الأوريو» تارة، وبالعم توم تارة أخرى كما أطلقتهما من قبل على كثير من الشخصيات السوداء البارزة التي ما زالت تعمل لمصالحة المؤسسة الأميركية الحاكمة بروح العبد المطيع. ولعل أقرب مثلين على هذا الوباء كما يراه الأميركيون السود المعاصرون هما وزير الخارجية السابق كولن پاول الذي اتخذته «ذي ڤيليج ڤويس» *The Village Voice* أنموذجاً لوباء العم توم، وصَوَّرته وهو يقود حصان طروادة إلى هارلم قلعة السود في نيويورك (١٥ أغسطس/آب

٢٠٠٠)، والمثل الثاني على هذا الوباء يتمثل في تفاني وزيرة الخارجية الأميركية السابقة كوندي رايس في خدمة سيدها الأبيض. إنها على مدى ثماني سنوات من عملها مستشارة للأمن القومي ثم وزيرة للخارجية، وعلى الرغم من معاناتها من العنصرية وهي طفلة في برمنغهام (ألاباما) لم تكتف بأن أدارت ظهرها لبني جنسها في الولايات المتحدة وأفريقيا بل إنها كانت من ألد أعداء حركة الحقوق المدنية السوداء. لقد ورثت عن أبيها القس الفذ وباء العم توم حيث كان يصف المناضلين السود من أجل الحقوق المدنية بقيادة مارتن لوثر كينغ بأنهم «شرذمة نيغرو (واللفظ يستخدم تحقيراً) ضالّون جهلة». أما هي فقد وصفت نضالهم وتضحياتهم وشهداءهم بأنه «عبث لا معنى له». وهنا تعلق مجلة «بلاك كومنتايتور» (١ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٥) بأن «رايس لا تختلف عن أبيها. إنها لن تتورع عن أن تبصق على قبر مارتن لوثر كنغ وعلى تلك النفوس الشجاعة التي بذلت حياتها من أجل أن تكون رايس حيث هي الآن». لكن كوندي التي فتنها «أنكل توم» اللبناني وغمرته بالقبل ذات يوم ليست استثناءً في المؤسسة الحاكمة الأميركية. فمعظم السود في الحزب الجمهوري متهمون كما يقول عضو الكونغرس تيموثي جونسون بأنهم يكرهون بني جنسهم و يطلق عليهم اسم «العم توم» (٦ أبريل/ نيسان ٢٠١٠).

أبرز من أطلَقَ على باراك أوباما اسم «العم توم» هو رالف نادر مرشح الرئاسة الأميركية وأشهر محامي المستهلكين في أميركا، حيث اتهمه بأنه لا يختلف عن سلفه جورج بوش في خدمة الشركات الكبرى؛ شركات الرأسمال والنفط والسلاح وتجارة الموت. وبالطبع لم يكن رالف نادر مخطئاً، فكل وعود أوباما للفقراء وأبناء الطبقة الوسطى

تبخرت ساعة دخوله البيت الأبيض، على غرار كل من سبقه من أصحاب اللسان المشقوق.

كل الحملات الإنتخابية التي شهدتُها منذ أيام رونالد ريغان حتى باراك أوباما، سواء كانت للرئاسة، أو لعضوية الكونغرس، كانت مباريات ضارية في التضليل وشقشقة اللسان؛ لا فرق بين أبيض وأسود، وديمقراطي وجمهوري. كلاهما يحيي كرنفالاً تديره مدارس التمثيل وشركات العلاقات العامة وتُنفَق فيه ملايين الدولارات على «مكياج» الوجوه، ودراسة شكل البسمات والحركات والمصافحات، ومشاهد توزيع القبل الأبوية للأطفال أمام العدسات، وطبيعة الملابس التي يفضلها هذا الجمهور أو ذاك. كلاهما يبيع أسهم حروبه المقبلة في مساومات مافيوية مع مديري شركات السلاح وتجارة الموت، وكلاهما يصطحب زوجته وأطفاله وكلابه ليوهم بأنه رب عائلة مخلص طيب القلب، وكلاهما لا تنكشف فضائح خيانته لزوجته ولا يظهر أطفاله غير الشرعيين إلا بعد خسارته المعركة الانتخابية (يراجَع كتاب شللي روس Shelley Ross عن الفضائح والفساد في السياسة الأميركية *Fall from Grace*).

أما خُطب هؤلاء المرشحين فتتغير لهجتها ولكنتها وموضوعاتها وأساليبها وطريقة إلقائها وتعابير الوجه الملازمة لكل جملة فيها مع طبيعة الجمهور. ففي الأماكن الفقيرة يستعير المرشح لنفسه وجه الفادي المخلّص، فيبيع الآمال والأحلام، ولا يمل من اختراع القصص الكاذبة عن أمه الفقيرة وأبيه «المعتّر» وجارته المعوزة. أما في مناطق «اليانكي» والزنابير (البيض الأنكلوسكون البروتستانت) فيتحدث عن الدور الرسالي لأميركا في العالم، وعن عظمة الشعب

الأميركي وتفوقه واستثنائيته، وعن الحاضر المجيد الذي سيصبح أكثر مجداً وغنى وقوة. وحين يخطب المرشح أمام مناهضي الحرب فإنه يصطنع الحزن، وقد يستعين بما يشبه البصل لدر الدموع على الضحايا الذين يتفطر قلبه عطفاً مع أهلهم ومحبيهم. هنا لا يمل المرشح من الوعد بعدم زج «أطفالنا» في خطوط النار. وهي الأسطوانة التي أدارها كل رؤساء أميركا منذ حرب الڤييتنام. كل الرؤساء علكوا هذه الكليشهات بما في ذلك «العم أوباما» الذي يخوض الآن حرباً في أفغانستان، وحرباً في باكستان، وحرباً (يبدو أن البنتاغون سيوسع رحاها) في اليمن ودول الخليج والصومال وإيران وفلسطين المحتلة.

لم يتغير شيء منذ الڤييتنام حتى أفغانستان. كلها كانت حروباً «نبيلة خيرية» أُسقطت فيها أكثر من خمسين حكومة شرعية وغير شرعية، استبدادية وديمقراطية، وقُصفت بالقنابل أكثر من ثلاثين أمة، ودمرت حياة ملايين البشر في أميركا اللاتينية وأفريقيا والعالم الإسلامي. أبداً، لم يرحل رئيس أميركي من الدنيا وليس على يديه دم شعب من الشعوب، وأبداً لم يعرف التاريخ الأميركي يوماً واحداً؛ يوماً واحداً؛ يوماً واحداً فقط توقَّفَ فيه القتل والتدمير، وأبداً لم يعرف فن الخطابة أبلغ من رؤساء أميركا وهم يحاضرون في العفة إلا ربما رؤساء وزراء بريطانيا. كل هذه الكرنڤالات الانتخابية التي ترتفع فيها الأعلام وأنواع عجيبة من الزينة والزخرف، وتتطاير فيها البالونات على اختلاف ألوانها، ويحشد لها في حفلة الترشيح النهائية آلاف المحازبين والمحازبات هي مشاهد مصممة لتعمي عيون الناخبين والناخبات والمتأمركين والمتأمركات عن أن الديمقراطية في أميركا تبيع جسدها للمال والقوة وفرسان يوحنا البطمي.

وما العم أوباما ببدعة في خطابه ووعوده. إنه لم يَبدُ استثناءً إلا لأنه جاء بعد رئيس مَكابيّ جلف، أخرق المنطق، بذيء اللسان، كَسّر كل شيء بما في ذلك اللغة الإنكليزية المقدسة. أما من حيث اللون فإن أوباما ليس بأسود ولا بأبيض. أمه «آن دنهام» Ann Dunham أميركية بيضاء من كنساس، إحدى قلاع العنصريين البيض والمقر الرئيس للنازيين الجدد المعروفين باسم «الأمم الأريانية». ثم إنه لا يكاد يعرف أباه الأسود «المسلم» الذي قتل في حادث سيارة عام ١٩٨٢. فقد تفرق والداه عام ١٩٦٣ عندما كان في الثانية من عمره فكفلته أمه. ولما بلغ السادسة تزوجت من الأندونيسي «لولو سويتورو» Lolo Soetoro، فحملت ابنها وانتقلت إلى جاكرتا.

كل مدارك أوباما ووعيه الباطن وحساسيته للعالم من حوله تبلورت في كنف أمه، ثم في كنف جدته البيضاء حين عاد من جاكرتا ليعيش معها في هاواي كما تشهد على ذلك سيرته الذاتية بعنوان «أحلام أبي *Dreams of My Father*». وأما طبقياً فالرجل من أصحاب الملايين. صحيح أن ليس هناك من معلومات واضحة عن ثروته، لكن من المعروف أن دخله في عام ٢٠٠٥ كان أكثر من مليوني دولار، وأن صلاته الوثيقة بغابة الرأسمال مكنته من أن يجمع ٥٨ مليون دولار في الأشهر الستة الأولى من حملته الانتخابية. هناك دائماً خلط مغشوش لأوراق هذه اللعبة الطبقية/العرقية التي تديرها مافيا المال والسلاح وتجارة الموت بإسم الديمقراطية في أميركا.

وبالتأكيد فقد كان لرعونة بوش (الإبن) الفضلَ الأكبر في نجاح أوباما وخسارة منافسه العجوز جون مكّاين. كانت هذه الرعونة تطارد العجوز الدموي المخضرم وتنخر أعصابه، بل كانت الكابوس الذي

سكن حملته الانتخابية. كل الأكاذيب التي افتراها مكّاين ليوهم الناخبين بأنه ليس «بوشاً» آخر يتحدث مع الله ولا يفتح فمه إلا للأكل والكذب وتناول المخدرات لم تنفع. وهذا ما عزز من أوهام الكثيرين الذين ظنوا بأن انتخاب رئيس ديمقراطي لا أسود ولا أبيض سيرأم جراح أميركا في الداخل ويلمع صورتها في الخارج. أُففففف! بعد الآن لن يكون هناك دِك تشيني آخر ولا دونالد رامسفيلد جديد، وسيتطهر مجلس الأمن القومي من مستشارةٍ سوداء بَزَّت النازيين في دعواها إلى «تغيير العقل العراقي كمقدمة لتغيير العقل العربي». انتهت الجعجعة واللغة الفجة والقتل المسرحي. لقد أسدلت الستارة على «الأخ الأكبر» واستعاد مسدس أميركا كاتم صوته مثلما استعادت السياسة الخارجية قفازها المخملي. وهذا لعله التغيير الوحيد الذي جاء به العم أوباما. فشركات السلاح صارت تعمل ٢٥ ساعة في اليوم، وشركات المال التي لم يكفها ما سرقته من الفقراء والطبقة الوسطى تسرق الآن مال الدولة. لقد حول إليها العم أوباما في «نهاية التاريخ» أكبر كمية من الثروة في التاريخ الأميركي. أما الأهداف الاستراتيجية الكبرى التي رعتها كل الإدارات السابقة، ديمقراطية وجمهورية، فما زالت هي هي، منذ بداية القرن الماضي على الأقل.

كل ما في «كوخ أنكل أوباما» وتاريخه وتصرفاته وتصريحاته التي يضرب بعضها بعضاً يؤكد على أنه لا يختلف إسرائيلياً عن كوخ «أنكل بوش» وعن التزام الإدارات السابقة بالمفكرة الصهيونية. فقبل أن يبدأ بنصب مصيدته للمغفلين المسلمين مستعيناً بمكاتب الشؤون الهندية وعباءات القلاع الصليبية في العالم العربي وبمراكز العلاقات العامة (مارتن إنديك أند كو)، كشف أوباما في لقاء مع جفري غولدبرغ *The Atlantic*، ٢١ مايو/أيار ٢٠٠٨) عن عمق الفكرة

الصهيونية والأخلاق اليهودية في تربيته وثقافته ومشاعره، وعن التزامه بهذه الفكرة التزاماً لا يختلف عن جورج بوش. ويروي أوباما أنه كان في جنوب أفريقيا حين اعتدت إسرائيل على لبنان في عام ٢٠٠٦ فألقى خطاباً بتلك المناسبة جاء فيه: «لا يخطرنّ ببال أحد أن أميركا ستقف موقفاً ألطف من موقف جورج بوش عندما يتعلق الأمر بأمن إسرائيل ... ولا يتوهمنّ أحد بأنه سيجد في ظل رئاستي أي موقف أقل صلابة بأمن إسرائيل». («أمن إسرائيل» في اللغة الأورويلية الأميركية يعني أمن الاحتلال الإسرائيلي، وأمن الاستيطان، وأمن توفير المجال الحيوي لهذا الاحتلال والاستيطان في أي بقعة من العالم العربي).

وفي رام الله يخاطب أنكل أوباما مجموعة من الطلاب الفلسطينيين، تحت سمع وبصر كبير المهرجين الفلسطينيين فيقول (المصدر السابق): «إسمعوا جيداً. إذا كنتم تنتظرون من أميركا أن تبتعد عن إسرائيل فأنتم واهمون، واهمون. إن التزامنا، والتزامي أنا شخصياً بأمن إسرائيل لا يقبل نقاشاً». ثم يكشف عن دور اليهود في حياته الشخصية والسياسية فيقول متباهياً: «اليهود وراء نجاحي في شيكاغو. إن لهم دوراً مركزياً في هذا النجاح... لهذا يتهمني السود بأنني أقرب إلى اليهود مني إلى السود». (لعل أطرف ما في هذا «التهود» قول إيلينا كاغَن Elena Kagan التي اختارها أوباما قاضية في المحكمة العليا بأنه «أول رئيس أميركي يهودي»). ثم يسرد بعض التفاصيل العاطفية عن الكتب والمؤلفين اليهود الذين صاغوا حساسيته الأولى مثل ليون أوريس Leon Uris وفيليب روث Philip Roth: «لقد تعلمت فن الأخلاق من اليهود... إن فيليب روث صاغ حساسيتي [لروث علاقة غريبة مع الموساد كما يدل كتابه: «**عملية شايلوك**» *Shylock A:*

Confession Operation]... وعندما أفكر بالفكرة الصهيونية إنما أفكر بمشاعري التي تكونت تجاه إسرائيل حين كنت في الصف السادس ودخلت معسكراً يشرف عليه يهودي أميركي أمضى وقتاً في إسرائيل [للسياحة؟].. تلك كانت أعرق ما في ذاكرتي عن إسرائيل التي امتزجت بعد ذلك بالإعجاب بالتجربة الصهيونية في المستوطنات الجماعية (الكيبوتز)».

ومثل هذه المبالغات النفاقية، إن صحت، فإنها تنسجم مع «أعراض «وباء أنكل توم» ومع الأهداف الاستراتيجية الكبرى التي رعتها كل الإدارات السابقة، ديمقراطية وجمهورية. وهنا لابد من التذكير بأن ما يسمى «بمشروع القرن الأميركي الجديد» الذي شاع صيته في زمن بوش ليس بجديد على الإطلاق، بل كان محاولة يائسة لتطوير مشروع «نازي أميركي» مضاد تبناه الرئيس وودرو ولسون الذي زعم هو أيضا بأن الله تحدث معه في ردهات البيت الأبيض. أما مشروع الرئيس ولسون فقد وضعه الاستراتيجي الجغرافي الأميركي إشعيا بومن Isaiah Bauman ورسم فيه معالم الإمبراطورية الأميركية في القرن العشرين مؤمرِكاً فيه أفكار الألماني النازي فريدريك راتزل Friedrich Ratzel عما يسمى بالمجال الحيوي (ليبنزراوم).

ويتلخص هذا «المجال الحيوي» الأميركي بأن ترث الولايات المتحدة مستعمرات بريطانيا والقوى الاستعمارية الأوروبية الأخرى بحيث لا يبقى شبر من الأرض خارج السيطرة الأميركية، مؤكداً على أن من يتحكم بما سمي يومها حديثاً بـ«الشرق الأوسط!» يتحكم بالعالم كله على أن تكون التكلفة قليلة. لكنه استثنى من هذه التكلفة القليلة جزر الفيليبين التى قال الرئيس ولسون بأن الله نفسه أمره

باحتلالها. (اصطلاح «الشرق الأوسط»، أو «الأدنى» سابقاً، افتراه «مكتب الهند» البريطاني في خمسينيات القرن التاسع عشر بهدف تزوير هوية المنطقة العربية الإسلامية ودس ما ليس منها فيها، لكنه لم ينتشر إلا بعد أن استخدمة الاستراتيجي البحري الأميركي ألفرد ماهن في عام ١٩٠٢. وما يزال هناك عرب ومسلمون يستخدمونه للتدليل على حقيقة وعيهم بهوية هذه المنطقة).

هذا الهوس الأميركي بوراثة مستعمرات بريطانيا والقوى الاستعمارية الأوروبية الأخرى هو التفسير الوحيد لموقف الرئيس أيزنهاور من عدوان السويس. لقد وجدت أميركا في حرب ١٩٥٦ فرصتها الذهبية لكي تعلن للعالم: «مات الملك عاش الملك».

بومن هو الذي حدد المفاهيم واللغة والمبررات اللازمة للمجال الحيوي الأميركي على أساس اقتصادي: إن تراكمُ الرأسمال والإنتاج فى أميركا يحتاج إلى غزو ساحق لِـ«أسواق العالم»، كما أوضح ذلك في كتابه **العالم الجديد** *The New World* (حوالي ٨٠٠ صفحة وأكثر من مئتي خريطة) الذي أصبح إنجيل ما يسمى القرن الأميركي في البيت الأبيض منذ وودرو ولسون حتى جورج بوش. هذا نظام عالمي جديد محورُه حقُّ أميركا في سرقة كل شعوب الأرض باعتبارها «المجال الحيوي» للاقتصاد الأميركي. أمةٌ، قدرُها المتجلي أن تزداد غنى على حساب ما يصفه بومن بالشعوب والأعراق الضعيفة. ومنذ مقدمة الكتاب يقول بومن «إننا مضطرون، شئنا أم أبينا، إلى أن نمسك بزمام العالم الحالي، بطريقة أو بأخرى».

بهذا المنطق شارك بومن في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩

بتكليف من ولسون، وبهدف «نقل صولجان الإمبراطورية البريطانية من لندن إلى واشنطن». كان يعلم أن القوى الاستعمارية الأوروبية لا تزال في المركز السياسي للعالم و«لا بد من اتباع استراتيجية جيوسياسية لتغيير هذا الواقع بحيث تصبح أميركا هي المركز السياسي للعالم، وتصبح هي المسيطرة على عصبة الأمم» (الأمم المتحدة لاحقاً).

أما كيف ستفتح واشنطن مستعمرات القوى الأوروبية للرأسمال الأميركي المتوحش فهو ما شكّل الشغل الشاغل للإدارات الأميركية منذ ولسون حتى ترومان. لقد ركز ولسون وكل من جاء بعده من الرؤساء على حرية التعامل التجاري بين الدول المستقلة (أوروبا)، وعلى أن تحصل المستعمرات المؤهلة للاستقلال على استقلالها في ظل سلطة وطنية لا تختلف عن «مكتب الشؤون الهندية». أما المستعمرات غير المؤهلة فيجب أن تحكم مباشرة من قبل مفوضيات دولية أو انتداب دولي. ثم سعت أميركا بعد الحرب الثانية إلى استيعاب القوى الاستعمارية نفسها في المجال الحيوي الأميركي. وهذا أهم ما تعرض له الرئيس ترومان في خطبة ولايته الثانية عام ١٩٤٩ حيث أراد استيعاب أوروبا بمشروع مارشال، على أن يليه برنامج استثمار وتنمية في المستعمرات الأوروبية. وفي هذا أيضاً «لم يكن إنشاء حلف الأطلسي» كما يقول السناتور توم كونوللي Tom Connolly إلا «من أجل الزحف إلى قلب أوروبا التي ستصبح للولايات المتحدة أميركا لاتينية أخرى»..

وإذن فيجب، في فهمنا لأميركا، أن لا نضيع في التفاصيل الصغيرة العابرة ولا وفي تحليل خطبة هذا الرئيس أو ذاك، وأن لا ننخدع

ببهلوانيات لغة كبير المهرجين الفلسطينيين أو كبير متعهدي التفليسة الفلسطينية، فليس عبثاً أن يسمي العرب الخطيب بالشِّقشقة (لهاة البعير) ويشبهوا المكثار منها بالبعير كثير الهدر، ويقولوا إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان.

كل هذه التفاصيل، بل كل ما يسمى بعقيدة هذا الرئيس أو سياسة ذاك، هي مجرد فهم وتطبيق مرحلي لهذه الاستراتيجية العامة. ولم تكن عقيدة كارتر التي تبناها كل من أعقبه من رؤساء ديمقراطيين وجمهوريين، ولا الحربان اللتان خاضهما بوش (الأب والإبن) ضد أهلنا في العراق إلا مثلاً حياً على طاغوت استراتيجية «الليبنزراوم الأميركي» كما رسمها بومن في مطلع القرن. أما أوباما فليس هناك ما يدل على أنه أدار ظهره لاستراتيجية «الليبنزراوم الأميركي» أو عقيدة كارتر. إنه رغم شقشقته في الحديث عن الانسحاب من العراق، فقد أعلن أنه لن يتردد في استخدام القوة لحماية المصالح الأميركية الحيوية وأكد أكثر من مرة على الحاجة إلى الاحتفاظ بحضور عسكري قوي في منطقة الخليج حيث النمل الأبيض الذي زرعه الإنكليز ينخر قواعد بيتنا العربي ويعطبها من الداخل. وبالطبع فإن سياسة تبرير استخدام القوة للحفاظ على المصالح الأميركية يعني أننا قد نشهد تزايداً في حركة الاستيطان الأميركي المسلح في المنطقة وأن أميركا لن تطفىء حرباً إلا بنار حرب جديدة. وهذا عهدها منذ أن أنشئت حتى الآن.

لفلسطين لدى الرؤساء الأميركيين شأن آخر، فهي ليست مجرد «استراتيجيا» أو اقتصاد أو «مجال حيوي»، وبالتأكيد فهي ليست بسياسة خارجية إلا في الإطار البيروقراطي. فطالما أن إنشاء أميركا

وتاريخها لم يكن إلا تأسيّاً بفكرة إسرائيل التاريخية، وطالما أن بلاغة العنف التي استعارت أخلاقها من فكرة إسرائيل التاريخية وأساطيرها وأنماط سلوك مجرميها، بدءاً من العهد المقدس الذي عقده المهاجرون الأوائل مع يهوه في عرض المحيط وانتهاء بمكالمة الرئيس بوش معه في البيت الأبيض واعتقاده بأنه «موسى العصر»، فإن الأميركيين ورؤساءهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لا يتفقون على شيء كاتفاقهم على المشروع الصهيوني الذي يشربه الأميركيون مع حليب أمهاتهم ثقافياً، وتاريخياً، وتربوياً، وإعلاميا، ودينياً، ومثلاً أخلاقياً أعلى.

كل تاريخ أميركا كما يروي المؤرخ كونراد شيري Conrad Cherry هو «تاريخ القناعة الراسخة بأن الأميركيين هم الإسرائيليون فعلاً، وشعب الله المختار حقاً». وخطر هذه القناعة لا يكمن في تلبسها بمصالح شركات النفط ومصانع السلاح وداء الكَلَب الامبراطوري وحسب، بل يكمن أيضاً في استيعاب هذه القناعة لكل ميتافيزيقا الكراهية العبرانية وهوس الإبادة والاستعباد للفلسطينيين الكنعانيين خاصة، ولكل حضارات العالم العربي القديم عامة من قبل أن يولد هرتزل ومشروعه بثلاثة قرون. ولو أن هرتزل لم يخلق لاختلقوا هرتزلَ آخر. والأمر هنا يتعدى ما يسمى زوراً الصهيونية المسيحية، لأن «غالبية الأميركيين ومعهم كبار المسؤولين السياسيين» كما يقول عالم الأديان ستيفن أوليري Stephen D. O'Leary «لا يختلفون عن هذه الجماعات [الصهيونية الدموية] إلا في درجة التوتر وطريقة التعبير [مرة بلغة بوش، ومرة بلغة أوباما]. إن نزعة الافتراس... تنتشر بينهم... وعلينا أن لا نسرع إلى طمأنة أنفسنا بأن هذا الاعتقاد أحمق، فنحن على أبواب زمن قد تكون فيه الحماقة هي القاعدة».

وفي كتاب **المواجهة بين عصر العقل وعصر الرؤيا** يقول الفيلسوف ريتشارد بوبكين Richard Popkin إن الانكليز على طرفي المحيط [بريطانيا وأميركا] أكثر حماسة من اليهود لتأسيس الدولة اليهودية وبناء معبد سليمان، وإن صهيونتهم هي التي صنعت الحركة الصهيونية [اليهودية] وانتشلتها من هامشيتها». نعم. الصهيونية الأنكلو سكسونية على طرفي المحيط هي التي صنعت الصهيونية اليهودية، وهي التي رعتها وغذتها وأعطتها زخمها بالقوة وبالسلاح، وبالتدمير المنهجي للعالم الإسلامي والعربي، وبمكاتب الشؤون الهندية التي أسسها بيرسي كوكس أوائل القرن الماضي في كثير من العواصم العربية لتكون شريكاً للمشروع الصهيوني في فلسطين. اليهود يريدون ما يسمونه «أرض إسرائيل»، أما الإنكليز على طرفي المحيط فيريدون أرض إسرائيل وإسماعيل وإبراهيم. هل هي مصادفة بريئة أن كل رؤساء الوزارة البريطانيين في السنوات المئة الأخيرة، من بلفور ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ إلى بلير ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٧ بدون استثناء، (حتى لا نذهب في تاريخ الجريمة المنظمة بعيداً) لم ينهوا ولايتهم إلا وعلى أيديهم دم عربي؟

بدون الصهيونية الأنكلوسكسونية وهذه المكاتب الهندية الرديفة التي صنعوها في العالم العربي لم يكن كِتاب **الدولة اليهودية** لهرتزل أكثر من هلوسات مدمن على المخدرات. كان يهود ذلك الزمان يتخوفون من إلحاح بريطانيا وأميركا على إنشاء دولة لهم في فلسطين. وحين بلغ الضغط على اليهود الأميركيين أقصاه في مؤتمر شيكاغو الذي عقد برئاسة المعمداني وليم بلاكستون William Blackstone عام ١٨٩٠ أي قبل المؤتمر الصهيوني الأول بسبع سنين، غضب الحاخام الأكبر إميل هيرش Emil Hirsch وقال: «إننا يهود هذا العصر لا نرغب

في أن نعاد إلى فلسطين... إننا لن نعود أبداً لتأسيس كيان قومي خاص ولا نقبل بأن يسقط علينا الآخرون ما يريدونه هم أنفسهم لنا».

ثم تجلت المعارضة اليهودية للمشروع الصهيوني الأميركي في افتتاحية كتبتها صحيفة **نيويورك صن** The New York Sun جاء فيها: «إن غالبية اليهود يرفضون إعادتهم إلى فلسطين وإن على الولايات المتحدة أن لا تحشر أنفها فيما لا يعنيها».

ثم إننا نجد في كتاب سيسيل روث Cicil Roth الوثائقي **مقالات ووجوه في التاريخ اليهودي الانكليزي** *Essays and Portraits in Anglo-Jewish History* كثيراً من المعلومات عن دخول المهاجرين الانكليز الأوائل في الدين اليهودي أفواجاً مما جعلهم نواة الطائفة اليهودية الأميركية. وهذا أمر بالغ الخطورة، فهو يعني أن النواة الصلبة ليهود أميركا اليوم هي نواة أنغلوسكسونية، وليست ساميّة كما يُتَوهَّم، ويعني أن المفكرة الصهيونية الجيوسياسية لليهود والأنغلوسكسون هي مفكرة أيديولوجية واحدة لكل الإدارات والرؤساء والأحزاب في واشنطن ولندن وتل أبيب.لهذا، ربما، قال الحاخام لي ليفنغر Lee Livenger في كتابه عن تاريخ اليهود في أميركا بأن «الأميركيين أكثر يهودية من اليهود».

نعم قد تتخذ هذه المفكرة الأيديولوجية تعابير أورويلية مختلفة مثل «القيم المشتركة» و«الحلف الاستراتيجي» و«الالتزام الأخلاقي» و«الالتزام بأمن إسرائيل» و«الحرب على الارهاب» وغير ذلك من التعميات، لكنها جميعاً لا تعني إلا الالتزام بالمشروع الصهيوني، وهي في كل الأحوال تستمد أخلاقها من معين آسن مشترك: إسرائيل فوق أخلاق البشر، وقوانين البشر، وحريات البشر، وحياة البشر،

وفوق كل الرؤساء من جورج واشنطن إلى باراك أوباما.

ليس هناك من رئيس أو إدارة أو مؤسسة أميركية حاكمة تستطيع أن تتحدى هذه الثوابت. فلسطين ليست كوريا أو الڤييتنام أو أفغانستان أو الفيليبين. فلسطين هي الرحم الذي ولّد منه الغرب اصطلاحاً ومفهوماً مقابل العالم العربي الإسلامي حضارياً وجيوسياسياً. فلسطين، والقدس تحديداً، هي الشرارة التي أشعلت نار المواجهة التي أجّجها الغرب على مدى السنوات الألف الماضية. لا يمكن فهم قضية فلسطين بمعزل عن المواجهة مع الغرب الذي تجسده اليوم أمريكا وقُفّتها البريطانية. بدون فلسطين، والقدس على التحديد، لن يكون هناك غرب وشرق. فبإسم احتلال فلسطين [أرض كنعان] صنع الإنكليز أميركا وصاغوا فكرة أميركا، وباسم هذه الاستعارة حَلَقوا سكان قارتين كاملتين وأبادوا ملايين البشر في البقعة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة، كما فعلوا ذلك في أستراليا ونيوزيلاندة ومئات الجزائر التي استعمروها.

لن يتغير شيء في زمن العم أوباما. كل ما يستطيع فعله هو أن يبني للقضية الفلسطينية غرفة غاز يسميها «دولة فلسطين»، كما نصب سلفه بيل كلينتون للفلسطينيين خازوقاً سمّاه «السطة الوطنية»، ونصب كارتر قبلهما في جسد العرب سرطاناً اسمه «كامپ داڤيد».

لن يتغير شيىء حتى تدرك أميركا بأنها ستدفع الثمن من اقتصادها وبشرها. وهذا ما لن تفعله الأنظمة العربية التي لم تعد تقدمية ولا رجعية ولا رأسمالية ولا إشتراكية ولا ليبرالية ولا راديكالية ولا ديمقراطية ولا إستبدادية، ولا يمكن وصفها إلا بأنها نسخ مشوهة من «مكتب الشؤون الهندية».

لقد أضرت هذه الأنظمة التي صنعها الإنكليز بالعرب أكثر مما أضر مكتب الشؤون الهندية بالهنود الحمر، حين تبرعت لأميركا بما عجز عن تحقيقه كل فرسان الحروب الصليبية، وحين أعانها النمل الأبيض على اقتلاع شجرة المشروع السياسي المحمدي من روضتها التي نبتت فيها. هذه القواعد الأميركية المنتشرة في مهد محمد بن عبدالله والتي يعمل أنكل أوباما على تعزيزها وتوسيعها وزيادة عددها، لا يشبهها في تاريخ المنطقة، من حيث الوظيفة والأهداف، إلا تلك القلاع التي بناها الصليبيون لمساندة احتلالهم بيت المقدس ونهبهم ثروات العرب والمسلمين، وفيتخذوا منها قواعد للعدوان على هذا البلد العربي المسلم أو ذاك. كل ما يميز هذه القلاع عن قلاع الصليبيين الأول هي أن لها واجهات عربية إسلامية فقدت لغتها وذاكرتها وتاريخها فلم يبق لها من العروبة إلا العباءات ولم تعرف من الإسلام إلا باب النكاح.

تسألني: ما العمل؟

ماذا يفعل الرجل العاقل حين يرى في فراش ابنه أفعى؟

هوامش

(١) Amanda Fairbanks, "Seeking Arrangement: College Students Using 'Sugar Daddies' To Pay Off Loan Debt," *The Hoffington post*, July 31/ 2011.

تحت عنوان «الجيل الضائع» و«بحثاً عن حلّ» مثلاً، تروي المختصة التربوية أماندا فيربانكس قصة الشركة Sugar Daddies التي تأسست لاستثمار فقر هؤلاء الشقيات في مهنة الدعارة. والشركة مرخصة وعلنية، ولها فروع في لندن وكل الولايات الأميركية. وشعارها على موقعها هو «المعاشرة من أجل الفتنة والنجاح». أما مَن يأبين هذا الخيار فليس أمامهن إلا ما فعلته الطبيبة النفسية مرغريت جنسفولد Margaret Jensfold التي سحقها رِبا المصارف فقتلت ابنها (١٣ سنة)، ثم قتلت نفسها لأنها لم تستطع أن تدفع أقساط مدرسته.

"Margaret Jensfold, "Maryland Mom Who Killed Son Ben Barnhard, Agonized Over School Costs," *Associated Press*, August 8, 2011.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن ديون الطالب عند تخرجه من الجامعة قد تصل إلى مئات آلاف الدولارات.

(٢) "Ex-Hillary Clinton intern-turned porn star opens up about politics, career change," *The Daily Caller*, June 22, 2011.

نُشر التحقيق مرفقاً بصورتين، إحداهما مع السيدة وزيرة الخارجية، والثانية بعد أن تحولت هذه الضحية إلى «نجمة»!

(٣) بحسب دراسة لمركز الفقر الوطني National Poverty Center التابع لجامعة ميتشغن University of Michigan فإن نسبة الفقراء في المجتمع الأميركي عام ٢٠٠٩ بلغت ١٤,٣ في المئة من المجتمع الأميركي، أي ما يعادل ٤٣ مليون إنسان، تبلغ نسبة الأطفال بينهم ٣٥ بالمئة، أي أكثر من ١٥ مليون طفل. والدراسة منشورة على موقع «مركز الفقر الوطني»:

National Poverty Center, The University of Michigan, Gerald Ford School of Public Policy. http://npc.umich/edu/poverty/

(٤) Rick Moran, "Food Stamps Crime Wave," *American Thinker*, June 23, 2011.

أكثر من ألف مليار دولار أنفقها البنتاغون على الأسلحة منذ حادثة الحادي عشر من أيلول /سبتمبر، صبت كلها في حسابات تجار الموت في الولايات المتحدة، كما جاء في تقرير مفصل لمركز هنري ستيمسون:

Russell Rumbaugh, "What We Bought: Defense Procurement from FY01 to FY10," (The Henry L. Stimson Center, October 2011).

(٥) Herbert J. Gans, *The War Against the Poor, The Underclass and Antipoverty Policy* (New York, Basic Books, 1995), p.1.

(٦) *Ibid.*, pp.6 - 7.

وفعلاً، ففي أميركا اليوم طبقة بهذا الإسم Undeserving.انظر ما دار في الحملة عليها أثناء الجدل الرسمي حول قانون «الرعاية الطبية» ودور «وول ستريت»، وجنرال موتورز، والمجموعة الأميركية الدولية American International Group، ومصانع السلاح الكبرى، وتجار الموت، وطالبان «حزب الشاي»، وغيرهم من حيتان «ثروة الأمم» في الحرب على الفقراء، مدّعين بأن «الرعاية الطبية» لطبقة الذين لا يستحقون undeserving ستكون على حساب أرباحهم:

Glenn Greenwald, "Who are the undeserving 'others' benefiting from expanded government actions?" *Salon*, Monday September 14, 2009.

(٧) فكرة أميركا، كما بينت في أعمال سابقة، هي الترجمة الإنكليزية لفكرة إسرائيل الأسطورية كما تبناها الغزاة الإنكليز الأوائل The Puritans. وهي تقوم على ثلاثة عناصر:

(١) احتلال أرض الغير،

(٢) استبدال سكانها بسكان غرباء، أو استعباد من يعصى منهم على الموت،

(٣) استبدال ثقافتها وتاريخها بثقافة المحتلين الغرباء وتاريخهم.

هذه الفكرة هي التي أرست الثوابت التاريخية الخمسة التي رافقت كل تاريخ أميركا ماضياً وحاضراً:

(١) المعنى الإسرائيلي لأميركا،

(٢) عقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي،

(٣) الدور الخلاصي للعالم،

(٤) قدرية التوسع اللانهائي،

(٥) حق التضحية بالآخر.

(٨) Letter from Charles B. Davenport to Alexander Bell, (Sep. 25 1915): American Philosophical Society, B:D 27 Alexander Graham Bell #7.

(٩) "Welfare Cause for Sterilization," *Richmond Times Dispatch*, (Virginia) April 6, 1980.

وليست منطقة بْرَشْ باستثناءٍ، فقد تم استهداف كل المناطق التي اشتُبه بضعف أهلها أو فقرهم، واصطياد مجموعات كبيرة من البشر «غير الصالحين unfit»، وخاصة في السجون والمصحات. أبرز هذه المناطق والجماعات المستضعفة والمستهدفة بالتعقيم منطقة سموكي بيلغريمز Smokey Pilgrims في ولاية كنساس، وجماعة ما سُمّي ببيض جاكسون Jackson Whites في ولاية نيوجيرسي، وهيل فولكس Hill folks في ولاية مساتشوستس، ومعظم سجون نيويورك. مِن ذلك مثلاً أن مدير رابطة سجون نيويورك ريتشارد دَغدايل Richard Dugdale أجرى مقابلات مع عدد من سجناء منطقة ألستر Ulster وخرج بنتيجة غريبة وهي أن دماء جميع نزلاء هذه السجون متطابقة وأنها تتحدر من أسرة ذات قرابة دموية وأن معظم أبنائها مجرمون أو فقراء يعيشون على الكِدية أو مشردون بلا مأوى. وزعم بأن أصل كل هذه الأسر امرأة معوزة تدعى مرغريت وتعرف بلقب «أم المجرمين». ثم إنه دوّن مكتشفاته هذه في كتاب سرعان ما أصبح دليلاً

جديداً على علاقة الجريمة والفقر بالخلايا الوراثية التي تنتقل من جيل إلى جيل، وعلى أن المجرم ينجب مجرماً والفقير ينجب فقيراً. وهذا ما صدّقه عليه روبرت فلتشر Robert Fletcher رئيس جمعية الأنثروبولوجيين، ذلك أن جرثومة الفقر والفساد الأخلاقي في رأيه تجري في الدم ولابد من القضاء على أصحابها تماما كما ينبغي القضاء على الطاعون.

Charles L. Brace, "Pauperism," *The North American Review*, 120 (1875), pp. 316-334; Elof Alex Carlson, *The Unfit*, (Cold Spring Harbor, New York: Cold Spring Harbor Press, 2001), p. 171; and Richard Dugdale, *The Jukes: A Study of Crime, Pauperism, Disease and Heredity, and also further Studies of Criminals*, (New York, G. P. Putnam's Sons1891).

(١٠) Stephen Trombley (director, writer), *The Lynchberg Story, (London, World View Pictures, 1993)*.

في عام ١٩٨٠ ، كان مدير المستشفى يراجع الملفات القديمة، ولدهشته فقد اكتشف أن أكثر من أربعة آلاف ضحية جرى تعقيمهم في مؤسسته قبل أن يتوقف هذا النشاط في عام ١٩٧٢. معظم هؤلاء الضحايا من الأطفال، ولم يعرفوا حقيقة ما جرى لهم إلا بعد فوات الأوان. أنظر:

Georgetown University, Kennedy Institute of Ethics, High School Curriculum Project, Chapter 2, "Carrie Buck and the Lynchburg State Colony;" and Bruce E. Johansen, "Stolen Wombs, Indigenous Women Most at Risk," *Native Americas*, Summer 2000, pp. 38 - 42.

وفعلاً فقد اعترفت كايت بولتون Kate Bolton مديرة الرعاية الاجتماعية في المنطقة بأن المحاكم هي التي قضت على هؤلاء الأطفال بضعف العقل، وأن ما جرى كان شرعياً. وأن لائحة أسماء هذه الضحايا طويلة جداً، «من هنا حتى لينشبرغ».

Richmond Times Dispatch, (Virginia), April 6, 1980.

(١١) *Ibid.*

(١٢) *Ibid.*, February 24, 1980.

(١٣) *Ibid.*

(١٤) Stephen Trombley, *The Lynchberg Story*, op.,cit.

(١٥) Lothrop Stoddard, *The Rising Tide of Color against White World-*

Supremacy (New York: Charles Scribner's Son, 1926), pp. xxix, 306-308.

ويشبّه القضاء على الفقراء والضعفاء بالقضاء على الباكتريا والجراثيم.

Ibid., pp. 259 - 260, 306.

أما بالنسبة إلى لمهاجرين الملونين - والكِتاب بمجمله إنذار بخطرهم على نقاوة العرق الأنكلو سكسوني - فإنه يشبههم بـ«القطعان القادمة من البحر المتوسط، فضلاً عن أولئك القادمين من آسيا وبلاد الشام مما جعل العرق الأنكلو سكسوني يتلاشى في كثير من المدن الأميركية الكبرى».

Ibid., p, 165.

وقد كان هتلر معجباً بأفكاره ومتأثراً بها كما يعترف في فصل كامل من كتابه **في قلب الظلام**، بل إنه يتباهى بأنه قابله شخصياً وأنه حصل على جوائز فخرية من النازيين اعترافاً بفضله وعلمه. أنظر:

Lothrop Stoddard, *Into the Darkness* (NewPort Beach, California: Noontide Press, 1999), pp.201,205.

(١٦) Margaret Sanger, *The Pivot of Civilization* (New York: Brentano's, 1922), pp. 105, 116-117, 123.

ومثل هذه التعابير التي تنسب فقر الفقراء إلى «الغباء» و«ضعف العقل»، وترى فيهم خطراً على المجتمع والإنسانية لا بد من استئصاله باستئصالهم وذراريهم تتردد أيضاً على ألسنة السياسيين والـمُشرّعين وصُنّاع القرار من تيودور روزفلت (مُعاصر سانغر) إلى هنري كيسنجر فإلى إدارة الرئيس الحالي باراك أوباما، كما سنرى لاحقاً.

(١٧) Gloria Steinem, *Time Magazine*(U.S.), Monday April 13, 1998.

(١٨) Gloria Steinem, *Ibid.*, and Margaret Sanger, *Woman and the New Race*, (New York: Kessinger Publishing, 2010), chapter v., "The Wickedness of Creating Large Families," pp. 28 - 33, and vii., and viii., "Birth Control." pp.45-47; Margaret Sanger's letter to Clarence Gamble, October 19, 1939. Sanger's manuscripts, Smith college.

وقد أطلقت بلدية نيويورك إسم مارغريت سانغر على واحدة من ساحاتها (في غرينتش ڤيليج) تخليداً لحماستها للعنصرية والقتل.

(١٩) Margaret Sanger, *The Pivot of Civilization*, op., cit., pp. 101-102, 277, 282.

وفي مقالة لها بعنوان «هل انتحار العرق ممكن؟»، نقلتْ عن لوثر بوربانك Luther Burbank الذي ادعت بأن الحضارة الأميركية مدينة له، قال فيها: «أميركا كالحديقة التي لا يعتني صاحبها باقتلاع الأعشاب السامة منها، وهذا النوع من الأعشاب سريع التكاثر شديد المقاومة. لذا يجب منعهم والضعفاء والفقراء من التكاثر».

Margaret Sanger, "Is Race Suicide Probable?" *Colliers Magazine*, August 15, 1925.

والتعبير الرحيم كما ورد في أُصله الانكليزي هو:

"The most merciful thing that a large family does to one of its infant members is to kill it."

وتروي الباحثة الاجتماعية لورا بريغز Laura Briggs في دراستها عن التعقيم في بورتوريكو أن سانغر بالاتفاق مع مبشرين بعثت بأطباء إلى الجزيرة لتعقيم نسائها، غير أن مَن بعثتهم استيقظت فيهم إنسانيتهم في اللحظة الأخيرة وكتبوا إليها يعتذرون عن تنفيذ المهمة.

Laura Briggs, "Discourses of "forced sterilization" in Puerto Rico: The problem with the speaking subaltern, *Differences: A Journal of Feminist Cultural Studies*. vol.10, No.2 (Summer 1998), pp.30-66.

(٢٠) وهي نظرة متأصلة في «فكرة أميركا» وفي الثقافة الأنكلوسكسونية على طرفي المحيط بشكل عام، ففي إنكلترا كان الفقراء يُعتبرون طبقة خاصة خطرة تهدد المجتمع، وكان أولاد الفقراء يُعتبرون، كما كتب جيمس غرينوود في سبعينات القرن التاسع عشر، من نسل ذوي العاهات والمجرمين والبلهاء واليتامى وأولاد الزنا.

James Greenwood, *The Seven Curses of London:* (London: Stanley Rivers and Co., 1870), p. 2.

لكن هذه النظرة لم تتحرر من سلاسلها اللاهوتية وتأخذ بعدها الفلسفي إلا مع الاقتصادي الانكليزي توماس مالتوس Thomas Robert Malthus حين نشر كتابه عن «المبدأ السكاني وطبيعة الفقر» (١٧٩٨) وذهب فيه إلى أن الطعام المتوفر للبشرية محدود جداً، وأن النمو السكاني أكبر من طاقة الكوكب الأرضي على توفير القوت، وهذا ما سيكبح من ازدهار الجنس البشري وتكاثره. لذلك دعا إلى نوع من التحكم السكاني، بل وجه نقداً

لاذعاً إلى قوانين الفقر Poor Laws الانكليزية، وزعم بأن المساعدات الخيرية للفقراء هي التي أورثت الفقر من جيل إلى جيل، ولم يكن لها أي معنى في النظام الطبيعي للتطور البشري. وبالاجمال فقد أشار إلى أسلوبين لكبح هذا «الفائض» البشري. أحدهما إيجابي(!)، يرفع معدل الموت ويشمل المجاعات والأوبئة والحروب، والآخر وقائي يضائل معدل الولادات كالإجهاض وتحديد النسل، والدعارة، والعزوبية. «إننا أمام رجل» ، كما يصفه كاتب سيرته، «يدافع عن الجدري، وعن العبودية، وعن قتل الأطفال؛ رجل يرفض تقديم العون للفقراء لأن ذلك سيوسع من رقعة الشر». وضرب على ذلك مثلاً فقال: «إذا صار لدى الفقراء المال الكافي لشراء اللحم فإن سعر اللحم سيرتفع، وسيتضرر من ذلك الأغنياء والفقراء على السواء». ولإبقاء سعر اللحم رخيصا يجب التخلص من نسل الفقراء. ووصف موت أولاد الفقراء بالنعمة الإلهية visitation of providence ونتيجة طبيعية لسلوك آبائهم الذين يجب أن يحاسبوا على ما اقترفت أيديهم أمام الله والمجتمع.هل من المستغرب بعد ذلك أن يقول الأمير فيليب زوج الملكة إليزابيت في تقديمه لسيرة حياته: «لو كنت حيواناً *If I were an Animal*» أنه يتمنى إذا ما قدر له أن يتناسخ أن يعود على شكل جرثومة فتاكة تساهم في حل مشكلة التفجر السكاني». وبالطبع فقد كان لمالتوس، تأثير هائل على كثير من السياسيين البريطانيين والأميركيين مثل ونستون تشرشل وهنري كيسنجر وجون هولدرن John Holdern المدير الحالي لمكتب البيت الأبيض للسياسة العلمية والتكنولوجية (كما سيأتي) ومعظم من اشتغل بعلم الحياة التطوري، وخاصة هربرت سبنسر، وتشارلز داروين، وألفرد رسل والاس Alfred Russell Walace حتى ليبدو أن المالتوسية لم تكن إلا خطوة على طريق «الانتقاء الطبيعي» والمحارق بوجهها الألماني والأنكلوسكسوني.

Thomas R. Malthus, *An Essay on the Principle of Population* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), all chapter v. and pp.19,100-101, 221; Janet Brown, *Charles Darwin Voyaging* (London: Cape, 1995), pp. 4,5, 294, 301, 385-390, 431; James A. Bonar, *Malthus and His Work:* (London: MacMillan and Co., 1885), p.1.

بهذا المنطق، أطلق بروكس آدامز Brooks Adams حفيد الرئيس الأميركي السادس جون كوينسي آدامز John Quincy Adam نظريته عن دور «ثروة

الأمم» في نشوء وانهيار الحضارات وذلك في كتاب له بعنوان *The Law of Civilization and Decay* ثم طوّرها في كتابه «استعلاء الاقتصاد الأميركي» الذي وصف فيه الدولة الأميركية بأنها «شركة عملاقة» لا بد لها من التوسع إذا كانت تريد البقاء وتؤمن فعلاً بأنها أصلح الأمم.

Brooks Adams, *America's Economic Supremacy* (New York: Macmillan, 1900), pp.72, 131, 133.

وبهذا السياق، تبنّى مجلس الأمن القومي في عهد هنري كيسنجر Henry Kissinger أفكار مالتوس وبدأ يتطبيقها عالمياً، كما سأبين لاحقاً.

(٢١) يمكن تلمس جذورها في العقائد «التقدمية» لعصر التنوير، مثل كتاب المركيز كوندورسيه

Nicolas de Condorcet (Marie Jean Antoine Nicolas de Caritat): *Sketch for an Historical Picture of the Progress of the Human Mind,*

الذي نشر في عام ١٧٩٥ حيث تنبأ بتزايد مذهل في التطور الإنساني الذي يمضي به العقل نحو الكمال؛ وفي أعمال أوغست كونت Auguste Comte الذي صنّف تاريخ التطور الثقافي في ثلاث مراحل: لاهوتية وميتافيزيقية وعلمية أو وضعية. ومثل هذه النظريّات هي التي عقلنت أسطورةَ هَرَمِيَّةِ الشعوب والأعراق وترتيبهم العنصري على سلم الحضارة. بذلك صارت هذه الشعوب التي ألقي بها في الدرجات الدنيا من السلم الحضاري فئران اختبار لنظرية التطور «باعتبارها الحلقة المفقودة في سلسلة التطور البشري الذي يمتد عميقاً في الزمن، والتي ستكشف دراستها كيف تطور الجنتلمان الإنكليزي من القرد».

Philip Tayler, *The Distant Magnet, European Emigration to USA* (New York: Harper and Row, 1971), pp.72 - 73.

(٢٢) في كتابه *The Descent of Man* مثلاً، يقول: «أما نحن المتحضرون فإننا نبذل جهدنا لبناء مصحات للأغبياء، والمشوهين، والمرضى. إننا نسن قوانين للفقراء، ويستخدم أطباؤنا كل براعاتهم لإنقاذ حياة الناس... مما يعين الأفراد الضعفاء في المجتمعات المتحضرة على أن يتناسلوا ويتكاثروا وينجبوا أمثالهم.... وفي ذلك خطر كبير على الجنس البشري».

Charles Darwin, *The descent of Man*, op.,cit.,...p. 168.

وهذا ما أصبح يشكل بُعداً علنياً في السياسة الأميركية تجاه الشعوب الضعيفة منذ أيام الرئيس جيرالد فورد ومستشاره للأمن القومي هنري كيسنجر، كما سنرى لاحقاً.

كذلك يرى داروين أن البدائيين يعيشون في طور الطفولة التطورية ولا يمكن مقارنتهم بأبناء الحضارة الغربية لا في الزمان ولا في المكان: إنهم يمثلون ما كنا عليه قديماً -نحن الأوروبيين. ولسوء الحظ فإنهم راوحوا مكانهم على سلم الحضارة وصاروا عرضة للهزيمة والانقراض.

بذلك تحول تفسير سبب التفاوت الحضاري وانقراض الضعفاء من إرادة إلهية، كما هو الحال في فكرة أميركا المستمدة من فكرة إسرائيل التاريخية، إلى قانون علمي. أنظر:

Carl Degler, *In Search of Human Nature* (New York: Oxford University Press,1991), p. 13.

(٢٣) Charles White, *An Account of the Regular Gradation in Man, and in Different Animals and Vegetables* (London: 1799), pp.80, 124, 131-135; Winthrop D. Jordan, *White Over Black: American Attitudes Toward the Negro, 1550-1812:* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1968), pp. 499-502.

كان وايت يعتقد أن الله خلق هذه الأعراق منفصلة، كل عرق لمنطقة جغرافية معينة، وكان يرفض تزاوج هذه الأعراق. والرجل بالمناسبة غريب الأطوار على الصعيد الشخصي، إذ من المعروف عنه أنه احتفظ بجدث أخته حَنّة بعد موتها في غرفة ببيته لمدة سنة لعلها تقوم من بين الموتى، في قصة شهيرة تعرف في بريطانيا بمومياء مانشستر بعد أن انتقل جثمانها إلى متحف التاريخ الطبيعي في تلك المدينة.

(٢٤) Reginald Horsman, *Race & Manifest Destiny, The Origins of American Racial Anglo-Saxonism* (Cambridge: Harvard University Press, 1981), pp. 62 - 63.

وفي كتاب *A Study of American Intelligence* لعالم النفس وأستاذ هذا العلم في برنستون كارل بريغهام Carl Brigham، يضع المؤلف مواصفات أخلاقية ونفسية وطبيعية لتفوق الأنكلوسكسون على كل أعراق البشر، بل يميز بين الناطقين بالإنكليزية وبين غير الناطقين الذين لا يستوون ذكاء. والأمر، كما

يراه، عائد إلى الخلايا الوراثية. غير أنه تكرّم فأعطى الأعراق المنحطة بصيصاً من الأمل حين ادعى بأنها قابلة للتطور بعامل بيولوجي سحري، وهو حقنها بدم أبيض! وفي هذا السياق، وضع فحصاً للذكاء يعرف بـ SAT (Scholastic Aptitude Test) ، ينبغي على كل منتسب إلى المدارس والجامعات الأميركية أن يجريه ليثبت أنه أهل بتلقي العِلم.

Carl Campbell Brigham, *A Study of American Intelligence,* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1923), pp. 174, 178, 180, 192.

وفي عام ١٩١٦ أشاع أحد قديسي الهندسة الوراثية في الولايات المتحدة لويس تيرمان فكرة تقسيم العمر العقلي حوليّاً، وهو ما أصبح يعرف بالصيغة الأميركية لحاصل اختبار الذكاء البشري Intelligence Quotient المعروفة الآن بالحرفين I Q والتي أصبحت معياراً عالمياً للذكاء!

Raymond E. Fancher, *The Intelligence Men: Makers of the IQ Controversy* (New York: W. W. Norton and Company, 1985), pp. 139-140.

وانظر كثيراً من مثل هذه الأفكار العنصرية في

Douglas A Lorimer, *Colour, Class and the Victorians: English Attitudes to the Negro in the Mid-Nineteenth* Century (Leicester: University of Leicester Press, 1978); Christine Bolt, *Victorian Attitudes to Race* (London Routledge, 2006).

(٢٥) Thomas Carlyle, *Critical And Miscellaneous Essays* (London: 1899) vol.4, pp. 144, 205.

تطورت فكرة «الزحف غرباً» لتصبح أيديولوجيا معقدة كُتِبت فيها آلاف الصفحات. وسأحاول التعرض لها بشيء من التفصيل في سياق هذا العمل.

(٢٦) *Anglo-Saxon* (April, 1849), pp.144, 205; Theodore Roosevelt, *The Winning of the West* (Lincoln University of Nebraska Press: 1995) vol. III, p. 44

(٢٧) *Ibid.* (January, 1849), pp.3,4 and (July, 1849), 5-16.

وتعكس الأغاني الشعبية التي تعبر بصدق عما يؤمن به المجتمع الأنكلوسكسوني حقاً هذه الأفكار النبيلة، ففي إحداها نقرأ مايلي:

زحفاً إلى الأمام، زحفاً إلى الأمام، من الجنوب إلى الشمال،

من شرق الأرض إلى غرب الأرض،

زحفاً إلى الأمام، زحفاً إلى الأمام
إهجم واقحم، واملأ كل بقاع الدنيا
فالعالم هذا عالمنا نحن الأنكلوسكسون ...
كل الأعراق الأخرى تذوي
تتلاشى تدريجاً وتزول
من الجنوب الداعر إلى الشرق المهين
فإلى العرش المتهافت للبابا الغدار ...[الخ]

Martin Farquhar Tupper, *Ballads for the Times* (London: Arthur Hall, Virtue and Co., 1851), pp.1-2.

(٢٨) *Charles Kingsley: His Letters and Memories of His Life*, edited by his wife. Fanny Kingsley (London 1877), vol.1, pp. 222-223.

(٢٩) يضاف إلى ذلك أن النظرية كانت تطبيقاً لأفكار مالتوس على كل ممالك الحيوان والنبات، حيث لا مجال لزيادة مصطنعة للطعام، أو لقيود على الزواج والتناسل.

Charles Darwin, *The Origin of the Species* (New York: Appleton and Co., 1881), see chapter three, "Struggle for Existence."

(٣٠) يرى المؤرخ روبرت بنيستر Robert C. Bennister أن هؤلاء المفكرين والعلماء إنما كانوا يحلبون أفكار مالتوس وسبنسر ويمزجونها بفكرة البقاء للأصلح.

Robert C. Bannister, *Social Darwinism: Science and Myth in Anglo-American Social Thought* (Temple University Press, 1970), p. xii.

(٣١) ما بين عامي ١٨٦٣ و١٨٦٨، أعلن ثلاثة من علماء الحياة عن نظرية تطورية أساسها وحدات وراثية units محددة يمكن رؤيتها مجهرياً داخل الخلايا. بذلك دخل علم الحياة (البيولوجيا) عصراً جديداً عندما أعلن أن السمات والخصال الإنسانية الجيدة والرديئة في الخلايا تنتقل من جيل إلى جيل وفقاً للقوانين العلمية. وفي عام ١٨٦٣ نشر هربرت سبنسر Herbert Spencer كتابه **مبادىء علم الحياة** أشار فيه إلى أن الوحدات الفيزيولوجية داخل الخلية هي التي تتحكم بالصفات الوراثية.

Herbert Spencer, *The Principles of Biology* (New York: Appleton and Company, 1884), vol.I, p. 183.

وبعده بثلاث سنوات نشر الراهب التشيكي غريغور مندل Gregor Mendel تجاربه التي بنى عليها نظاماً وراثياً يمكن توقُّعُه استناداً إلى عناصر الخلية الموروثة

Vitezslav Orel, *Gregor Mendel: The First Geneticist* (Oxford: Oxford University Press, 1996), p. 196.

ثم إن داروين في عام ١٨٦٨ افترض أن هذه الوحدات تطرح ما سماه بالبُريعمات المنتشرة gemmules في أرجاء الجسد والتي تتجمع لتشكل العناصر الجنسية. وقال إنها تنتقل إلى الجيل التالي فعالة يقظى أحيانا، وأحيانا في حال سُبات لتظهر بعد ذلك في أجيال لاحقة.

Charles Darwin, *The Variation of Animals and Plants under Domestication* (New York: Appleton and Co, 1883), vol. II, p.370.

(٣٢) Francis Galton, *Hereditary Genius: An Inquiry into the Laws of Consequences* (New York: World Publishing, 1962), p.1

(٣٣) Karl Pearson, *The Life, Letters and Labours of Francis Galton* (London (Cambridge University Press, 1930) p. 349.

وما سماه بعقيدة تحسين النسل. انظر الفصل ١٦:

"Eugenics as a Creed and the Last Decade of Galton's life."

بل ذهب في كتابه عن الهندسة الوراثية إلى الادعاء بأن حياة الفقراء لا تختلف عن حياة المتوحشين ... ومنهم يتحدر أولئك الذين يتسكعون في الطرقات فيعيثون فساداً أو يستجدون. إنهم لا يفعلون ما يفيد، ولا يبنون ثروات، بل غالباً ما يتلفونها.

"Their Life is the life of savages...From them come the battered figures who slouch through the streets and play the bully or beggar. They render no useful service, they create no wealth, more often they destroy it."

Sir Francis Galton, F.R.S., *Essays in Eugenics* (London: The Eugenics Education Society, 1909), p. 19.

(٣٤) Francis Galton, "Eugenics: Its Definition, Scope and Aims," *American Journal of Sociology*, vol. x; July, 1904; Number 1. pp.1-25.

(٣٥) Francis Galton, *Hereditary Genius*, op. cit., p.1.

(٣٦) في عام ١٨٦٥، نشر بحثاً عن الموهبة الوراثية والخصال البشرية أراد من خلاله أن يثبت بأن «السمات العقلية يمكن معالجتها واستنباتها بالطريقة التي تُهجّن فيها الحيوانات الأليفة. ويا لها من نعمة ننعمها على عرقنا الأنكلوسكسوني عندما نوظف العلوم لتشجيع التزاوج بين أولئك الذين يملكون أفضل الطبائع والعقول والأخلاق والصفات الجسدية».

Francis Galton, "Heredity Talent and Character," in Russell Jacoby and Naomi Glauberman, *The Bell Curve Debate, History, Documents, Opinions* (New York: Times Books, 1995), p. 303.

ثم تابع ذلك في *Hereditary Genius* (١٨٦٩)، ثم في *Natural Inheritance* (١٨٨٩). وفيها كلها يهجس بقضية العرق وتحسين العرق الأنكلوسكسوني.

وانظر عن مثل هذا الهاجس في أروقة الكونغرس:

Annals of Congress, 16th Congress, 1st session, pp. 1729-30; and Albert J. Beveridge, *The Meaning of the Times, and Other Speeches* (Indianapolis Bobbs-Merrill, 1908), pp.47-57.

(٣٧) Herbert Spencer, *The Principles of Biology*, op. cit., vol. I, p. 183. The variation of animals and plants under domestication.

(٣٨) Herbert Spencer, *Social Statics*, (New York, Robert Schalkenback Foundation, 1970), pp.58-60, 289-290,339-340.

اخترت كلمة «الطالح» لسهولتها ولاستخدامنا الشائع لها نقيضاً لكلمة «الصالح»، علماً بأنني في الصيغة الأولية للكتاب استخدمت كلمة «السَّقَط» و«السقيط» ثم صرفت وجهي عنهما لحوشيتهما وغرابتهما، وإن كانتا أقرب إلى المعنى العلمي المقصود بيولوجياً بكلمة unfit. فالسّقط، كما جاء في **لسان العرب**، ما تُسقِطه فلا تَعتدّ به من الجند والقوم ونحوه... وأسقاط الناس أوباشهم ... والساقطة والسقيط: الناقص العقل (عن الزّجّاجي)... اللئيم في حسبه ونسبه. والسقيط الرجل الأحمق. وفي حديث أهل النار: مالي لا يَدخُلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم، أي أراذلهم وأدوانهم».

وانظر أيضاً: أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحق الزجاجي: **أمالي الزجاجي**، تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢ هجرية)، ص١٤٣.

(٣٩) Herbert Spencer, *Ibid.*, 315-317.

(٤٠) فتلميذه وليم سَمْنَر William Graham Sumner أحد أبرز مؤسسي علم الاجتماع في الولايات المتحدة وأول أستاذ لهذا العلم في جامعة يال Yale كان يرى أن دونية السود وصغارتهم inferiority راسخة في أساس جِبِلّتِهم وطبيعتهم. وقد أكد في أحد أهم كتبه *Folkways* على عبث التشريعات الاجتماعية التي تهدف إلى تغيير سمات إجتماعية متأصلة:

Mike Hawkins, *Social Darwinism in European and American thought, 1860-1945: Nature as Model and Nature as Threat* (New York Cambridge University Press,1997), p.109-10; Dinesh D'Souza, *The End of Racism, Principal for Multiracial Society*, (New York: The Free Press, 1995), pp. 597-598.

(٤١) لعل المثل الفاقع على هذه العنصرية «العلمية» كتاب وطننا *Our Country* لقديس التفوق الأنكلوسكسوني جوسيا سترونغ *Josiah Strong* الذي يعتبر فيه الهجرة غَير البيضاء مدمرة لفضائل الأنكلوسكسون الحضارية، فمعظم المهاجرين من أوروبا هم من الفلاحين الكاثوليك. وهم ذوو أفق ضيق، ودين وأخلاق مزيفة .. ونظرة منحطة إلى الحياة. ومعظم هؤلاء مجرمون صعاليك.

Josiah Strong. *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis* (rev. ed.) (New York: Baker and Taylor Company, 1891) 45,56.

بذلك شاع التوصيف والتصنيف والتعرية والشيطنة لكل المستهدفين بالتصفية الجسدية وذلك في استثمار شنيع لعلم الحياة و«الهندسة الوراثية» و«علم الوراثة» لتبرير العنصرية، حتى في أروقة الكونغرس.

Congressional Record (68th Congress, 1st sess., vol.65. p16. 1924). p.5648,

(٤٢) Lucien Howe, "Presidential Address of the Eugenics Research Association: The Control of Law of Hereditary Blindness," *Euginical News*, July 1928, p.6. See also his letter to D. Best, October 4, 1927, American Philosophical Society, series v.; Harry H. Laughlin, *Eugenics Record Office Bulletin* No. 10A (Cold Spring Harbor: February, 1914) pp. 5,6, 7, 8, 12, 17.

والخطة تهدف إلى تنقية دم أميركا، وتتحدث عن تصفية جماعية للفئات العشر التالية غير الصالحة اجتماعياً: فئة ضعاف العقول، فئة الفقراء

والمعوزين، فئة المدمنين على الكحول، فئة المجرمين، فئة المصابين بالصرع، فئة المخبّلين المجانين، فئة الواهنين ضعاف البنية، فئة المشوهين جسدياً، فئة المصابين بعاهة في حواسهم كالبصر والسمع... وعائلات هذه الفئات التي أصروا على تصنيفها اجتماعياً بالطبقات classes!

"...elimination of each of the several following classes of the socially unfit: (a) the feeble-minded class, (b) the pauper class, (c) the inebriate class, (d) the criminalistic class, (e) the epileptic class, (f) the insane class, (g) the asthenic or physically weak class, (h) those predisposed to specific diseases or the diathetic class, (i) the physically deformed, (j) those with defective sense organs, or the cacæsthetic class...and to the relative extent of the defective classes."

(٤٣) برر رئيس المحكمة العليا شارلز مُرّاي Charles J. Murray رفض القضاء الاستماع إلى شهادة صيني بأن الصينيين لا يختلفون عرقياً عن الهنود الحمر. بل هناك من شهد أمام المحاكم بأنه رأى «للصينيين أذيالاً طويلة»!

Alan J. Almquist, *The Other Californians: Prejudice and Discrimination under Spain, Mexico, and the United States to 1920* (Berkeley, University of California Press, 1971) pp. 229-234; Gwendolyn Mink, *Old Labor and New Immigrants in American Political Development: Union, Party and State, 1875-1920* (Ithaca: N.Y. Cornell University Press, 1986), p.100.

أما لجنة الكونغرس التي درست الأخطار الداهمة من الهجرة الصينية فقد أعلنت بكل ثقة «أن الصينيين يعيشون بأدمغة معطوبة».

Congressional Record, 44th Congress, 2nd session, vol. 5, pt. 3, 1877. p. 2005.

(٤٤) Barbara Benton, *Ellis Island* (New York: Facts on file, 1987), p. 34.

(٤٥) Ronald T. Takaki, *A Different Mirror: A History of Multicultural America* (Boston: Little Brown, 1993), P. 206;

ولاتزال الحكومة الأميركية حتى اليوم بحسب تقرير من مركز MAS Immigrant Justice Center والاتحاد الوطني للحقوق المدنية American Civil Liberties Union تطرح مناقصات لبناء معسكرات اعتقال تسميها تضليلاً «مراكز للعائلات» حيث يعتقل النساء والأطفال والشيوخ والشيب والشبان من مهاجري الأعراق المغضوب عليها، وأولهم العرب والمسلمون

(وبالطبع فأنت لا ترى فيها بريطانياً أو ألمانياً أو يهودياً). ويتحدث التقرير عما يعيشه المعتقلون من عذابات وإهانات في مركز اعتقال T. Don Hutto الذي تديره شركة تجارية «إصلاحية!»، خاصة بعد أن يسّرت «ثروة الأمم» استثمار حريات البشر وأرواحهم تجارياً:

MAS Immigrant Justice Center, Ramadan 2011.

(٤٦) Edward Alsworth Ross, *The Old World in the New; The Significance of Past and Present Immigration to the American People* (New York: Century Co., 1914), pp. 285-286.

(٤٧) Barry N. Schwartz, ed., *White Racism* (New York: Laurel Leaf Books, 1978), p.58.

هناك إصرار على أن الإيرلنديين ذوي الشعر الأحمر والأوروبيين الشرقيين والإيطاليين الجنوبيين معطوبون جينيّاً genetically defective وأنهم سيزيدون من عدد ضعاف العقول في أميركا

Henry H. Goddard, "Mental Tests and the Immigrant," *The Journal of Delinquency*, vol. II, No. 5 (Sep. 1917). pp. 243-244.

طبعاً هناك الكثير من الدعاية التي تصف أميركا بأنها وعاء melting pot تتذاوب فيه الأعراق والثقافات. وهي عبارة أطلقها الكاتب المسرحي إسرائيل زنغويل Israel Zangwill للإيحاء بالتركيب المبدع للحضارة الأميركية الذي تتساوى فيه الأعراق والثقافات، وللتمويه على مظاهر العنصرية العلمية في الولايات المتحدة التي تَعتبِر الثقافة الأنكلوسكسونية المرجع الأعلى للمعرفة، والزنابير (البيض أنكلوسكسون البروتستانت) المثل الأسمى للحضارة والرقي والأخلاق والبنية الجسدية. فهذا الشعار لا يعني إلا الذوبان في وعاء الزنابير. أنظر:

Milton Gordon, *Assimilation in the American Life* (New York: Oxford University Press, 1964), chapter, "Theories of Assimilation, II, Melting Pot,", pp. 115-133.

أما ستانلي فيش صاحب النظريات الأدبية وأحد أبرز أعلام ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة فيقول: «لا تغرنك هذه الشعارات.. فما هي إلا عبارات رمزية لعنصرية لا تختلف عن عنصرية [المنظمة النازية] كو كلوكس كلان Ku Klux Klan.

Stanley Fish, *There's No Such Thing As Free Speech: And It's a Good Thing, Too (New York: Oxford University Press, 1994)*, p. 87.

(٤٨) John Franklin Bobbitt, "Practical Eugenics," *The Pedagogical Seminary*, vol. xvi (1909), pp. 387, 388,, 391.

التيوتون هو الأصل العرقي المزعوم الذي يتنازع عليه الأنكلوسكسون والجرمان: فهو كما يعتقدون «يتميز بنقاء الدم وسمو العقل والحصافة والقوة»! (المصدر السابق، ص٣٨٨). وكان أمين متحف التاريخ الطبيعي ماديسون غرانت Madison Grant قد نشر كتاباً شعبياً بعنوان «وفاة العرق العظيم» *The Passing of the Great Race* قرع فيه أجراس الخطر المحدق بنقاء دم الآلهة، وحذر من أن التزاوج بين الأعراق ليس إلا انتحاراً، فالناتج عن زواج الإنسان الأبيض والهندي ولد هندي، وعن الأبيض والأسود ولد أسود...الخ. أنظر:

Madison Grant, *The Passing of the Great Race* (New York: Charles Scribner's Sons, 1936), p. 18.

أما شارلز داڤنپورت Charles Davanport صانع «الهندسة الوراثية» في الولايات المتحدة ومؤسس أهم منظماتها التطبيقية فيرى أن على نسل المهاجرين الأوائل من الأنكلوسكسون أن يجعلوا الهجرة إلى أميركا على أساس عرقي للحفاظ على الدم الأنكلوسكسوني نقياً خالياً لا تلوثه الأعراق الضعيفة. انظر:

Ruth Fulton Benedict, *Race, Science and Politics* (Greenwood Pub Group:1982), pp.126-127.

(٤٩) Michael W. Perry, ed., *The Pivot of Civilization in Historical Perspective: The Birth Control Classic* (Seattle: Inking Books. 2001), p.31.

وبعد أكثر من ثلاثة عقود أنشأ الدكتور جون هاري كيلوغ John Harvey Kellog «مؤسسة تحسين العنصر» Race Betterment Foundation للحد من تكاثر «المتخلفين عقلياً»... ثم عقد مؤتمراً وطنياً لوضع أسس فعالة لخلق عنصر أسمى، وحجته الأولى في ذلك «أن لدينا أجناساً مذهلة من الخيل والبقر والخنازير، فلماذا لا يكون لدينا جنس متطور من البشر؛ جنس بشري من الطراز الرفيع». أما لَفلين Laughlin فقد وضع شعار المؤتمر: تنقية العرق بأي ثمن To purify the race at any costs. وقد اشتكى يومها من أن كثيراً

من الولايات تتلكأ في سن القوانين التي تخول التعقيم، وأن العدد ما زال ١٢ ولاية فقط.

The Race Betterment Foundation, *Proceedings of the first National Conference on Race Betterment, January 8, 9, 10, 11, 12, 1914* (Battle Creek, Michigan.: Gage Printing Company, ltd., 1914). pp. xi, 431; Harry H Laughlin, "Calculations on the Working Out of a Proposed. Program of Sterilization," *Proceedings, first National Conference on Race Betterment*, op.,cit., p. 484.

(٥٠) من الولايات المتحدة، وبتعاونها، انتقلت هذه التطبيقات في ثلاثينيات القرن العشرين إلى ألمانيا النازية. وهذا ما أثار حماسة تنافسية في الأوساط العلمية الأميركية عبّر عنها جوزيف دو جارنيت Joseph de Jarnette مدير أحد المعسكرات الحكومية التي جرت فيها عمليات التعقيم الجماعية Virginia's Western State Hospital بالقول: «إن هتلر ينافسنا الآن على لعبتنا».

"Delegates Urge Wider Practice of Sterilization," *Richmond Times-Dispatch* (Virginia) January 16, 1934.

(٥١) لا تخفي العنصرية العلمية قناعتها بأن السود عرق منحط أقرب إلى عالم القرود. لهذا كان من أبرز أهداف عرض هذا الشقي المخطوف في قفص القرود، إضافة إلى تسلية الأطفال، هو تعميم هذا الاعتقاد وتوليفه وجعله مسلّمة سائرة بين عامة الناس.

Phillip V. Bradford and Harvey Blume, *Ota Benga: The Pygmy in the Zoo* (New York: St Martin's Press, 1992), p. 304

وعلى غير انتظار، ثار آباء الكنيسة السود في المدينة واعترضوا، لكن مدير حديقة الحيوانات وليم هورنداي William Hornaday وعمدة المدينة جورج ماكليلان George B. McClellan استخفا بهم. ثم مع ارتفاع صوت الإنسانيين، سُمح لأوتا بنغا بالخروج من القفص نهاراً والعودة إليه ليلاً. أما في النهار فكان جمهور غفير من السياح والأطفال يُحْدِقون به أو يطاردونه ساخرين، ضاحكين، أو مؤذين. وفي أحد الآحاد، كما يروي المصدر السابق، بلغ عدد الزوار أربعين ألفاً، كلهم بدون استثناء خفوا إليه، فأحدقوا به أو طاردوه. كان بعضهم يعوي، وآخرون يتفننون في استثارته وإغاظته، أو ينخزونه، أو يرمونه بما يؤذيه. وكلهم كانوا يتلذذون بعذابه ويضحكون منه.

وعندما أعيد إلى قفص القرود استطاع أن يصنع قوساً بدائياً وسهاماً راح يرمي بها من يضحك عليه أو يسخر منه. وهكذا تقرر تحريره من حديقة الحيوانات واستخدامه في مصنع تبغ لينشبرغ حيث استطاع ذات يوم أن يعثر على مسدس ويطلق النار على قلبه ليرتاح من سادية «الآلهة».أنظر:

Jerry Bergman, "Ota Benga: The Story of the Pygmy on Display in a Zoo," *Creation Research Society Quarterly*, vol. 30, number 3, December, 1993.

(٥٢) هناك مراجع كثيرة لهذا الرقم، لعل أقربها لمتناول القارىء ما جاء في ويكيبيديا في عرضها لسيرة دافنبورت نقلاً عن:

Edwin Black, *War Against the Weak: Eugenics and America's Campaign to Create a Master Race*, p 293 et seq.

(٥٣) E. Carlton Macdowell, "Charles Benedict Davenport, 1866-1944: A Study of Conflicting Influences", *BIOS, A Quarterly Journal of Biology*, vo1.17, no.1 (March, 1946) pp. 4, 5, 8, 10.

(٥٤) Letter, Charles Benedict Davenport to John Shaw Billing, May 3, 1903: American Philosophical Society B-D 27, Cold Spring Harbor, Beginnings Correspondence # 1.

(٥٥) Charles Benedict "Davenport, *Heredity in Relation to Eugenics* (New York: Arno Press, 1972), pp. 213, 214, 218.

(٥٦) Charles Benedict Davenport, Letter to Madison Grant, May 3, 1920, American Philosophical Society B-D 27, Grant, Madison.

(٥٧) Davenport, Letter to Billing, May 3, 1903.

(٥٨) Willet M Hays, " Constructive Eugenics," *The American Breeders Magazine*, vol. III, no. 1 (1912).

(٥٩) Charles Benedict Davenport, Letter to the Trustees of the Carnegie Institution, May 5, American Philosophical Society B-D 27, Cold Spring Harbor Beginnings Correspondence # 3.

(٦٠) Bleeker Van Wagenen, *Preliminary Report of the Committee of the Eugenic Section of the American Breeders' Association to Study and to Report on the Best Practical Means for Cutting Off the Defective Germ-Plasm in the Human Population*, (American Breeders' Association, 1912), and Harry Hamilton Laughlin, *Bulletin*, no. 10A.

(٦١) Charles Benedict Davenport, Heredity in Relation to Eugenics, pp. 91,92.

أولى مهام الديوان كانت اكتشاف ضعاف العقول وتدوين كل المعلومات الشخصية عنهم، دون تحديد ما يعنونه بضعف العقل أو علاقة الفقر بضعف العقل وذلك لعزل هؤلاء الضحايا في معسكرات ثم تعقيمهم وقطع دابر نسلهم.

Harry H. Laughlin, Secretary of the Committee, *Bulletin No, 10B: Report of the Committee to Study and to Report on the Best Practical Means of Cutting Off the Defective Germ-Plasm in the American Population.* (Cold Spring Harbor, Long Island, New York, February, 1914), 145 CSH & 46-47, 58 CSH.

(٦٢) Bleeker Van Wagenen, Preliminary Report of the Committee...,op., cit., p.5.

تمّ تعيين هاري هملتون لَفْلين Harry Hamilton Laughin مديراً لديوان سجلات تحسين النسل، كما تم تجنيد عدد هائل من الباحثين الميدانيين حيث زاروا أول ما زاروا السجون والمصحات وعيادات التوليد، ثم بدأوا بمسح ولايات الشاطىء الشرقي للبحث عن هؤلاء الضحايا وأسرهم وأصولهم استعداداً لعملية تطهيرهم. وبالطبع فقد كان المسلمون السود والهنود الحمر على رأس القائمة. وكان لَفْلين قد تعهد لدانبورت بجمع معلومات عن كل من يعيش فوق الأرض الأميركية وذلك لوضع حد نهائي لولادات غير المرغوب فيهم وزيادة نسل العرق الأنكلوسكسوني المتفوق، حيث ستوضع قائمة بالنابغين وأصحاب المواهب وتخصيص حوافز مالية وغير مالية لتشجيعهم على التناسل والتكاثر.

Albert Edward Wiggam and Stephen S. Visher, "Needed: Faculty Family Allowances," *Eugenics*, vol. III, No. 12 (December 1930), pp. 458-460.

(٦٣) Bruce E. Johansen, "Stolen Wombs, Indigenous Women Most at Risk," *Native Americas*, Summer 2000, pp. 38-42.

ومن تفاصيل هذه القوانين التي امتازت عباراتها بالتضليل وافتقدت إلى التعريفات الواضحة للمستهدفين أنّ ١٩ ولاية مثلاً فرضت التعقيم على الآباء الذين يُعتقد بأن أحد أطفالهم قد **«يعاني من عاهة خلقية أو عقلية»**، وأن ست ولايات فرضته على الآباء **«غير الأكفاء إجتماعياً»**، وفي ميشغان

فرض التعقيم على **«كل من لديه نزعة إجرامية»**. وهناك ١١ ولاية فرضته على **«المصابين بالصرع»**. وفي إياوا فرض على **«من قد يشكل خطراً على المجتمع»**. وفي ولايات أخرى فرض التعقيم على **«من قد يتعرض للإصابة بالسفلس»** (ساوث كارولينا وإياوا)، أو **«من يوصف بالمتردي أخلاقياً»** (كاليفورنيا، إياوا وميشغان).الخ.

وفي عام ١٩٧٠، أيام الرئيس نيكسون، اعتبرت كل هذه القوانين غير دستورية لكنها في واقع الأمر لم تُلغ عملياً بل سلخت جلدها ليستعاض عن التعقيم القسري بما يسمى التعقيم الاختياري للفقراء أو للجماعات العرقية المختلفة وخاصة للهنود الحمر. (المصدر أعلاه)، وانظر أيضاً:

Bruce E. Johansen, "Reprise/Force Sterilization," *Native Americas*, Winter 1998, pp. 44-47.

(٦٤) Harry H. Laughlin, *Bulletin*, No. 10A, p. 9.

لهذه الغاية راحت الحركة تنسق برامجها مع مؤسسات نظيرة في بريطانيا وألمانيا وتدعمها بالمال والخبرات. ولهذا الهدف عقدت مؤتمرها الدولي الأول International Eugenics Congress في جامعة لندن (٢٤ ـ ٣١ تموز/يوليو ١٩١٢) حيث التقى حوالي أربعمائة وفد ومتحدث من أميركا وإنكلترا وألمانيا وإيطاليا وعدد آخر من البلدان الأوروبية.

"The International Eugenics Congress, An Event of Great Importance in the History of Evolution, Has Taken Place," *Journal of the American Medical Association*, vol. LIX. No. 7, p. 555.

معظم الوفود حضرت بأجندات عنصرية. وكان من بين الحاضرين ونستون تشرشل مندوباً عن ملك بريطانيا. وقد قرع ناقوس الخطر منذراً من زيادة عدد المصابين بخلل عقلي في بريطانيا. وكان ذا حماسة شديدة لبرامج الهندسة الوراثية الأميركية. ويروي ريتشارد توي Richard Toye في كتابه «إمبراطورية تشرشل» قصة هذا «البطل العنصري» الذي كان يقاتل من أجل نقاء العرق الأنكلو سكسوني، والذي أنشأ معسكرات اعتقال خاصة، واحداً في كينيا، وآخَرَ في جنوب أفريقيا زج فيه ١١٥ ألف أفريقي أسود، قتل منهم حوالي ألف ضحية. وعندما كان سكرتير الدولة للحرب، أجاز استخدام غاز الخردل ضد رجال القبائل الأكراد في العراق والبشتون في

أفغانستان... الخ. أما على المستوى الأميركي الرسمي فإن وزارة الخارجية الأميركية هي التي تولت توجيه الدعوات باسم وزيرها فيلاندر نوكس Philander Chase Knox مما أعطى المؤتمر صفة رسمية اتفقت عليها حكومتا بريطانيا والولايات المتحدة، خاصة أن نص الدعوة «المُرَوَّسة» باسمه يقول:

«بطلب من السفارة البريطانية في هذه العاصمة، يشرفني أن أرسل إليكم دعوة موجهة إليكم من قبل اللجنة التنظيمية للمؤتمر الدولي الأول لمجلس تحسين النسل».

Philander Chase Knox, Letter to Mr. Alfred Mitchel Inns, Charge d'affairs of Great Britain, July 3, 1912, National Archive, 59/250/22/ID/3-5459, Document number 540.1A1/2; Henry L. Stimson to Philander Chase Knox, June 20, 1912, National Archive, 59/250/22/10/3-5459 Document number 540.1A1/1.

وانظر في موقف تشرشل:

Johann Hari, "The Two Churchills," *The New York Times - Sunday Book Review*, August 12, 2010.

وفي فظائعه بشكل عام:

Richard Toye, *Churchill's Empire,The World That Made Him and the World He Made* (St. Martin's Griffin, 2011).

(٦٥) Oscar C. McCulloch "The Tribe of Ishmael: A Study in Social Degradation," *Proceedings of the National Conference of Charities and Correction, at the Fifteenth Annual Session held in Buffalo, N.Y. July 5-11*, 1888, Edited by Isabel C. Barrows, (Boston: Press of Geo Ellis, 1888), pp. 154-159.

ولد أوسكار ماك كولوش في بيت متدين. وكان معلولاً بسيلان الدم ومرض الشقيقة. لهذا أعفي من الاشتراك في الحرب الأهلية، فدرس اللاهوت وأصبح كاهناً كما كان يحب. وفي عام ١٨٧٨ عثر على كتاب «مرغريت أم المجرمين» فقرأه بتمعن هو ومساعده ميْرون ريد Myron Reed ثم جعله موضوع قداس الأحد.

Myron Reed "Tribute to Oscar C. McCulloch," *Proceedings of Charities and Corrections at the Nineteenth Annual Session Held in Denver, Colorado*, (George Ellis: Boston, 1982). pp. 247-350.

وظل على مدى عشر سنوات يدرس ويتابع حياة الفقراء والمجرمين في إندياناپوليس. ثم إنه في المؤتمر الخامس عشر للإصلاحيات وجمعيات الإحسان المنعقد في بَفَلو Buffalo، بولاية نيويورك (يوليو /تموز ١٨٨٨)، ألقى كلمة بعنوان: «قبيلة إسماعيل: دراسة في الانحطاط الاجتماعي»، بدأها بعرض أنموذج بيولوجي غريب عن طفيلية مائية معروفة باسم sacculina تعيش على قشرة السلطعون. وعرض كيف التصقت به وفقدت خصائصها الحيوية وانحطت. وقد عزا ذلك إلى نزعة في خصائصها الوراثية، ذلك لأنها متحدرة من جَد هَجَر حياته المستقلة في الماء وأصبح طفيلية ذات حياة فقيرة منحطة. لذا فقدت هذه الطفيلية شكلها ولم يبق فيها سوى معدتها وأعضائها التناسلية. ثم خلص أخيراً إلى عظة أخلاقية مفادها أن الإنسان الذي يعيش كهذة الطفيلية ينحط، وهذا هو وضع قبيلة إسماعيل!

Oscar C. McCulloch "The Tribe of Ishmael",... pp. 154, 155, 157.

وقد شكلت هذه الطفيلية قفزة إبداعية هائلة في بلاغة التشويه والمَسخ للفرائس المشتهاة داخل القارة أو خارجها. إن انتقال استعارات المسخ والتشويه من الغابات وحدائق الحيوان إلى أنابيب المختبرات العلمية مرت بمراحل، أهمها محطة «القمل». وهي محطة تنسب إلى الكولونيل شقنغتون Philip Chivington الذي أمر جنوده قبيل مذبحة ساند كريك Sand Creek: «اقتلوهم جميعاً، صغيراً وكبيراً، فالقمل يفقس من بيض القمل Kill «them all, bid and small, nits make lice، كما جاء في محاضر شهادات المذبحة أمام الكونغرس

Affidavit of S. E. Browne sworn before the United States Senate in 1867. "The Chivington Massacre" Reports of the Committees 7, 1.

لكن هذه الاستعارة القملية ليست من إبداع الكولونيل شقنغتون، فهي متداولة على ألسنة الشعب المختار منذ الموجات الاستعمارية الأولى لإيرلندا. في عام ١٧٥٦ أيام حرب الجلاد المقدس أوليڤر كرومويل على الإيرلنديين، مثلاً، نجدها في قصيدة مديح لقائده شارلز كوت Sir Charles Coote الذي أدى قسطه للعُلا بقتل ٣٥٥٢ «قملة» إيرلندية في مذبحة واحدة.

The Writings and Speeches of Oliver Cromwell, 4 vols., ed. WilburAbbott (Cambridge: Harvard University Press, 1947), p. 269.

وقد ظلت هذه العبارة مركزية في العنف البريطاني ضد الشعوب التي

استعمروها، وخاصة في إيرلندا والعالم الجديد. هذه العجرفة البلاغية في استعارة القمل الذي لا بد أن يفقس من بيض القمل تبدو وكأنها حملة نظافة وتطهير تحث الجنود والمستوطنين على ضرورة قتل هذه الحشرة المزعجة والمقرفة قبل أن تفقس من بيضتها. وفي هذا تكمن علاقة «حركة النسل» بضحاياها وهم بعد في أرحام أمهاتهم. وبالتأكيد فإن فكرة المعازل التي حُشر فيها الهنود كانت وما زالت محاجر أيديولوجية لا تختلف عن المحاجر الصحية للمصابين بالجذام.

(٦٦) Diane B. Paul, *Controlling Human Heredity,1865 To the Present*, (New Jersey: Humanity Books, 1995), p.44.

(٦٧) تأسست المنظمة في إنديانا عام ١٩٢٠ على يد تاجر يدعى دي سي ستيفنسون D.C. Stephenson ، ثم اتخذت مقراً لها في إنديانابوليس عام ١٩٢٢ حيث بلغ عدد أعضائها أكثر ٣٠٠ ألف، (٤٠ ألفاً في إنديانابوليس وحدها). وكانت يومها لسوء حظ «قبيلة إسماعيل» أقوى وأعنف منظمة سياسية عنصرية في الولايات المتحدة.

Michael and Judy Ann Newton, *The Ku Klux Klan: An Encyclopedia*, (New York: Garland Publishing, Inc, 1991).

(٦٨) Oscar C. McCulloch "The Tribe of Ishmael, op., cit.

(٦٩) ليس لهذه الأسطورة البدوية العنصرية من سند في القرآن أو في السنة النبوية. وللأسف فما زال العرب المستهدفون بها يرددونها، ويقدسونها أحياناً، كأنها وحي يوحى. ولطالما كان اسم إسماعيل بالنسبة للزنابير يحمل أبشع الصفات سواء في المعاجم الإنكليزية التي تعرفه بالإنسان «المنبوذ اجتماعياً» أو «الصعلوك» أو «النفاية»، أو في الروايات، كما في رواية موبي ديك *Moby Dick* لهرمن مِلفيل Herman Melville وحكايا وشطحات خيالية *Tales and Fantasies* لروبرت لويس ستيفنسون Robert Louis, Stevenson وآيفنهو *Ivanhoe* لوالتر سكوت Walter Scott. وطالما وصفه كتبة العهد القديم هو وكل من يتحدر من صلبه إلى يوم القيامة بالمتوحش وبالحمار الوحشي أو الإنسان الوحش. انظر:

سفر التكوين، ١٦: ١٢، طبعات ڤاندايك، والكاثوليكية، والحياة، واليسوعية، والمشتركة).

وبالطبع لا تزال هذه الخرافة العنصرية مرجعاً تاريخياً وأخلاقياً وبيولوجياً لدى حاخامات الاستعمار والعنصرية في الغرب الذين استمدوا من أساطير العبرانيين في العهد القديم كل أخلاق الاستعباد والاستعمار والإبادات الجماعية، تماما كما هي لدى حاخامات المسلمين والصهاينة في العصر الحديث. فالحاخام شوفيتز حاييم Chofetz Chaim (إسرائيل مئير Yisrael Meir) ذو التأثير الهائل على الحياة اليهودية في القرن العشرين يقول: «إن التوراة المقدسة تخبرنا أن إسماعيل كان وحشاً بشرياً. والمعروف إن توراتنا أبدية سرمدية. وحين تنص التوراة على أن إسماعيل وحش بشري فإن إسماعيل [كل عربي] سيبقى للأبد وحشاً بشرياً. فلو اجتمعت كل الأمم المتحضرة وأرادت أن تربي إسماعيل وتجعل منه فرداً متحضراً فإنها لن تنجح في ذلك. إنهم لن يستطيعوا أن ينتزعوا منه وحشيته مهما كانت وسائلهم وبراعاتهم، ذلك أن إسماعيل غير مؤهل لأن يكون إنساناً متحضراً، لأن التوراة المقدسة تقول إنه وحش بشري. ولو خاض إسماعيل غمار الثقافة، وصار محامياً أو ما شابه فإنه لن يكون إلا محامياً متوحشاً. وإذا درس واجتهد في الدراسة ليكون بروفسوراً فإنه سيكون بروفسوراً متوحشاً. هذا يعني أن وحشية إسماعيل [كل عربي] لا تحول عنه ولا تزول وستبقى ملازمة له إلى الأبد. أنظر

Arutz Sheva, www. IsraelNationalNews.com, 9/1/2010.

(٧٠) كل مفهوم «حق الحرب Right of War» الذي اجتاح به الغزاة الإنكليز القارة الأميركية الشمالية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي وأهلكوا من فيها من أمم وشعوب (أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب)، ثم اعتمدته الولايات المتحدة أساساً في نظرية أمنها القومي يتعلل بمثل هذه الأخطار والمخاوف الملفقة سلفاً.

(٧١) Henry H. Laughlin: "The Eugenics Exhibit at Chicago, A Description of the Wall-Panel Survey of Eugenics exhibited in the Hall of Science, Century of Progress Exposition, Chicago, 1933-1934," *Journal of Heredity*, vol. 26m No.4, (1935), pp.155-162.

(٧٢) في منتصف القرن السابع عشر ساد الاعتقاد بأن الله عاتب على شعبه الجديد وأن هناك بوادر خصومة عبّر عنها ميخائيل ويغلزوورث Michael

Wigglesworth أحد أكبر شعراء العالم الجديد في عصره في قصيدة ملحمية بعنوان «خصومة الله مع نيو إنغلاند» God's Controversy with New England (١٦٦٢ سنة القحط العظيم) ندب فيها تقاعس المستعمرين عن أداء دورهم الرّسالي. ولكن مع انطلاقة ما يسمى باليقظة الكبرى The Great Awakening تجدد الأمل في أن الله لن يتخلى عن شعبه في حربه على أهل البلاد وعلى طبيعتهم الوحشية. وكان جوناثان إدواردز (أحد أعظم فلاسفة الاستعمار الأنكلوسكسوني في القرن الثامن عشر وجدّ الرئيس تيودور روزفلت) قد وضع الأسس الفكرية لهذه اليقظة التي ستكون بداية «التجديد الإلهي» لكل الإنسانية!

Jonathan Edwards, "The latter-day glory, is probably to begin in America" in *Works of Jonathan Edwards* (Christian Classics Ethereal Library), vol., 1 pp. 381-383; Michael Wigglesworth, "God's Controversy with New England," *Proceedings of the Massachusetts Historical Society*, vol. xii (1871-1873), pp. 83-93.

(٧٣) Hugo P. Leaming, "The Ben Ishmael Tribe: A Fugitive 'Nation' of the Old Northwest," in Melvin G. Holli and Peter d'Alroy Jones (ed.) *The Ethnic Frontier: Essays in the history of group survival in Chicago and the Midwest* (Eerdmans, 1977), pp.98-141.

وقد لجأ ماك كولوش عن عمد إلى تلفيق هذا الإسم ذي الرنين العربي بعد أن عجز عن اكتشاف ما يميزهم «بيولوجياً» عن جيرانهم البيض. هكذا اضطره بياض هؤلاء الضحايا إلى ما ذهب إليه ثيودور آلن Theodore Allen في كتابه «اختراع العرق الأبيض» *The Invention of the White Race* عندما اعتبر البياض شكلاً إجتماعياً وطريقة حياة race as a social construct مستلهماً في ذلك أيديولوجية الاستعمار البريطاني للإيرلنديين الذين سقطوا في امتحان البياض كما سقطت «قبيلة بن إسماعيل».

Theodore W. Allen, *The Invention of the White Race*, vol. I & II (Verso, 1994,1997).

(٧٤) Nathaniel Deutsch, *Inventing America's "Worst" Family: Eugenics, Islam, and the Fall and Rise of the Tribe of Ishmael* (Berkeley: University of California Press, 2009) p. 12.

ما أن صدر القانون (١٩٠٧) حتى استفحل التعقيم والإخصاء الجماعي في إنديانا، فالدكتور هاري كلاي شارپ Harry Clay Sharp مثلاً تعهد السجون وأجرى عمليات تعقيم لعدد كبير من السجناء، بل إنه نشر نداء عاطفياً لزملائه دعاهم فيه إلى خوض حرب «تحسين النسل» في أميركا. أنظر في هذه النجاحات:

Harry H. Laughlin, *Bulletin*, No. 10A, "Foldout on Analysis of Existing Sterilization Laws, 1913" Foldout Continuation.

(٧٥) Alexandra M. Stern, *Eugenic Nation: Faults and Frontiers of Better Breeding in Modern America* (Berkeley: University of California Press, 2005), p.15.

(٧٦) Christine Rosen, *Preaching Eugenics: Religious Leaders and the American Eugenics Movement, (New York: Oxford University Press, 2004), 130.*

(٧٧) Hugo p. Leaming, "The Ben Ishmael Tribe: A Fugitive Nation of the Old Norhtwest," in Melvin G. Holli's and Peter d'Alroy Jones', *The Ethnic Frontier*, op., cit., pp, 122, 141.

(٧٨) See: Peter Lamborn Wilson, *Sacred Drift: Essays on the Margins of Islam* (San Francisco: City Lights Books, 1993); Michael Angelo Gomez, *Black Crescent: The Experience and Legacy of African Muslims in the Americas* (Cambridge University Press, 2005).

وهنا أحب أن أنوه بواحدة من الدراسات الجدية التي قرأتها عن تاريخ العرب المسلمين في أميركا كتبها البروفسور لوي كارديلاك Louis Cardillac من جامعة پول ڤاليري في مونپلييه في فرنسا، وتكرم بترجمتها عن الإسپانية الدكتور العلامة عبدالجليل التميمي، أحد أبرز المختصين بالعلوم الموريسكية والدراسات الأندلسية، ونشرتُها في مجلة **جسور** (ربيع/صيف ١٩٩٣). تكشف الدراسة، بعد تحقيق معمق دقيق في حوليات الكنائس ودعاوى ديوان التحقيق في ليما ومكسيكو وقرطاجنة في الإنديز (بعضها يعود إلى عام ١٥٠١)، أن الإسبان حملوا معهم في سفن غزوهم الأولى للعالم الجديد عدداً كبيراً من الموريسكيين. وهذا يعني أن العرب المسلمين المدعوين بالموريسكيين كانوا في أميركا في أيام كولومبس.

(٧٩) Paul Wagman, "U. S. Program To Sterilize Millions," *St. Louis Post Dispatch*, April 22, 1977.

ونساء العالم القادرات على الحمل في تقديره يبلغن ذلك العام ٥٧٠ مليون امرأة، مما يعني أن كل ما تتطلبه المصالح الأميركية المتواضعة هو تعقيم ١٤٢ مليون امرأة وقطع دابر نسلهن. وواضح أن النساء المستهدفات بالقضاء على نسلهن لن يكنّ من اللؤلؤ المكنون في بريطانيا أو ألمانيا أو فرنسا. وكان راڤنهولت يومها في سانت لويس للمشاركة في المؤتمر السنوي للجمعية الأميركية للسكان المنعقد في فندق Chase-Park Plaza حيث كشف عن هذا البرنامج.

(٨٠) Johns Hopkins Program for International Education in Gynecology and Obstetrics (JHPIEGO), 1973.

يعترف رافنهولت أن هناك أكثر من مئتي طبيب من بلدان مختلفة من العالم تلقوا التدريب اللازم على تقنيات التعقيم في جامعة واشنطن (بدعم من الحكومة الفيدرالية مقداره مليارات ونصف المليار دولار)، وأن ثلاثين بلداً عقدوا اتفاقات مع الولايات المتحدة بهذا الخصوص. ثم يعلق على ذلك قائلاً: هذه أمثل طريقة لنا للوصول إلى أهدافنا! أما حين تَحُول الحساسياتُ السياسية دون عَقدِ مثل هذه الاتفاقات مع حكومات غير صديقة فإننا نستعين بمنظمات دولية تتولى عَنّا ذلك، مثل «صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية» United Nations Fund for Population Activities والفيدرالية الدولية للأبوة المنظّمة International Planned Parenthood Federation. المصدر السابق: *St. Louis Post Dispatch*, April 22, 1977.

(٨١) أزيلت السرية عن المذكرة في آذار/مارس ١٩٨٩. وهي بعنوان «عواقب النمو السكاني العالمي على أمن الولايات المتحدة ومصالحها في أعالي البحار». وقد وجّهها كيسنجر إلى وزير الدفاع، ووزير الزراعة، ومدير الاستخبارات المركزية، ووكيل وزارة الخارجية، ورئيس موظفي البيت الأبيض مع ملاحظة أن لا تُزال السرية عن المذكرة إلا من قبل البيت الأبيض. وأشارت المذكرة في السطر الأول منها أنها وُضعت بتوجيه من الرئيس [جيرالد فورد]، وأنها تطمح إلى إنجاز أهدافها بحلول عام ٢٠٠٠. أما شعوب الدول التي استهدفها العزيز هنري بالتعقيم والإخصاء فهي بنغلادش، پاكستان، نيجيريا، أندونيسيا، مصر، تركيا، الهند، المكسيك، البرازيل، الفيليبين، تايلاند، الحبشة، كولومبيا، وبرر ذلك بأن لهذه البلدان

أهمية جيوسياسية للمصالح الأميركية، ولأن زيادة السكان فيها يهدد الأمن القومي الأميركي، فالصناعة الأميركية تزداد اعتماداً على مصادر العالم الثالث، وإن الحد من نسل فقراء هذا العالم سوف يضع حداً للثورات والتمردات التي يُشعلها الفقراء والطبقات الدنيا. واقترحت المذكرة عدم ظهور أميركا في الصورة مباشرة حتى لا يحرج زعماء هذه البلدان من الضغط الأميركي، وتكليف صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية United Nations Fund for Population Activities (UNFPA) بهذه المهمة ودعمه بالمال والخبرات. ولتنفيذ ذلك بسهولة، يجب أن يدار الصندوق من قبل رجل ملون حتى لا يثير الشبهة. وفعلاً فقد تم تعيين الفيليبيني الكاثوليكي رافائيل سالاس Rafael Salas منسقاً عاماً للصندوق باقتراح من جون روكيفلر John D. Rocefeller III.

Henry Kissinger, "Implications of Worldwide Population Growth for U.S. Security and Overseas Interests," (National Security Council: Washington, D.C. 20506), National Security Study Memorandum 200, April 24, 1974.

(٨٢) White House Office of Science and Technology Policy, Assistant to the President for Science and Technology, and Co-Chair of the President's Council of Advisors on Science and Technology.

(٨٣) Paul & Ann R. Ehrlich, John P. Holdren, *Ecoscience: Population, Resources, Environment* (W.H. Freeman & Co., 1977), pp.786-787.

(٨٤) *Ibid.*, pp. 786-787, 837, 838.

وفي عبارة «الذين يعيثون فساداً في المجتمع» الفضفاضة تكمن كل مخاطر هذه المذبحة التي لا تستهدف إلا نسل الفقراء والمستضعفين في الولايات المتحدة والعالم. لم يتردد صاحب هذا البرنامج في الصفحة ٥٩٤ من الكتاب عن وصف نفسه بأنه مالتوسي جديد. والمعروف أن توماس مالتوس كما يصفه بن جونسون Ben Johnson «أخطر مُنَظِّر عدو للإنسانية في كل تاريخ هذه الإنسانية». بل هو كما يقول كاتب سيرته: «إننا أمام رجل يدافع عن الجدري، وعن العبودية، وعن قتل الأطفال؛ رجل يرفض تقديم العون للفقراء. لأن ذلك سيوسع من رقعة الشر».

(٨٥) *Ibid.*, p. 837.

(٨٦) *Ibid.*, p.p. 787 - 788.

(٨٧) *Ibid.*, p.p. 942 - 943.

(٨٨) *Ibid.*, p. 917.

(٨٩) كما فعلتْ مؤسسات التعقيم داخل الولايات المتحدة بعد افتضاح الجريمة فاستعاضت عن عبارة «التعقيم القسري» بعبارة «التعقيم الاختياري»، بينما استمرت في سيرتها مع الفقراء والضعفاء. كذلك فعلت الوكالة USAID على المستوى الدولي حيث راحت تتحدث عن برنامج تعقيم ١٤٢ مليون امرأة في العالم الثالث، بلغة أبوية طافحة بالحنان. ومن يقرأ التعليمات «الصارمة» التي وضعتها الوكالة لما تسميه التعقيم «الاختياري» لسكان العالم الثالث لا بد من أن يشعر بأن الذين صاغوها إن لم يكونوا أنبياء طاهرين منزهين فإنهم قديسون تتفطر قلوبهم رحمة وشفقة وأريحية.انظر فقرة التعقيم الاختياري في:

USAID Policy Paper Population Assistance (Bureau for Program and Policy Coordination, U.S. Agency for International Development: Washington, D.C., September, 1982), pp. 7-8.

(٩٠) Bruce E Johansen, "Stolen Wombs, Indigenous Women Most at Risk," *Native Americas*, Summer 2000.

(٩١) أيام الحرب على الفيتنام كانت وكالة USAID (وهي الذراع الأيمن لوزارة الخارجية الأميركية ووكالة الاستخبارات المركزية) توزع حبوب منع الحمل مجاناً، هديةً من الشعب الأميركي الصديق، وذلك بهدف الحد من زيادة عدد الشيوعيين في الفيتنام الجنوبية فيما كانت القوات الأميركية ترمي على الفيتناميين قنابل النابالم الحارقة وغاز الخردل وغاز الأعصاب. ويومها أيضاً، اقترح عدد من السياسيين والأكاديميين الأميركيين معالجة أرزّ الفيتناميين وماء شربهم بعقاقير التعقيم. انظر:

Bonnie Mass, *Population Target: The Political Economy of Population Control in Latin America* (Toronto: Women's Educational, 1977), pp.158-159.

وليس سراً أن الوكالة التي هي الذراع الأيمن لوزارة الخارجية الأميركية ووكالة الاستخبارات المركزية، تنسق في كثير من نشاطاتها مع

الإسرائيليين، فهي مثلاً ترعى ما كان يسمى إعادة الإعمار في العراق، وقد سهّلت بذلك العمل لخمس وخمسين شركة إسرائيلية في هذا البلد الذي تُنهش عروبته وثرواته يوماً بعد يوم. انظر:

"55 Israeli companies working in Iraq under assumed names," Uruknet.Info: informazione dal medio oriente information from middle east http://www.uruknet.info/?p=45479.

(٩٢) Colin Mason, "Rwanda to Sterilize 700,000 Men, PRI Pledges to "Work Tirelessly" Against It," Population Research Institute. February 9, 2011.

والمؤسسة المذكورة دولية غير ربحية تعمل على مقاومة البرامج الأميركية للتعقيم والإخصاء. أنظر موقعها /http://www.pop.org وانظر كذلك:

Michael Tennant, "U.S. Funds Rwandan Sterilization Campaign," *The New American*, February 15, 2011.

(٩٣) "New Research Reveals Depth of Sterilization Abuse in Peru." *The Interim, Canada's Life and Family Newspaper*, March 7 1998; "Sterilization Debate in Peru: Are Some Women Coerced?" *The Miami Herald*, January 11, 1998.

وتتحدث *The Interim* عن جهود USAID الحثيثة لإغراء البيرو ببرنامج التعقيم منذ العام ١٩٦٢، وكيف ساعدت حكومة البيرو في العام ١٩٦٦ على إنشاء منظمة مستقلة «شبه حكومية» لتولي هذه المهام النبيلة. وتنقل عن منظمة «أفريقيا عام ٢٠٠٠» Africa 2000 تفاصيل عن الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة على حكومة البيرو للحد من نسل السكان الأصليين. كذلك تقول إنه في عام ١٩٩٥ تمكنت وكالة الاستخبارات المركزية من زرع عملائها باسم «مستشارين» في حكومات البيرو، والهند، والنيجر، ومصر، وذلك لدعم برنامج التعقيم «الاختياري».

The Interim, March 7 1998.

(٩٤) وفعلاً، فإن الـ واشنطن بوست *The Washington Post* (١٢ شباط/ فبراير، ١٩٩٨) ذكرت، نقلاً عن وثيقة حكومية، أن الحكومة فرضت «كوتا» محددة لحملة التعقيم، وأن اعتماداتٍ فُتحت لأطباء تعهدوا بتنفيذ المهمة، وأن هذا التعقيم تم بالإكراه.

Anthony Faiola,"Peru's Family Planning Under Fire: Critics Allege Poor

Women are Coerced to Undergo Sterilization, *The Washington Post*, February 12, 1998.

(٩٥) Bruce E Johansen, "Stolen Wombs, Indigenous women most at risk," *Native Americas*, Summer 2000.

وقد أشار الكاتب إلى أن منظمات حقوق الإنسان ربطت هذه الجرائم ببرنامج كيسنجر لتعقيم نساء العالم الثالث.

(٩٦) "New Research Reveals Depth of Sterilization Abuse in Peru." *The Interim, Canada's Life and Family Newspaper*, March 7 1998; "Sterilization Debate in Peru: Are Some Women Coerced?" *The Miami Herald*, January 11, 1998.

(٩٧) Bruce E Johansen, op., cit.

(٩٨) Christina Lamb, "Votes for sterilisation' threaten Brazilian tribe, *Sunday Telegraph*, london September 13, 1998.

(٩٩) Brazil Launches Inquiry Into U.S. Population Activities, The Charge: Millions Sterilized to Meet U.S. Political Objectives," *Baobab Press* – vol. 1, Number 12, cited by Del Jones aka Nana Kuntu, "U.S. Population Control Continues to Kill," M. O. T. *Healthzine*, issue 2.

(١٠٠) Laura Briggs, " Discourses of 'Forced Sterilization' in Puerto Rico: The Problem with the Speaking Subaltern," *Differences, A Journal of Feminist Cultural Studies*, vol.10 No.2 (1998), pp.30-66.

وللمؤلفة، كما اكتشفتُ متأخراً، كتاب كامل يتناول فيما يتناول هذه المذبحة الجماعية في بورتوريكو بعنوان:

Reproducing Empire: Race, Sex, Science, and U.S. Imperialism in Puerto Rico, (University of California Press, 2002).

(١٠١) *Ibid.*, p. 32.

(١٠٢) *Ibid.*, p. 33.

(١٠٣) Laura Briggs quoting Peter Khiss,"A Puerto Rican Sees 'Genocide'." *New York Times*, October 31, 1974.

(١٠٤) "Report on census of Puerto Rico, 1899," United States War Dept. Porto Rico Census Office (Washington, DC: U.S. G.P.O., 1900), Series:

CIS Executive Branch Documents, 1789-1909 : no. W4802-1

(١٠٥) Irene Vilar, *A Message from God in the Atomic Age*, Translated by Gregory Rabassa (New York: Pantheon, 1996), pp. 47 - 48; and Laura Briggs, p.39.

(١٠٦) Robert M. Carmack, ed., *Harvest of Violence: The Maya Indians and the Guatemalan Crisis* (University of Oklahoma Press, 1988), pp. 263-269, cited by David E. Stannard, *American Holocaust: The Conquest of the New World* (Oxford University Press, USA, 1993), pp. xii-xiv.

(١٠٧) Susanne Jonas, *The Battle for Guatemala: Rebels, Death Squads, and U.S. Power*, Latin American Perspectives Series, No 5, (Boulder, Westview Press1991), p. 145.

(١٠٨) David E. Stannard, op., cit., p.x.

ويرى ستانرد أن نسبة الإبادة كانت بين ٩٢ و٩٣ بالمئة من سكان الأميركيتين. إنها بتعبيره: أكبر حرب إبادة في تاريخ العالم.

. the most massive act of genocide in the history of the world.

(١٠٩) Ines Hernandez-Avila, "In Praise of Insubordination, or, What Makes a Good Woman Go Bad?" in *Transforming a Rape Culture*, edited by Emilie Buchwald, et al. (Minneapolis: Milkweed, 1993), 375-392.

(١١٠) David E. Stannard, op. cit., pp. 121-123,131.

تجد أيقونة جاكسون المقدسة على ورقة العشرين دولاراً. وجاكسون ليس استثناء، إذ ما أبرع هذه الأمة في صناعة الأيقونات المقدسة لمجرميها.

(١١١) للمزيد من تفاصيل هذه الاستباحة لجسد الهنود، راجع: منير العكش، **أميركا والإبادات الثقافية**، (بيروت: رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٩) فصل «استباحة الجسد»، ص٢٥ ـ ٣٩.

(١١٢) Henry Dobyns, *Their Numbers Become Thin* (University of Tennessee Press, 1983), pp.15-23.

ويصنف دوبينز هنا أنواع الحروب الجرثومية الشاملة التي سلطها رُسل الحضارة على الهنود كما يلي: ٤١ جدري، ٤ طاعون، ١٧ حصبة، ١٠ إنفلونزا، ٢١ سل ودفتريا وتيفوس وكوليرا. ويقول إنه كانت لكل هذه الحروب آثار وبائية شاملة اجتاحت مساحات شاسعة من الأراضي من

فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أورغن في الشمال الغربي. بل إن بعض الشعوب الهندية وصلتها الأوبئة وأبيدت قبل أن ترى وجه الإنسان الأبيض.

(١١٣) Thomas Morton, *New English Canaan* (Boston: John Wilson and Son. 1883), p. 133..

وعن هذه الجلجلة يقول المؤرخ ريتشارد سلوتكن «دعك من زيف تلك الروايات الرومانتيكية والبطولية التي تصف استعمار الأوروبيين لأميركا. وإذا كان لا بد من شعار يرمز لأميركا وتاريخها فليس هناك ما يعبر عن الحقيقة سوى هرم هائل من الجماجم».

Richard Slotkin, *Regeneration Through Violence: The Mythology of the American Frontier, 1600-1860* (Middletown, Connecticut: Wesleyan University Press), p.565.

(١١٤) William Bradford, *History of Plimoth Plantation* (Boston Wright & Potter Printing Co., 1898), p. 387.

(١١٥) *Ibid.*, pp. 388-389.

(١١٦) David E. Stannard, *American Holocaust*, op. cit.,1993, p.x.

(١١٧) *Ibid.*

(١١٨) ١١٢ مليون إنسان هو أكثر الأرقام تواضعاً في الدراسات التي أجرتها ما صار يعرف بمدرسة بيركلي Berkeley School. بدأت دراساتها باقتراح من عالم الإنسانيات ألفرد كروبر Alfred L. Kroeber . وهي مجموعة من العلماء تنتمي إلى مختلف حقول العلم الطبيعي والإنساني وتعمل في جامعة كاليفورنيا University of California in Berkeley في بيركلي حيث يعمل كروبر. وقد أحدثت دراساتها ثورة في تقنيات التاريخ السكاني، صارت تعرف لاحقاً بمدرسة بيركلي. في البداية فحص هؤلاء العلماء ودققوا في عدد هائل من المصادر بينها محفوظات الكنائس وكشوف الضرائب الحكومية، والتعميد، وسجلات الزواج إضافة إلى دراسات مخبرية معقدة للأراضي التي كانت تزرع وقدرتها على العطاء بدءاً من كاليفورنيا في الشمال الغربي فإلى نيومكسيكو في الجنوب، فإلى ولايات ما يعرف بنيو إنكلاند في الشرق وانتهاء بالقارة الجنوبية. وبالطبع كانت

الأرقام التي توصلوا إليها تنسف خرافة الأرض العذراء وكل الأساطير التي أشاعتها هوليوود عن شراذم الهنود الذين ينبت في رؤوسهم الريش ويركضون في الغابات ويعوون. ففي وسط مكسيكو وحدها بلغ عدد السكان الأصليين ٢٥ مليوناً، و٨ ملايين في إسبانيولا (جزيرة في البحر الكاريبي، تضم الآن جمهوريتَي الدومينيكان وهايتي). ومنذ ستينيات القرن الماضي سمحت هذه الدراسات بالحديث عن أكثر من مئة مليون إنسان كانوا يعيشون في العالم الجديد في زمن كولومبس. ثم نشر عالم الإنسانيات هنري دوبينس Henry F. Dobyns تحليلاً مذهلاً لما توصلت إليه هذه الدراسات في زمنه، خلاصته أن عدد سكان القارتين عند وصول الإسبان لم يكن يقل عن ١١٢ مليونا. أي أكثر من كل عدد سكان أوروبا.

Henry F. Dobyns, "Estimating Aboriginal American Population: An appraisal of Techniques with a New Hemispheric Estimate," *Current Anthropology*, 7 (1966), 395-416.

في ذلك الوقت، كان عدد سكان أوروبا باستثناء روسيا بين ٦٠ و٧٠ مليوناً، وعدد سكان روسيا بين ١٠ و١٨ مليوناً، بينما كان عدد سكان أفريقيا بين ٤٠ و٧٢ مليوناً.

John D. Durand, «Historical Estimates of World Population, An Evaluatuin», *Population and Development Review*, vol. 3 No. 3, (1977), pp. 253-296.

ثم إن الدراسات المستجدة ذهبت أبعد، لتقدر عدد سكان العالم الجديد بـ ١٤٥ مليوناً، بينهم ما لا يقل عن ١٨ مليوناً كانوا يعيشون في المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة.

David E. Stannard, *American Holocaust*, op. cit., pp.267 - 269.

وهذا ما يؤكده الأسقف بارتولومي دو لاسكازاس أحد أوائل مستوطني العالم الجديد عام ١٥٠٢، أيام كولومبس، حيث يقول في شهادته الإنسانية التي تحدث فيها عن إبادة الملايين من السكان الأصليين: «هذه بلاد تعج بالسكان، كأن الله جمع فيها كل من خلقهم من البشر».

Bartolome De Las Casas, *A Short Account of the Destruction of the Indies*, (ReadaClassic, 2009), p.6.

(١١٩) Alfred W. Crosby, "Infectious Disease and the Demography of the Atlantic Peoples, *Journal of the World History*, vol. 2, No.2 (Fall1991), 122-124.

(١٢٠) Alexander Saxton. *The Rise and Fall of the White Republic: Class Politics and Mass Culture in Nineteenth Century America* (London: Verso Books, 1991). p.153.

وكنت قد تحدثت عن هذا الفن الإنكليزي العريق في ذرف الدموع على قبور ضحاياهم بالحرب الجرثومية وغير الجرثومية، وذلك في فصل من كتابي **حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية** بعنوان «الوباء البديع». وتعبير «الوباء البديع» هو للملك جيمس الأول. وصفه بالبديع وحمد الله عليه لأنه، كما قال: «أزاح المتوحشين من بين أقدامنا».وقد أنهيت الفصل بشاهد من كتاب عن حرب الجراثيم والأوبئة بعنوان «الجيوش الخفية» للمؤرخ الطبيب هوارد سيمبسون حيث يقول:«إن المستعمرين الإنكليز لم يجتاحوا أميركا بفضل عبقريتهم العسكرية، أو دوافعهم الدينية، أو طموحاتهم، أو وحشيتهم، بل بسبب حربهم الجرثومية التي لم يعرف تاريخ الإنسانية مثيلاً لها». أنظر

منير العكش، **حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية** (بيروت: رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٢)، ١٥ ـ ٢٣.

(١٢١) David Beers Quinn, *Set Fair for Roanoke: Voyages and Colonies, 1584-1606* (University of North Carolina Press: 1985), pp.228-230.

(١٢٢) Gary L. Ebersole, *Puritan to Postmodern, Images of Indian Captivity* (The University Press of Virginia, 1995), p. 45.

(١٢٣) Cotton Mather, *Magnalia Christi Americana: or, The Ecclesiastical History of New-England, From its First Planting, in the Year 1620, unto the Year of Our Lord 1698* (Cambridge University Press).

(١٢٤) John Canup, *Out of the Wilderness: The Emergence of an American Identity in Colonial New England, (Middletown. Conn: Wesleyan University Press, 1990)*, p.77.

(١٢٥) Cotton Mather, op. cit., p.89.

(١٢٦) منذ العام ١٦٣٣، أدرك هنود ناراغَنِيت Narragansett (فرع من هنود شعب الپيكو Pequot) الذين كانوا يعيشون فيما يعرف اليوم بولايتي رود آيلاند وكونتكت أن العناية الإلهية بريئة من هذه الحرب الجرثومية وأن هناك مجرماً حقيقياً وراء مصرع ٧٠٠ إنسان منهم بهدايا مسممة بجراثيم الجدري. هكذا استطاعوا الوصول إلى هذا المجرم وهو الكابتن جون أولدام John Oldham فاعتقلوه وساقوه بالقوة إلى جزيرة بلوك لمحاكمته بتهمة القتل الجماعي أمام مجلس من حكمائهم. وبعد أن ثبتت لديهم تهمته حكموا عليه بالاعدام وقتلوه. الأمر الذي أدى إلى انتقام الغزاة بإبادة معظم شعب الناراغنست في عام ١٦٣٧. أنظر في قصة الكابتن أولدام وحرب البيكو:

Stannard, pp. 112 Richard Drinnon, *Facing West: The Metaphysics of Indian-Hating and Empire Building* (University of Oklahoma Press, 1997), pp. 35-37; Francis Jennings, *The Invasion of America: Indians, Colonialism, and the Cant of Conquest* (W. W. Norton & Company, 1976), pp. 108, 204, 206-209.

(١٢٧) Carl Waldman, *Atlas of the North American Indian* (Facts on File, Library of American Literature, 1985), p.108.

(١٢٨) Colonel Henry Bouquet to General Amherst, dated 13 July 1763, *British Manuscript Project*, Library of Congress, 262 K.

وللاطلاع على الوثائق كاملة، أنظر:

British Manuscripts Project; a Checklist of the Microfilms prepared in England and Wales for the American Council of Learned Societies, 1941-1945. Compiled by Lester K. Born (New York, Greenwood Press [1968]) (reprint of the 1955 edition), Library of Congress Call No.: Z6620.G7 U5 1968.

(١٢٩) Amherst to Bouquet, dated 16 July 1763, *British Manuscript Project*, Library of Congress, 128K.

(١٣٠) Bouquet acknowledges Amherst's approval, ·26 July 1763, *British Manuscript Project*, Library of Congress, 125K.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأب الاستيطاني سولومون ستودارد Solomon Stoddard في عام ١٧٠٣ طالب حاكم مساتشوستس بأن يموّل

المستوطنين بما يكفي لشراء وتدريب مجموعات كبيرة من الكلاب لصيد الهنود.

Stannard, *American Holocaust*, op. cit., p. 241.

(١٣١) Bouquet to Amherst, 25 June, 149 K.; Bouquet to Amherst, 25 June, 121 K.;Amherst to Sir William Johnson, Superintendent of the Northern Indian Department, 9 July, 229K; Amherst to Johnson, 27 August, 145K. *British Manuscript Project*, Library of Congress. and J. C Long, *Lord Jeffery Amherst: A Soldier of the King* (New York: MacMillan, 1933), p.186.

(١٣٢) Journal of William Trent, May 24, 1763, *Pen Pictures of Early Western Pennsylvania*, John W. Harpester, editor, (University of Pittsburgh Press, 1938) p.99.

(١٣٣) Brint Dillingham, "Indian Women and Indian Health Services Sterilization Practices," *American Indian Journal*, 3 (January 1977), 27-28; James Robison, «U. S. Sterilizes 25 Percent of Indian Women: Study», *Chicago Tribune*, 22 May 1977, p. 36.

(١٣٤) Comptroller of the United States, *Investigations Of the Allegations Concerning Indian Health Services* (Washington D.C., Government Printing Office, 4 November 1976), pp. 19, 24.

في القضية المزدوجة Relf et al. VS. Weinberger et al و National Welfare Rights Organization, VS. Weinberger et al. حكم القاضي بأن إجراءات وزارة الصحة الخاصة بالتعقيم اعتباطية وغير معقولة وتخالف قوانين الكونغرس التي تنص على عدم استخدام ميزانية التخطيط العائلي لإكراه المرضى الفقراء على التعقيم. أنظر:

Katie Relf et al., plaintiffs, VS. Casper W. Weinberger et al., defendants [and] National Welfare Rights Organization, plaintiff, VS. Casper W. Weinberger et al., defendants, *Federal Supplement: Cases Argued and Determined in the United States District Courts, United States Customs Courts, and Rulings of the Judicial Panel on Multidistrict Litigation*, 372 (District of Columbia, 1974), 1201.

وطالب القاضي وزارة الصحة بضرورة وضع تعريف واضح لمعنى كلمة

«إختياري»، وأن لا يعاقَب من يرفض التعقيم بحجب أو قطع أي معونة يتلقاها.

(١٣٥) U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, *1980 Census Report of the Population Subject Report: Characteristics of American Indian* (Washington DC: Bureau of the Census, June 1971), 141-147; U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, 1980 *Census Report of the Population Subject Report: Characteristics of American Indian*, (Washington DC: Bureau of the Census, June 1981), 150-202.

(١٣٦) Brint Dillingham, op. cit., p. 16

(١٣٧) "Killing our future: Sterilization and Experiments," (editorial), *Akwesasne Notes 9* (Spring 1977), p. 4.

(١٣٨) Bruce, E. Johansen, «Endangered Species: Native American Women's Struggle for Their Reproductive Rights and Racial Identity, 1970s-1990s». [Theses]. University of Nebraska at Omaha, cited in *Native Americas*, September 1998.

(١٣٩) Bruce E. Johansen, "Reprise/Forced Sterilization: Sterilization of Native American Women Reviewed by Omaha Master's Student," *Native Americas (Winter 1998)*, pp. 44-47.

(١٤٠) نجد مثل هذا التحريم والتكفير في «فتوى» للحاخام إيرڤينغ غرينبيرغ Irving Greenberg مؤسس «مركز مصادر الهولوكست» Holocaust Resource Center. أنظر:

Peter Novick, *The Holocaust in the American Life* (New York¤ Hughton Mifflin, 1999), p. 200.

كذلك يصف مؤلف هذا الكتاب كل محاولة للمقارنة بأنها «عدوان إجرامي على الحقيقة والذاكرة»

Ibid., p 198.

وهذا، للأسف، حال بعض الذين يعتقدون بأن صفة «المثقف» لا تصح إلا على من يقول باحتكار «الهولوكست» على اليهود وحدهم. وهو أصلاً موقف عنصري ضد كل الشعوب التي ذاقت ويلات هذا الهولوكست وكانت ضحاياهم أكثر عدداً وأكثر نسبة. بل إن إحدهم عاتبني على

استخدام كلمة الهولوكست في وصف ما جرى للهنود. ولما ذكّرته بإن عدد السكان الأصليين في العالم الجديد أيام وصول كولومبس كان لا يقل عن ١١٢ مليوناً لم يبق منهم فيما يعرف اليوم بالولايات المتحدة سوى ربع مليون، وأن حرب إبادتهم هي الأكبر والأشنع والأطول والأدمى في التاريخ البشري، أصر على رفض استخدام وصف الهولوكست إلا مع الحالة اليهودية المتميزة لأن «طبيعة البشر والظروف في الحالين مختلفة!».

(١٤١) Cited in Sander L. Gilman, *Jews in Today's German Culture* (Bloomington: Indian University Press, 1995), 19.

وسِليغمن مولود في فلسطين عام ١٩٤٧ من أبوين مهاجرين ألمانيين، لكنه غادرها إلى ألمانيا وهو ابن عشر سنوات. ويعتبر من أبرز الروائيين اليهود الذين تناولوا الهولوكست في أعمالهم. أنظر

Ritchie Robertson, "Rafael Seligmann's Rubinsteins Versteigerung: The German-Jewish Family Novel before and after the Holocaust," in Harold Bloom, *Literature of the Holocaust* (Chelsea House publishers, 2004), p. 237.

ولم ينفك أبداً عن وصف ألمانيا الحالية بأنها «بلد المجرمين»

The Atlantic Times Monthly, (October 2010).

(١٤٢) Lucy Dawidowicz, *The War Against the Jews, 1933-1945* (New York, Holt, Rinehart and Winston, 1975), 155-166.

(١٤٣) Peter Novick, op. cit., p 198.

(١٤٤) *Ibid.*, 13.

والدين المدني، باختصار، هو منظومة العقائد والإيثوس التي استوعبت كل أيديولوجية البيوريتان الإنكليز ولاهوتهم وفكرتِهم عن أميركا التي استعاروها من فكرة إسرائيل الأسطورية، ثم عممتها على مختلف فئات الأمة الأميركية. والدين المدني الأميركي لا يختلف في مضمونه عن العقيدة الوطنية الأميركية patriotism، بل يمكن القول إنه مرادف لها. وقد تعرضتُ ببعض التفصيل لمفهوم الدين المدني في الولايات المتحدة وذلك في مقدمتي لكتاب الدكتور نصير عاروري **أميركا الخصم والحكم** الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٧) ص ١٩ ــ ٢٩.

(١٤٥) Gerald Vizenor, *Manifest Manners : Postindian Warriors of Survivance (University Press of New England, 1994)*, *p. 4.*

(١٤٦) George Tabori (György Tábori), "Hamlet in Blue," *Theatre Quarterly*, 20 (1975 / 1976), pp. 116-132.

(١٤٧) James Axtel, *Beyond 1492: Encounters in Colonial North America* (Oxford University Press, 1992), pp. 262-263.

في الذكرى الخمسمائة لغزو العالم الجديد (١٩٩٢) رفضت لين تشيني Lynne Cheney مديرة «الوقف الوطني للإنسانية» (وكالة حكومية لدعم الأبحاث والتربية والمشاريع الإنسانية) دعم أي بحث أو مشروع يتضمن كلمة «مجزرة» أو «إبادة». وقبلها قال وزير التعليم وليم بينيت William Bennett بغضب: «إن الحديث عن مثل هذا التحريف التاريخي يعني نسف التقليد الثقافي الغربي الذي صنع هذه الأمة العظيمة وما هي عليه اليوم».

Jack McCurdy, "Bennett Calls Stanford Curriculum Revision Capitulation to Pressure," *Chronicle of Higher Education*, April 27, 1988.

وفي غمرة الاستعداد للاحتفال بهذا الغزو، كتبت مجلة تايم «أن ماجرى في العالم الجديد ليس بدعاً في التاريخ الإنساني... ومهما كان حجم الدمار والقتل الجماعي الذي يتحدث عنه السكان الأصليون فإنه مبرر. ففي خضم القضاء على مثل هؤلاء البرابرة نال العالم ثقافة الحرية التي أعطت الكرامة والسيادة للإنسانية»

David Stannard, "Uniqueness as Denial: The Politics of Genocide Scholarship," published in *Is the Holocaust Unique? Perspectives on Comparative Genocide* Alan Rosenbaum ed. (Boulder Westview Press,1996), p. 156.

بل إن كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens أحد صقور الهولوكست الأميركي دعا العالم إلى الاحتفال والإبتهاج بإبادة السكان الأصليين في أميركا (١١٢ مليون إنسان) لأن: «من لا يحتفل بإبادة سكان أميركا الأصليين إنسان يكره إنسانيته. إنه مخبل، جاهل، بليد.أما الذين ينظرون إلى الإبادة نظرة نقدية فهم رجعيون متخلفون لأن التاريخ لا يصنع إلا بمثل هذه الفظاعات. ولهذا فإن التذمر من ذلك لا معنى له لأنه كالتذمر

من تحول في المناخ أو الجيولوجيا، أو طبيعة الأرض. ثم إن هذه الإبادة تستأهل التمجيد والافتخار لأنها كانت سبباً في تحسين الوضع الإنساني».
Ibid., p. 166 and *The Nations*, October 19, 1992.

(١٤٨) See: William Gredier, *One World, Ready or Not, The manic Logic of Global Capitalism* (New York: Simons and Schuster, 1997), 368.

ليس المؤرخ أكستل فريداً في موقفه، فهذه نزعة متأصلة لدى عامة المؤرخين الأميركيين يلحون بها على تمييز الهولوكست النازي عن كل فواجع التاريخ القديم والحديث، إذ تهون أمامها كل جرائم الدنيا وكوارثها. من أبرز هؤلاء: ديبورا ليبستادت Deborah Lipstadt، وستيفن كاتز Steven Katz، وشاؤول فريدلاندر Saul Friedlander، وميخائيل ماروس Michael Marrus، ويهودا باور Yehuda Bauer، ولوسي داڤيدوڤيتش Lucy Dawidowicz. وهي نزعة فندها وهلّل لها عدد ممن عاشوا هذا الهولوكست ونجوا منه إضافة إلى بعض المؤرخين، أبرزهم حنة آرندت Hannah Arendt، وإرڤينغ لويس هوروفيتش Irving Louis Horowitz، وإسرائيل شارني Israel Charny، وهيلين فاين Helen Fein، وسيمون وايزنتال Simon Wiesenthal، ونورمن فنكلستين Norman Finkelstein، وبيتر نوڤنويك Peter Novick، إضافة إلى عدد من مفكري ومؤرخي الهنود الأميركيين.

ديبورا ليبستدات إحدى أشرس جنود الحصرية، مثلاً، استخدمت في كتابها كل ما استخدمه منكرو الهولوكست النازي لإنكار وجود أي كارثة في التاريخ تشبه ما حصل لليهود على أيدي النازيين، وللادعاء بأنهم وحدهم كانوا ضحايا هذا الهولوكست.بل إن كثيراً من هؤلاء الحصريين أنكروا تعرض غير اليهود للإبادة أو اعتبروهم «قملاً» تماماً كما اعتبرهم هتلر نفسه. وهذا ما تجلى في خطف متحف الهولوكست في واشنطن لهؤلاء الحصريين وحدهم. فالحاخام سيمور سيغل Seymour Siegel مدير المتحف مثلاً وصف اقتراح عرض إبادة الشعوب الأخرى على أيدي النازيين بأنه «اقتراح تافه أحمق غبي».

Edward Linenthal, *Preserving Memory: The Struggle to Create America's Holocaust Museum*, (New York, Viking, 1995), pp. 242-243.

وفي حماستهم لخطف المتحف كما خطفوا الهولوكست وخطفوا مفهوم الضحية، اتهموا الرئيس جيمي كارتر بما سموه «اللاسامية اللاشعورية» لأنه تجرأ وذكر ضحايا آخرين غيرهم.

Yehuda Bauer, "Whose Holocaust?" *Midstreem*, (November 1980), p.45.

علماً بأن التقديرات التي لا تُعملقها مبالغات «عبادة الذات» تقول بأن ضحايا الغجر في هذا الهولوكست مثلاً كانوا بين ٥٠٠ ألف و٧٥٠ ألفاً قتلوا في معسكرات مختلفة، من بينها أوشڤيتز. بينما تقول دراسات أخرى إن العدد تجاوز المليون.

State Museum of Auchwitz- Birkenau, *Memorial Book: The Gypsies at Auschwitz-Birkenau* (K G Saur Verlag Gmbh & Co., 1993), p. 2.

أما ضحايا البولونيين فمعروف أن هملر طالب بإزالتهم من الوجود وأن هتلر أمر قادته بأن يطلبوا من جنودهم: «إقتلوا الرجال والنساء والأطفال البولنديين، وكل من يتحدث البولندية دونما شفقة أو رحمة، فبهذه الطريقة يمكننا الحصول على المجال الحيوي الذي نحتاج».

Michael Berenbaum (ed.) *Mosaic of Victims: Non-Jews Persecuted and Murdered by the Nazis* (New York: New York University Press, 1990), pp. 88-95.

وفي الاتحاد السوڤياتي كانت الخطة تقليص عدد السكان في المناطق التي احتلها الألمان من ٧٥ مليوناً إلى ٣٠ مليوناً. وفعلاً فقد كان ضحايا السوڤيات أكبر ضحايا الهولوكست النازي، ففي ١٠ مايو/أيار ١٩٤٣ قتل الألمان خمسة ملايين و٤٠٥ آلاف أسير سوڤياتي عسكري، وتم ترحيل خمسة ملايين إلى ألمانيا للعمل بالسخرة مات منهم حوالى ثلاثة ملايين بسبب الظروف القاتلة التي تعرضوا لها. وفي الوقت الذي طرد فيه الألمان من أوكرانيا انخفض عدد سكانها من ٤٢ مليوناً إلى ٢٧ مليوناً. إجمالاً، كان عدد الضحايا السوڤيات ١٥ مليوناً ونصف المليون، يضاف إليهم ٣ ملايين ونصف مليون أسرى أبيدوا، وحوالى مليون عسكري أعدموا. أما ضحايا السلاڤ فما بين عشرين مليوناً و٢٣ مليوناً.

Ibid., p. 140.

كل هؤلاء الضحايا لا يعنون شيئاً لخاطفي الهولوكست. هذه العنصرية

الفاجرة لأصحاب الفرادة والحصرية الذين اختطفوا الهولوكست ومفهوم الضحية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً لا يعبر عن حقيقتها إلا متحف الهولوكست الذي أقيم على أنقاض مدينة نَكُنْ شَتَنْكِه الهندية التي أصبحت اليوم تدعى واشنطن، وفوق سوقها التي كانت مركزاً تجارياً زاهراً لشعب كونوي الذي محاه مجرمو الهولوكست الأميركي من الوجود. ولعل هذا أبرز فرادة هولوكست هؤلاء الحصريين الذين لا يختلفون في النهاية عن مجرمي الهولوكست.

راجع فصل «فكرة أميركا» في كتاب منير العكش **تلمود العم سام**، ص١٩ ـ ٣٢.

كتاب **الحداثة والهولوكست** لعالم الاجتماع اليهودي البولوني زيغمونت بومان Zygmunt Bauman كشف عن أهم دوافع هؤلاء الحصريين، وهي اختلاق حقيقة تخدم إنشاء دولة إسرائيل واستمرارها بدعم شامل من الغرب، ككفارة عن هذا الهولوكست الفريد في التاريخ. وفي هذا السياق تُقدم إسرائيل هذا الهولوكست شهادةً على شرعيتها السياسية، وجواز مرور لسياساتها في الماضي والحاضر والمستقبل. ومن هذه الدوافع اختلاق رافعة علمانية تستند إلى خرافة التعذيب الفريد في التاريخ البشري.

Zygmunt Bauman, *Modernity and the Holocaust* (Cambridge: Polity Press), p. ix.

(١٤٩) Stannard, *American Holocaust*, op. cit., p.121.

جاكسون الذي لم يجرؤ قائد نازي على محاكاة جرائمه، كان يأمر بحساب عدد قتلاه من الهنود بإحصاء أنوفهم بعد جدعها وآذانهم بعد صلمها. وقد رعى بنفسه حفلة تمثيل بجثث ٨٠٠ ذبيح من هنود الكريك. ومن مآثره العظيمة حفلات الإبادة والتهجير لهنود الجنوب التي توّجها بما يعرف بمسيرة الدموع .Trail of Tears

(١٥٠) Ronald T. Takaki, *Iron Cages: Race and Culture in 19th-Century America* (New York: Alfred A Knopf, 1979), pp. 96, 102.

(١٥١) *Ibid.*, p.103.

(١٥٢) John C. Fitzpatrick (ed.) *Writing of George Washington*, (Washington:

Government Printing Office, 1936), xv, 189-193.

ولعل أفضل وصف لما أنزله الجنرال جون سولين من دمار وموت بأمبراطورية الأمم الهندية الست وكيف «تحولت تلك الجنان إلى قفار مخيفة» هو كتاب:

William L. Stone, *Life of Joseph Brant, (Thayendanegea), including the border wars of the American revolution, and sketches of the Indian campaigns of Generals Harmar, St. Clair, and Wayne*...(New York: George Dearborn, 1838), II, pp.1-40.

(١٥٣) Drinnon, *Facing West*, op. cit., pp. 65, 99, 331-332, 365.

(١٥٤) Anthony F. C. Wallace, *The Death and Rebirth of the Seneca, (New York: Alfred A Knopf, 1979), pp. 141-144.*

(١٥٥) *Ibid.*, and Drinnon, *Facing West*, op. cit., p. 332.

(١٥٦) John Kingston, *The life of General George Washington* (Baltimore: Published by J. Kingston, 1813), p.168; Wallace, *The Death and Rebirth of the Seneca*,op. cit., pp. 141 -144.

أما الإسم الهندي للزعيم كومبلانتر فهو كاينتواكن Kaintwakon.

(١٥٧) Takaki, *Iron Cages*, op. cit., pp. 61-65 and Drinnon, *Facing West*, op. cit., pp. 96, 98.

(١٥٨) Russell Means, "American Indian Movement, October 12", 1992 in: Ward Churchill, *A Little Matter of Genocide: Holocaust & Denial in the Americas 1492 to the Present* (City Lights Books, 1997), p xi.

(١٥٩) Steven Katz, "The Uniqueness of the Holocaust: The Historical Dimension," in: *Is the Holocaust Unique?:Perspectives on Comparative Genocide,* edited by. Alan Rosenbaum (Boulderco: Westview Press,1996), p. 21.

(١٦٠) Steven Katz, *The Holocaust in Historical Context: Volume I: The Holocaust and Mass Death before the Modern Age* (New York:Oxford University Press,1994), see chapter, "The Depopulation of the New World in the Sixteenth Century," pp. 87-91.

كما أوضحتُ في كتابات سابقة، فإن معظم هذه الغوغائيات العنصرية تسعى إلى تبرئة الغزاة ولوم القضاء والقدر الذي أصاب هؤلاء الهنود

الأشقياء بالأمراض، أو ما يسمى بالعامل الطبيعي، وكأن جراثيم الجدري والملاريا والحصبة والخُنّاق أبحرت إلى العالم الجديد في سفن مستقلة دون علم أحد، أو كأن الغزاة لا يعلمون بخطر هذه الأمراض ولم يستخدموها من قبل في حروبهم كما يزعمون. هناك إجماع بين الدارسين على أن كل هذه الأوبئة التي تَعرّض لها الهنود لم تكن معروفة أبداً في العالم الجديد قبل وصول الإنسان الأبيض.انظر:

James V. Neel, "Genetic Aspects of Ecology of Disease in the American Indian," in Francisco M Salzano, *The Ongoing Evolution of Latin American Populations* (Charles C. Thomas, Publisher; 1971), pp.561-590; Saul Jarcho, "Some Observations on Disease in Prehistoric North America, *Bulletin of the history of medicine* Vol. 38, no. 1, Jan.-Feb. 1964, pp. 5-11; Corinne Shearwood, "New Evidence for a Late Introduction of Malaria Into the New World, *Current Anthropology*, Vol. 16, No. 1, Mar., 1975, pp. 93-104.

عندما أرسل الأميركيون رواداً إلى الفضاء الخارجي، كان خوفهم الأكبر أن يعود هؤلاء بأمراض غير معروفة على الأرض فتفحش فيهم كما فحشت أمراض الإنسان الأبيض بسكان العالم الجديد. لهذا كان أول ما فعلته وكالة ناسا NASA حين عاد هؤلاء الرواد أن منعت أحداً من لمسهم أو الاقتراب منهم قبل أن تضعهم لفترة في الحجر. «بالتركيز على الأمراض» كما يقول المؤرخ داڤيد ستانرد David Stannard، وبالتنصل من المسؤولية عن القتل الجماعي بجيش من الميكروبات، يمعن هؤلاء المؤرخون المعاصرون في خلق انطباع بأن استئصال عشرات الملايين من البشر كان عَرَضاً غير مقصود يواكب هجرة البشر وتقدمهم... في سرد لا يرى مناصاً من فنائهم. أما من وجهة نظر أيديولوجية فكانت النتيجة إعفاء الأفراد والأطراف والأمم من أي ملامة أخلاقية على ما اقتضاه التاريخ... فالواقع يقول إن التدمير الكامل كان مقصوداً».

Stannard, *American Holocaust*, op. cit., p.xii.

وكنت في حق التضحية بالآخر قد فنّدت هذه المزاعم، وبيّنت كيف إن عبارة «العامل الطبيعي» التي يتكيء عليها محتكرو الهولوكست لتبرير انتصار الموت ليست في الواقع إلا الترجمة الحديثة لعبارة «العناية الإلهية»

التي استخدمها قبلهم أنبياء المستعمرين الإنكليز في أوائل القرن السابع عشر عندما قالوا إن هذه الأوبئة نعمة إلهية أرسلها الله لتطهير الأرض التي أعطاها لشعبه. ومنهم من اعتبرها، كما يروي تودورف، معجزة لا تقل جلالاً عن «معجزة» الأوبئة العشرة التي تروي الأساطير العبرية أنها فتكت بالمصريين ...إلى آخر هذا التخريف. أنظر في تفصيل ذلك: منير العكش، **حق التضحية بالآخر**، ص٢٠ ـ ٢١، و ٤٧ ـ ٥١.

(١٦١) Lenore A. Stiffarm and Phil Lane Jr.,"The Demography of Native North America: A Question of American Indian Survival," in Annette Jaimes, *The State of Native America: Genocide, Colonization, and Resistance* (South End Press ,1992), p. 33.

(١٦٢) كل بلاغيات العقيدة الوطنية الأميركية كانت وما زالت تستمد روحها واستعاراتها من «فكرة إسرائيل» الأسطورية، ومن القناعة بأن الأمة الأميركية هي «إسرائيل الله الجديدة»، بدءا من «العهد المقدس» الذي أبرمه الغزاة الأوئل الملقبون بالحجاج مع «يهوه» في سفينتهم «ماي فلور» وهي تمخر بهم في عرض المحيط عام ١٦٢٠، وانتهاء باعتقاد الرئيس جورج بوش الإبن بأنه النبي موسى. هذا المعنى الإسرائيلي لأميركا، والصيغة الإنكليزية من فكرة إسرائيل الأسطورية لازمتا تاريخ أميركا من موجات الاستعمار الإنكليزية الأولى؛ تبناها المحافظون واللاهوتيون بصيغتها الدينية المقدسة، وتبناها العلمانيون والليبراليون في صيغة ما يسمى بالدين المدني. إن كل تاريخ هذا الدين المدني ، كما يروي المؤرخ كونراد شيري Conrad Cherry هو تاريخ القناعة الراسخة بأن الأميركيين هم الإسرائيليون فعلاً وشعب الله المختار حقاً.

Conrad Cherry, ed., God's *New Israel: Religious Interpretations of American Destiny, (The University of North Carolina Press, 1994), p.19.*

وعن هلوسات الرئيس بوش الإبن واعتقاده بأنه النبي موسى، أنظر:

George W. Bush, *A Charge to Keep* (New York: Harper Collins Publisher, 2001), pp. 8-

وقد ترتب على هذه الخدعة العقلية التي لُفِّقَ منها المعنى الإسرائيلي لأميركا أخطر مبررات الهولوكست الأميركي الذي ينكره الحصريون،

ويصرون في حال الاعتراف به على أنه حصل بالغلط وبنية حسنة وجلّ من لا يخطىء. من هذه المبررات الخطيرة التي ترتبت على المعنى الإسرائيلي لأميركا، كما بينت في أبحاثي السابقة:

(أ) أن احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ عمل مقدس أمر به الله. وبالتالي فإنه يسمو على أخلاق البشر وأعراف البشر وقوانين البشر، وحياة البشر، وحريات البشر.

(ب) أن فكرة أميركا تجسد مشيئة الله في أرض كنعان الجديدة (أميركا) وأهلها وثقافتها كما جسدت فكرة إسرائيل مشيئة الله في أرض كنعان القديمة (فلسطين) وأهلها وثقافتها.

(ج) أن المستوطنين الإنكليز كالإسرائيليين التاريخيين استثناء وجودي يحتكر لنفسه الإضطلاع بإرادة الله ويختص وحده بتنفيذها.

(د) أن معاملة السكان الأصليين لا تخضع للقوانين الأخلاقية أو الإنسانية، أو المبادىء العقلية بل تحكمها تجربة إسرائيل مع الكنعانيين. وهذا ما جعل المستعمرين الإنكليز الذين يعتبرون أنفسهم شعباً مختاراً يطلقون إسم الكنعانيين على كل الشعوب التي أبادوها.

(هـ) أن نجاح فكرة أميركا في العالم الجديد يشكل مثالاً طيباً يمكن تكراره حيثما اشتهى شعب الله.

فالأرض ـ كما يقول لانسلوت أندروس Lancelot Andrews «صحن من اللحم موضوع على المائدة يقطع منه الإنسان (الأبيض) ما يشتهي». وما تحقق في كنعان/ المجاز ليس إلا خطوة على طريق كنعان/ ـ الحقيقة فلسطين والعالم العربي.

عن لانسلوت أندروس وأرض من لحم يأكل منها الإنسان الأبيض ما يشاء، أنظر:

Lancelot Andrewes, *Apospasmatia Sacra or A Collection of Posthumous and Orphan Lectures* (London: Printed by R. Hodgkinsonne for H. Moseley, A. Crooke, D. Pakeman, L. Fawne, R. Royston, and N. Ekins, 1657), p. 103.

(١٦٣) كان أكل أكباد الهنود تقليداً شائعاً بين هؤلاء المستوطنين. وقد تحولت

قصص بعضهم إلى أفلام تمجد بطولاتهم وتلحقهم بأيقونات أميركا المقدسة. من ذلك قصة الهُمام جون جونستون John Johnston المعروف بلقبه البطولي «أكال الكبد» Liver- Eating Johnston. وهناك كتاب للمؤرخين ريموند ثروب وروبرت بنكر Raymond W. Throp & Robert Bunker نشرته جامعة إنديانا يرويان فيه حياة «قاتل هنود الكرو: القصة الزاخرة بالأعمال البطولية لأكّال الكبد جونستون». أنظر

Raymond W. Thorp Jr. & Robert Bunker, *Crow Killer: The Saga of Liver-Eating Johnson* (Indiana University Press, 1983).

في هذا الكتاب نقرأ قصة رجل أمضى أكثر من عشرين سنة يقتل هنوداً من شعب الكرو ويسلخهم ويأكل أكبادهم. ويوثق الكتاب لأكثر من ٣٠٠ حادثة قتل فيها جونستون الهنود وسلخهم وأكل أكبادهم. أما المخرج الهوليوودي سدني پولاك فقد حوّل سيرة أكال الكبد إلى ملحمة بطولات وفخار وأمجاد بعنوان أرميا جونسون Jermeiah Johnson (١٩٧٢) أسندت بطولتها إلى روبرت ردفورد. وللمزيد من اللؤم تتهم دعاية الفيلم الهنود الضحايا بالعدوانية وتقول، «إن ردفورد... يمثل دور رجل من القرن التاسع عشر يعيش في ظروف صعبة وبين هنود عدوانيين(!)»

"'Robert Redford has one of his best-ever roles as a 19th century mountain man in a wilderness of harsh elements and hostile Indians. Directed by The Firm's Sydney Pollack. Year: 1972; Director: Sydney Pollack; Starring: Robert Redford, Will Geer, Stefan Gierasch."

وللاطلاع على المزيد من هذه الأمجاد، أنظر: منير العكش **أميركا والإبادات الثقافية**، فصل «من يأكل لحم البشر؟» ص٤١ ـ ٦٢.

(١٦٤) Arthur Bird, *Looking Forward, A Dream of the United States of the Americas in 1999*, (New York: L. C. Childs & Son, 1899), pp.7-8.

والعبارة كما وردت بلغتها الأم:

"America's Giant Republic, 1999. United States of America - bounded on the north by the North Pole; on the south by the Antarctic Region; on the East by the first chapter of the Book of Genesis and on the west by the Day of Judgment."

هذا الإيمان بالقدر المتجلي للولايات المتحدة وحّد كل المتناقضات في

الحياة والسياسة الأميركيتين؛ وحّدَ الشمال والجنوب، ووحّدَ الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري (كان يسمى يومها Whig) مع نشوة وخيلاء «انتابتا» الروح الاستيطانية أمام التوسع الذي راح يبدو لانهائياً، ويتطلع إلى ما بعد القارة الأميركية، وما بعد نجاح الإبادة وتلاشي السكان الأصليين. وهذا أيضاً ما شحن النزعة التوسعية في المستوطنين بمزيد من الجشع والوحشية ومزيد من الدموية ضد السكان الأصليين لتحقيق ما قضاه لهم القدر المتجلي. وفعلاً فقد جاء في رسالة لشارلز إليوت Charles Elliot إلى أبردين Aberdeen أن أخطر ما في الولايات المتحدة هو استيطانها ومستوطنوها.

Charles Elliot to Aberdeen, June 15, 1845, Ephraim Douglas Adams, ed., British Correspondence Concerning Texas, "*Southwestern Historical Quarterly*, XX (October 1916) p.186.

في البداية كانت شهية هذا «القدر المتجلي» مسكونة بالغرب الأميركي، لكنها منذ الحرب الإسبانية (١٨٩٨) وغزو كوبا والفيليبين راحت تتلمظ لحم العالم. هذا ما يعبر عنه قديس التوسع جوسيا سترونغ Josiah Strong حين يقول «إن للقدر المتجلي هدفاً سياسياً جغرافياً وهو إنشاء الأمبراطورية العالمية. وبذلك تصبح أميركا أعظم إمبراطورية في التاريخ، تقدم لها الأمم والشعوب القرابين كما كان الناس يأخذون الهدايا إلى مهد المسيح»

Josiah Strong, *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis* (New York: Baker & Taylor for the American Home Missionary Society, 1885), p. 20.

(١٦٥) Ward Churchill, *A Little Matter of Genocide, op. cit.*, p. 64.

على الرغم من أن مؤرخي «المجال الحيوي» لا يخفون إعجاب هتلر بالتجربة الأميركية كما بينت في **حق التضحية بالآخر** ـ فإن «ميتافيزيقا» عقيدة «القدر المتجلي» و«المجال الحيوي» تضرب جذورها في أسطورة «الاختيار الإلهي» المنسوبة إلى الفوهرر السماوي الأعظم. لقد أكد الجغرافي كارل ريتر Carl Ritter في كتابه *Geographical Studies* وإدموند والش Edmund Walsh في كتابه *Total Power* على العلاقة الوثيقة بين اصطلاح «المجال الحيوي» وفردانية الشعب الألماني واستثنائيته، وبين البيئة الطبيعية وفكرة الأرض الموعودة.

Carl Ritter (of Berlin), *Geographical studies,* translated by William Leonhard Gage (Boston: Gould and Licoln, 1863); Edmund A. S.J. Walsh, *Total Power: A Footnote to History* (New York Doubleday & Company, 1948).

من أفكار ريتر ونظريته في الطبيعة العضوية للدولة (الكيان الحي) استمد الألماني راتزل Frierich Ratzel (الذي أطلق اصطلاح «المجال الحيوي Lebensraum») قوانينَه السبعة عن النماء الحيوي للدولة وضرورة توسعها الجغرافي:

"the theory that the state is a biological organism which grows or contracts, and that in the struggle for space the strong countries take land from the weak."

وهذا ما أعطى النازيين مبررات التوسع في مجالهم الحيوي بأي ثمن كان، ولو على حساب حق الشعوب الأخرى في الوجود وحق الدول الأخرى في السيادة على أراضيها. لقد أحلتهم عقيدة الاختيار والتفوق والاستثناء من أي التزام أخلاقي أو قانوني تجاه الشعوب الأخرى وأوهمتهم بأنهم يملكون حق الحياة والموت والرزق لهذه الكائنات التي لم يستطع قبلهم غزاة كنعان وقديسو الاستعمار الانكليزي للعالم الجديد أن يروا فيهم بشراً يستحقون الحياة.

(١٦٦) John Toland, *Adolf Hitler: The Definitive Biography* (New York: Doubleday & Company, 1976), p. 702.

(١٦٧) Stannard, *American Holocaust*, op. cit., p.153.

(١٦٨) Steven Katz, *The Holocaust in Historical Context:* op. cit., p. 97.

(١٦٩) Peter J Tayler, *Britain and the Cold War: 1945 as Geopolitical Transition* (New York: Guilford Publications 1990), p. 17.

(١٧٠) *Ibid.*, p. 17

(١٧١) *Ibid.*,

وهذا ما تؤكده مذكرة اجتماع وزارة الخارجية ومجلس العلاقات الخارجية Council of Foreign Relations عام ١٩٣٩ حيث نقرأ فيها كلاماً صريحاً عن هذه الوراثة.وكانت مذكرة المجلس قد رسمت المعالم

السياسية لهذه الوراثة كما يلي: «إن الامبراطورية البريطانية كما عهدناها في الماضي قد أفلت ولن تعود، وإن الولايات المتحدة ستحل محلها. لهذا فإن على الولايات المتحدة أن تصوغ نظاماً جديداً للعالم بعد هذه الحرب مما يمكننا من فرض حالة سلام أميركي Pax Americana».

Michio Kaku & Daniel Axelrod, *To Win a Nuclear War: The Pentagon's Secret War Plans* (Boston: South End Press, 1987), pp.63-64.

(١٧٢) ربما كان هذا هو شكل السلام الذي ستفرضه أميركا على الفلسطينيين الذين ألقوا سلاحهم ثم ألقوا عبء تحرير فلسطين على ألد أعدائهم. ففي مطلع هذه المقالة التي تحولت إلى فصل في كتاب يقول روزفلت لهؤلاء: «الجبن لا يصنع السلام» cowardice does not promote peace.

(١٧٣) Theodore Roosevelt, *The Strenuous Life: Essays and Addresses* (New York The Century Co., 1900), from the second chapter: "Expansion and Peace." See also: *The Independent*, December 21, 1899.

(١٧٤) Drinnon, *Facing West*, op. cit., p. 463.

(١٧٥) Winona Laduke, *Last Standing Woman* (Stillwater, MN: Voyager Press, 1997), p.5.

(١٧٦) Arthur Bird, *Looking forward*, op. cit., pp.7-8.

وللتذكير أيضاً فإن أميركا ترفض أن تُعرِّف حدودها، وليس في دستورها إشارة إلى ذلك.

(١٧٧) Drinnon, *Facing West*, op. cit., p. 465.

فيما كان تيرنر يرى في اجتياح الغرب الأميركي تحقيقاً للقدر المتجلي يذهب المؤرخ والاستراتيجي الأميركي بروكس آدامز Brooks Adams حفيد الرئيس جون كوينسي آدامز ,John Quincy Adams إلى أن الحدود الأميركية القادمة هي حدود العالم، وأن الولايات المتحدة لا تستطيع إلا أن تنهج سياسة توسعية.

Henry W Berger, ed. *A William Appleman Williams Reader: Selections From His Major Historical Writings* (Chicago: Ivan R Dee), p.90.

أما الاعتماد على الحروب الخارجية للبقاء على تماسك طبقات المجتمع المختلفة وفئاته المتناحرة فهو تقليد أنكلوسكسوني عريق. ففي القسم

الأول من هنري الرابع *Henry the Fourth* لشيكسبير William Shakespeare نجد هنري يخاطب شعبه قائلاً بأنه يتمنى إنهاء الحرب الأهلية والانتفاضات وذلك بقيادة جيش إلى القدس حيث يستطيع كافة المتخاصمين الإنكليز محاربة عدو مشترك هم الوثنيون في فلسطين to chase these pagans in those holy fields. ثم إنه في القسم الثاني من المسرحية نجده وهو على فراش الموت ينصح إبنه Prince Hal أن يحذو حذوه... أن يبدأ حرباً في الخارج تجمع المتخاصمين الانكليز كلهم تحت رايته.

وعن «التوسع إنجيل أميركا»، انظر:

William Appleman Williams, "The Frontier Thesis and American Foreign Policy," *Pacific Historical Review*, vol. 24, No. 4 (November, 1955), p.383.

من هذا المنطلق يرى بروكس آدامز، أن الولايات المتحدة عاجلاً أم آجلاً ستصبح أمبراطورية على مستوى العالم بأسره وأن حدودها هي حدود العالم. إن كتابه «قانون الحضارة والانحطاط» (١٨٩٦) *The Law of Civilization and Decay* بمجمله تنظير لهذه الحدود العالمية للامبراطورية الأميركية. لقد دعا فيه، فيما دعا، إلى تبني سياسة توسعية جامحة هدفها تحويل آسيا إلى مستعمرة إقتصادية واجتياح كل البلدان الأوراسية. ولم يكن تفسير الرئيسين ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt وودرو ولسون Wodrow Wilson لفكرة الزحف غرباً بأنها فكرة تمدين إلا انطلاقاً من أفكار تيرنر وآدامز، بل إن ولسون اعترف بأن كل ما كتبه عن موضوع الزحف غرباً مستقى منهما.انظر:

Brooks Adams, *The Law of Civilization and Decay* (New York: Macmillan, 1896); Henry W. Berger, ed. *A William Appleman Williams Reader*, op. cit., pp. 92, 96, 97; Brooks Adams, *The New Empire* (New York: The MacMillan Co, 1900), p.96.

ثم إن استعارته عبارة «عالم مهيأ للديمقراطية» من مفردات القدر المتجلي لم تكن تعني إلا عالماً مرشحاً لاستيعابه في المجال الحيوي الأميركي وكانت نظرية تيرنر قبل ذلك أيضاً قد جعلت من الديمقراطية وسيلة لتوسيع الحدود الأميركية عندما فسرت مفهوم الغرب تفسيراً إجتماعياً.

و«الهدف هو بالطبع سحق الضعفاء في أول فرصة متاحة... إن أميركا، شاء العالم أم أبى، مضطرة إلى المنافسة على صدارة العالم، وبكلمة أخرى على عرش الإمبراطورية». أنظر:

Brooks Adams, *America's Economic Supremacy* (Books for Libraries Press, 1971), pp. 80, 104-105.

(١٧٨) Sam W. Haynes &, Christopher Morris, ed. *Manifest Destiny and Empire: American Antebellum Expansionism* (Texas: A&M University Press, 2008), p. 21.

(١٧٩) Frederick Jackson Turner, "The Problem of the West," *The Atlantic Monthly*, September 1896.

في نهاية القرن التاسع عشر صاغ تيرنر الأسس الثقافية/الفلسفية لاستراتيجية «المجال الحيوي» الأميركي المعروفة بنظرية الثغور والتي استعارها النازيون الألمان وأطلقوا عليها اصطلاح Lebensraumpolitik وكان أول من تبناها وطبقها الرئيسان ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt وودرو ولسون Wodrow Wilson، ثم أصبحت قناعة لدى الأجيال السياسية اللاحقة. ويطلق على سياسة المجال الحيوي أحيانا تعبير «إمبريالية الباب المفتوح» Open-Door Imperialism وهي سياسة تسعى إلى توسيع حدود أو تخوم عقيدة التوسع الاقتصادي المنسوبة إلى الرئيس مونرو Monroe. هذه العقيدة لا تفسر كثيراً من مغاليق السياسة الخارجية الأميركية وحسب بل إنها تؤكد على أن سياسة أميركا الأطلسية ليست إلا أطلسةً لعقيدتَي «القدر المتجلي» و«المجال الحيوي» الأميركيتين. فقد صيغ الحلف انطلاقاً من فلسفة الثغور التوسعية، وتعتمده السياسة الخارجية الأميركية أداة لتحقيق المجال الحيوي الأطلسي كما تصوره تيرنر الذي كان يرى أن «أهم ما يميز أميركا هو توسعها وثغورها الحربية التي تتقدم وتزحف بلا نهاية. إن كل تاريخ أميركا في نظر تيرنر هو «تاريخ صنعته هذه الثغور الحربية الزاحفة بالهيمنة الأميركية...فالفحولة الأميركية تتطلب دائماً مجالاً حيوياً أوسع».

Frederick Jackson Turner, *The Significance of the Frontier in American History* (New York: Henry Holt and Co, 1995), pp.1, 33, 59.

وتأكيداً لذلك يقول السناتور توم كونوللي Tom Connolly: «إن إنشاء

حلف الأطلسي يعني زحفنا بعقيدة مونرو إلى قلب أوروبا التي ستصبح للولايات المتحدة لاتينية أخرى».

Robert McMahon and Thomas Paterson (editors), *The Origins of the Cold War: Problems in American Civilization* (Washington D.C.: Heath and Company, 1974), p. 178.

(١٨٠) Acton Griscom (and Robert Ellis Jones), *Historia Regum Britanniae of Geoffrey Monmouth, with contributions to the study of its place in early British History Together with a Literal Translation of the Welsh Manuscript No. LXI of Jesus College, Oxford by Robert Ellis Jones,* (London: Longman, Green and Co.; 1929). see: pp. 99 and the following pages, 163-165, 195.

تعود الفكرة كما يروي الكتاب إلى مؤرخ القرن الثاني عشر جيوفري المونموثي Geoffrey of Monmouth الذي حاول أن يطور المعنى الروماني الفرجيلي للغرب، وأن يعطي بريطانيا ما أعطاه فرجيل لروما، ثم ينقل مركز هذه الإمبراطورية من روما إلى لندن بحجة أن إنكلترا في غرب روما. ولإثبات «نظريته» يتجشم في كتابه **تاريخ ملوك بريطانيا** تلفيق أسطورة طريفة عن شخصية طروادية تدعى بروتوس. ويقول إن بروتوس Brutus هرب من روما إلى اليونان، ثم أبحر من هناك مع آلاف الطرواديين على متن ٣٢٤ سفينة بعد أن استخاروا الإلهة ديانا التي نصحت لهم بالإبحار غرباً إلى حيث تغيب الشمس في جزيرة تحيط بها المياه...الخ، وذلك لإعمار طروادة جديدة. وبعد رحلة أوديسية تفتقر إلى كثير من خيال هوميروس وإبداعه رست هذه السفن في جزيرة تدعى ألبيون Albion. ولكن بروتوس، تخليداً لإسمه، سمّاها (بروتانيا) بريطانيا. ثم بنى مدينة جميلة على ضفاف التيمز Thames سماها طروادة الجديد.

Geoffrey of Monmouth, *The History of the Kings of Britain*, Translation by Sebastian Evans (New York, 1911) 3-23.

وقد كان لأساطير جيوفري. تأثير هائل على الروح الوطنية البريطانية، فقد اعتمدها الملكان هنري السابع وجيمس الأول. كما اعتمدها الخيال الأدبي في قصص الملك لير والملك آرثر. لكن أهم تأثير لها كان التنبؤ بأن بريطانيا سترث إمبراطورية روما وأن الإمبراطورية تزحف غرباً نحو

مغيب الشمس، وأن قدر بريطانيا أن تصبح إمبراطورية وتزحف غرباً. فكما سافر بروتوس كذلك تسافر بريطانيا.

وهناك أساطير أخرى أكثر طرافة تعشش في الثقافة الأنكلو ـ أميركية ولا مجال للتوسع فيها الآن، أهمها أسطورة الأصل القوقازي للبريطانيين الذين زحفوا مع الشمس من القوقاز غرباً إلى بريطانيا، وأسطورة الأصل العبراني للبريطانيين مع انتقال الصخرة الأسطورية التي نام عليها النبي يعقوب ورأى أحلامه «الامبراطورية» من فلسطين إلى بريطانيا غرباً حيث لا تزال هذه الصخرة المنسوبة إلى يعقوب توضع تحت العرش البريطاني عند كل وراثة وتنصيب لهذا العرش، بما في ذلك الملكة الحالية إليزابيت.

(١٨١) كذلك كان معظم قديسي الاستعمار البريطاني للعالم الجديد يؤمنون بأن قدر الإمبراطورية هو الغرب الذي ليس بعده من غرب، وأن من مصلحة بريطانيا غزوه واستعماره والمضي فيه حتى نهاية الأرض. منهم والتر رالي Walter Raleigh ومريده ريتشارد هاكلويت Richard Hakluyt اللذان كانا يعتقدان بأن قدر الإمبراطورية هو الغرب وأن الله أعطى كنعان الجديدة [أميركا] وأهلها لشعبه الإنكليزي كما أعطى كنعان والكنعانيين للإسرائيليين. وقد دعا هاكلويت إلى ترحيل كل فقراء ومجرمي بريطانيا إلى العالم الجديد لهذا الهدف.

Edmond S. Morgan, *American Slavery, American Freedom; The Ordeal of Colonial Virginia* (New York: W. W. Norton & Company, 1975), p. 17; Sir Walter Raleigh, *History of the World* (London, 1836),1. 81, 260; Richard Hakluyt, *A Discourse Concerning Western Planting* (Cambridge, 1877), various places throughout the text (passim).

بينما رأى اللاهوتي پارسون صاموئيل پورشاس Parson Samuel Purchas في اكتشاف العالم الجديد نعمة إلهية لم تظهر إلا بعدما هيأ الله لبريطانيا شروط الإمبراطورية وجعلها شمس الحق التي ستشرق من الغرب لتنير الشرق، وقال فيما قال: «من أجل مملكة المسيح، أخفى الله المعرفة اللازمة للإبحار عن الفرس والمغول والصينيين والتتار والترك. وبهذا أعطانا الله الفرصة للإبحار في كل اتجاه إلى حيث تغيب الشمس ويحل مساء العالم [في إشارة إلى مجيء السيد المسيح]. إن شمس الحق ستشرق من غربنا لتنوّر الشرق».

Hakluytus Posthumus: *Purchas His Pilgrimes: Contayning a History of the World in Sea Voyages and Lande Travells by Englishmen and Others* (20 vols. London: Glasgow, 1905-1907), I, 52-53, 66-67, 74, 87, I64, I73, 207, 25I;

(١٨٢) Charles Caldwell, *Thoughts on the Original Unity of the Human Race* (New York,1830),see pp. 141-142, 144,, 146, 151.

(١٨٣) George Fitzhugh, *Sociology for the South; or, The Failure of Free Society*, (Burt Franklin, n.d.), pp. 32-32, 231, 266 - 267, 278.

عند مناقشة مسألة العبودية في الكونغرس لم يخف كثير من أعضاء مجلس الشيوخ أملهم وعزمهم على إبادة هذه الأعراق، إذ كانت هناك قناعة ثابتة بأن بعض الأعراق اختارها الله للحياة الأبدية، وبعضها للشقاء الأبدي والإبادة. بل سخِر السناتور جون پيتيت John Pettit مما جاء في إعلان الاستقلال عن أن الناس يولدون متساوين، فقال: «ليست هناك كذبة أكبر مما جاء في إعلان الإستقلال عن أن الناس خلقوا سواسية. لندع هذه الأعراق تزول أو تستعبد، فهناك أعراق لا بد من إبادتها أو استعبادها. فدعنا نكنسهم من على وجه الأرض».

Congressional Globe, 33rd Congress, 1st Session, Appendix, February 20, 1845, pp. 212-214.

(١٨٤) *De Bow's Review*, 12 (June 1852), pp. 614-631; *Putnam's Monthly*, 3 (February, 1845) pp.188-184, 191-193;

أما عن اجتياح أوروبا في إطار هذا الهولوكست فقد طالب به عدد من أعضاء مجلس الشيوخ مثل جورج ساندرز George O. Sanders ووليم كوري William Corry وستيفن دوغلاس Stephen A, Douglas مرشح الرئاسة عن الحزب الديمقراطي.أنظر:

Reginals Horsmen, *Race and Manifest Destiny: Origins of American Racial Anglo-Saxonism* (Harvard University Press, 1981), pp.284-285

(١٨٥) Colonel Henry Bouquet to General Amherst, dated 29 June 1763 [63k]; microfilm reel 34/40, item 290. Text file [1k].

وتعبير تقديم الشعوب قرباناً لحضارة العرق السيد ليست استعارة بل عناه قديس التوسع الأميركي جوسيا سترونغ في شاهد ذكرته من قبل شبّه فيه

أميركا بالسيد المسيح وقال إنه عندما ستصبح الولايات المتحدة أعظم إمبراطورية في التاريخ، وتبسط سيطرتها على كل العالم ستقدم لها الأمم والشعوب القرابين كما كان الناس يأخذون الهدايا إلى مهد المسيح.

Josiah Strong, *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis*, op. cit., p. 20.

ومع استخدام معازل الهنود مزابل للنفايات النووية والقمامات الكيماوية السامة وَصف كثير من العلماء الهنودَ الذين يعيشون في هذه المعازل بأنهم صاروا قرابين للمفاعلات النووية والمصانع الكيماوية الأميركية.

Ward Churchill, *A Little Matter of Genocide: Holocaust & Denial in the Americas 1492 to the Present* (City Lights Books, 1997), p 2 and Federal Energy Administration, Office of Strategic Analysis, *Project Independence; A Summary* (Washington, D.C.: US Department of Energy, 1974).

William James, *Full and Correct Account of the Military Occurrences of the Late War Between Great Britain and the United States of America*, (2 vols., London, Printed for the author, 1818), vol. I, pp. 293-296.

(١٨٦) Le Roy R. Hafen, ed. *Ruxton of the Rockies* (Norman: University of Oklahoma Press, 1950), pp.146-149.

(١٨٧) *Ibid.*,

(١٨٨) John F. Fonda, "Early Wisconsin," *Collection of the State Historical Society of Wisconsin* (Madison: Published by the Society, 1907) p. 263.

(١٨٩) *David Crockett, A Narrative of the Life of David Crockett of the State of Tennessee Written by Himself*. (Philadelphia: E. L. Cary and A. Hart, 1834), pp. 43-44.

(١٩٠) *Minutes of the Provincial Council of Pennsylvania From the Organization to the termination of the proprietary Government [Colonial Records]* (16 vols., Harrisburg, 1883-1853), vol. vii, pp. 88-90.

(١٩١) R. G. Carter, *On the Border with Mackenzie; or, Winning West Texas from the Comanches* (Washington: Eynon Company, 1935), pp. 199, 201.

(١٩٢) Congress Joint Committee on the Conduct of the War, 38th Congress, 2nd Session (Washington, 1865): *The Chevingtom Massacre*, Testimony, p. 42; *Massacre of Cheyenne Indians*, Testimony, P. 9. Quoted by Stan Hoig in *Sand Creek Massacre*, (University of Oklahoma Press, 1987), pp. 178-179; *The Chevingtom Massacre* Affidavit, January 16, 1865, p. 53. Quoted by Stan Hoig in *Sand Creek Massacre*, pp.179-180; *The Chevingtom Massacre*, Affidavit, p.67. Quoted by Stan Hoig in *Sand Creek Massacre*, pp. 182-183; *The Chevingtom Massacre*, Affidavit, p. 74; and Sand Creek Massacre, Testimony, p.143. Quoted by Stan Hoig in *Sand Creek Massacre*, p.185; *Massacre of Cheyenne Indians*, Testimony, p. 27. Quoted by Stan Hoig in *Sand Creek Massacre*, p. 189.

(١٩٣) R. Hafen, *Ruxton of the Rockies*, op. cit., pp.146-149.

ولطالما تباهى القادة العسكريون بأنهم أمروا جنودهم بأن يقتلوا الهنود ويسلخوا جلودهم جميعاً، كبيراً وصغيراً، وطفلاً وامرأة، «فبيض القمل لا يفقس إلا القمل» كما أطلقها قاتل هنود كاليفورنيا الشهير H. L. Hall، ومن بعده القائد الأصولي جون شيڤنغتون John Chivington صاحب مذبحة ساند كريك. والغريب أن كل الذين أصروا على فرادة الهولوكست النازي وحصريته باليهود فقط جعلوا من أسباب هذه الفرادة والحصرية وصفَ هتلر لضحاياه بأنهم «قمل».

Frank H. Baumgardner, *Killing for land in early California: Indian blood at Round Valley, 1856-1863* (Algora Publishing (June 2006), p. 90.
Georgio Agamben, *Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life*, Daniel Heller-Roazen [Translator], (Stanford University Press, 1998), 114.

وعن شيڤنغتون ومذبحة ساند كريك أنظر البحث الرائع تحت عنوان «بيض القمل يفقس القمل» Nits Make Lice لكاتي كاين Katie Kane أستاذة الدراسات الهندية والأيرلندية في جامعة مونتانا:

Katie Kane, "Nits Make Lice: Drogheda, Sand Creek, and the Poetics of Colonial Extermination," *Cultural Critique*, No. 42 (Spring, 1999), pp. 81-103.

أما أعضاء الجسد التي يحتفظ بها الجنود والضباط من المجازر فكانت تعتبر غنائم ثمينة يتوارثها الأبناء عن الآباء، جيلاً بعد جيل. وفي هذا يروي المفكر الهندي وورد تشرشل Ward Churchill أن الحركة الهندية في

كولورادو استطاعت أن تزيل فروتي رأس مسلوختين لرجلين هنديين، كانتا تعرضان في مركز تزلج Rocky Mountains كما تعرض رؤوس وجلود الحيوانات المصطادة، وذلك لمتعة الزوار. وقد استغرب المسؤول عن المركز طلب الحركة واستهجانها لهذا العرض وقال مندهشاً، «إن الفروتين معروضتان منذ زمن طويل، وإننا لم نتلق أي اعتراض أو تذمر من أحد». ثم قال إنه يعتز بهما لأنه ورثهما عن جده الذي شارك في مذبحة ساند كريك Sand Creek.

(١٩٤) Ward Churchill, *A Little Matter of Genocide*, op. cit., p.2.

مراجع

BOOKS

Adams, Brooks. *America's Economic Supremacy* (Books for Libraries Press, 1971).

------, *The Law of Civilization and Decay* (New York, Macmillan, 1896).

------, *The New Empire*, (New York, The MacMillan Co, 1900).

------, *America's Economic Supremacy*, (New York, Macmillan, 1900).

Agamben, Georgio, *Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life*, Daniel Heller-Roazen [Translator], (Stanford University Press, 1998).

Allen, Theodore W., *The Invention of the White Race*, vol. I & II(Verso, 1994, 1997).

Almquist, Alan J., *The Other Californians: Prejudice and Discrimination under Spain, Mexico, and the United States to 1920*, (Berkeley, University of California Press, 1971).

Andrewes, Lancelot, *Apospasmatia Sacra or A Collection of*

Posthumous and Orphan Lectures, (London: Printed by R. Hodgkinsonne for H. Moseley, A. Crooke, D. Pakeman, L. Fawne, R. Royston, and N. Ekins, 1657).

Avila, Ines Hernandez. "In Praise of Insubordination, or, What Makes a Good Woman Go Bad?" in *Transforming a Rape Culture*, edited by Emilie Buchwald, et al. (Minneapolis, Milkweed, 1993).

Axtel, James, *Beyond 1492: Encounters in Colonial North America*, (Oxford University Press, 1992).

Bannister, Robert C., *Social Darwinism: Science and Myth in Anglo-American Social Thought*, (Temple University Press, 1970).

Beveridge, Albert J., *The Meaning of the Times, and Other Speeches* (Indianapolis, Bobbs-Merrill, 1908).

Bird, Arthur, *Looking forward, A Dream Of the United States of the Americas in 1999*, (New York, L. C. Childs & Son, 1899).

Bauman, Zygmunt, *Modernity and the Holocaust*, (Cambridge: Polity Press).

Baumgardner, Frank H., *Killing for land in early California: Indian blood at Round Valley, 1856-1863*, (Algora Publishing(June 2006).

Berger, Henry W (editor), *A William Appleman Williams Reader: Selections From His Major Historical Writings*, (Chicago, Ivan R Dee).

Benedict, Ruth Fulton, *Race, Science and Politics*, (Greenwood Pub Group, 1982).

Berenbaum, Michael (editor), *Mosaic of Victims: Non-Jews*

Persecuted and Murdered by the Nazis, (New York, New York University Press, 1990).

Benton, Barbara, *Ellis Island*, (New York, Facts on file, 1987).

Bolt, Christine, *Victorian Attitudes to Race*, (Routledge 2006).

Bonar, James A., *Malthus and His Work*, (London, MacMillan and Co., 1885).

Bradford, Phillip V. and Harvey Blume, *Ota Benga: The Pygmy in the Zoo*, (New York, St Martin's press, 1992).

Bradford, William, *History of Plimoth Plantation* (Boston, Wright & Potter Printing Co., 1898).

Briggs, Laura, *Reproducing Empire: Race, Sex, Science, and U.S. Imperialism in Puerto Rico*, (University of California Press, 2002).

Brigham, Carl Campbell. *A Study of American Intelligence* (Princeton, N.J., Princeton University Press, 1923)

Brown, Janet, *Charles Darwin Voyaging*, (London, Cape 1995)

Bush, George W., *A Charge to Keep*, (New York: Harper Collins Publisher, 2001).

Caldwell, Charles, *Thoughts on the Original Unity of the Human Race* (New York 1830).

Canup, John, *Out of the Wilderness: The Emergence of an American Identity in Colonial New England*, (Middletown. Conn, Wesleyan University Press, 1990).

Carlson, Elof Alex, *The Unfit*, (Cold Spring Harbor, New York: Cold Spring Harbor Press, 2001).

Carlyle, Thomas, *Critical And Miscellaneous Essays*, (London, 1899) vol.4,

Carmack, Robert M., ed. *Harvest of Violence: The Maya Indians and the Guatemalan Crisis,* (University of Oklahoma Press, 1988), cited by David E. Stannard, *American Holocaust: The Conquest of the New World* (Oxford University Press, USA, 1993).

Carter, R. G., *On the Border with Mackenzie; or, Winning West Texas from the Comanches* (Washington: Eynon Company, 1935).

Casas, Bartolome De Las, *A Short Account of the Destruction of the Indies*, (ReadaClassic, 2009).

Cherry, Conrad, (editor), *God's New Israel: Religious Interpretations of American Destiny*, (The University of North Carolina Press, 1994).

Churchill, Ward, *A Little Matter of Genocide: Holocaust & Denial in the Americas 1492 to the Present*, (City Lights Books, 1997).

Crockett, David, *A Narrative of the Life of David Crockett of the State of Tennessee. Written by Himself.* (Philadelphia: E. L. Cary and A. Hart, 1834).

Darwin, Charles, *The descent of Man, and Selection in Relation to Sex*, (Chicago, Rand McNally, 1874).

-----, *The Origin of the Species*, (New York, Appleton and Co., 1881).

-----, *The Variation of Animals and Plants under Domestication* (New York, Appleton and Co, 1883)

Davenport, Charles Benedict, *Heredity in Relation to Eugenics*, (New York, Arno Press, 1972).

Dawidowicz, Lucy, *The War Against the Jews, 1933-1945*, (New York, Holt, Rinehart and Winston, 1975).

Degler, Carl, *In Search of Human Nature*, (New York, Oxford University Press, 1991).

Deutsch, Nathaniel, *Inventing America's "Worst" Family: Eugenics, Islam, and the Fall and Rise of the Tribe of Ishmael*, (Berkeley, University of California Press, 2009).

Dobyns, Henry, *Their Numbers Become Thin*, (University of Tennessee Press, 1983).

Drinnon, Richard, *Facing West: The Metaphysics of Indian-Hating and Empire Building*, (University of Oklahoma Press, 1997).

D'Souza, Dinesh, *The End of Racism, Principal for Multiracial Society*, (New York, The Free Press, 1995),

Dugdale, Richard, *The Jukes: A Study of Crime, Pauperism, Disease and Heredity, and also further Studies of Criminals*, (New York, G. P. Putnam's Sons1891)

Ebersole, Gary L., *Puritan to Postmodern Images of Indian Captivity*, (The University Press of Virginia, 1995).

Edwards, Jonathan, "The latter-day glory, is probably to begin in America" in *Works of Jonathan Edwards*, (Christian Classics Ethereal Library), vol., I.

Ehrlich, Paul & Ann R., John P. Holdren, *Ecoscience: Population, Resources, Environment*, (W.H. Freeman & Co. 1977).

Fancher, Raymond E., *The Intelligence Men: Makers of the IQ Controversy* (New York, W. W. Norton and Company, 1985).

Fish, Stanley, *There's No Such Thing As Free Speech: And It's a Good Thing, Too*, (New York, Oxford University Press, 1994).

Fitzhugh, George, *Sociology for the South; or, The Failure of Free Society*, (Burt Franklin, n.d.).

Fitzpatrick John C., (editor) *Writing of George Washington*, (Washington Government Printing Office, 1936).

Gans, Herbert J., *The War Against the Poor, The Underclass and Antipoverty* Policy (New York, Basic Books, 1995).

Galton, Francis, *Hereditary Genius: An Inquiry into the Laws of Consequences* (New York, World Publishing, 1962).

-----, "Heredity Talent and Character," in Russell Jacoby and Naomi Glauberman. *The Bell Curve Debate, History, Documents, Opinions*, (New York: Times Books, 1995)

Gilman, Sander L. *Jews in Today's German Culture*, (Bloomington, Indian University Press, 1995).

Gomez, Michael Angelo, *Black Crescent: The Experience and Legacy of African Muslims in the Americas*, (Cambridge University Press, 2005).

Gordon, Milton, *Assimilation in the American Life*, (New York, Oxford University Press, 1964), chapter, "Theories of Assimilation, II, Melting Pot."

Grant, Madison, *The Passing of the Great Race*, (New York, Charles Scribner's Sons, 1936).

Gredier, William, *One World, Ready or Not, The Manic Logic of Global Capitalism*, (New York, Simons and Schuster, 1997).

Greenwood, James, *The Seven Curses of London*, (London, Stanley Rivers and Co., 1870).

Griscom Acton and Robert Ellis Jones, *Historia Regum Britanniae of Geoffrey Monmouth, with contributions to the study of its place in early British History Together with a Literal Translation of the Welsh Manuscript No. LXI of Jesus College, Oxford by Robert Ellis Jones*, (London Longmans, Green and Co.; 1929).

Hafen, Le Roy R., (editor), *Ruxton of the Rockies* (Norman: University of Oklahoma Press, 1950).

Hakluyt, Richard, *A Discourse Concerning Western Planting*, (Cambridge, 1877).

Hawkins, Mike, *Social Darwinism in European and American Thought, 1860-1945: Nature as Model and Nature as Threat*, (New York, Cambridge University Press, 1997).

Hoig, Stan, *Sand Creek Massacre*, (University of Oklahoma Press, 1987).

Haynes, Sam W., &, Christopher Morris (editors), *Manifest Destiny and Empire: American Antebellum Expansionism*, (Texas A&M University Press, 2008).

Horsmen, Reginals, *Race and Manifest Destiny: Origins of American Racial Anglo-Saxonism*, (Harvard University Press, 1981).

Jennings, Francis, *The Invasion of America: Indians, Colonialism, and the Cant of Conquest*, (W. W. Norton & Company, 1976).

Jordan, Winthrop D., *White Over Black: American Attitudes Toward the Negro, 1550-1812*, (Chapel Hill, University of North Carolina Press, 1968).

Kaku, Michio & Daniel Axelrod, *To Win a Nuclear War: The Pentagon's Secret War Plans*, (Boston, South End Press, 1987).

Katz, Steven, *The Holocaust in Historical Context:* Volume I*:* *The Holocaust and Mass Death before the Modern Age* (New York, Oxford University Press,1994).

-----"The Uniqueness of the Holocaust: The Historical Dimension," in *Is the Holocaust Unique? Perspectives on Comparative Genocide*, edited by. Alan Rosenbaum (Boulder co: Westview Press, 1996).

Kingsley, Charles, *His Letters and Memories of His Life,* ed. Fanny Kingsley, (London, 1877).

Kingston, John, *The life of General George Washington* (Baltimore, Published by J. Kingston, 1813).

James, William, *Full and Correct Account of the Military Occurrences of the Late War Between Great Britain and the United States of America*, (2 vols., London, Printed for the author, 1818), vol. I.

Jonas, Susanne, *The Battle for Guatemala: Rebels, Death Squads, and U.S. Power*, Latin American Perspectives Series, No 5, (Boulder, Westview Press1991).

Laduke, Winona, *Last Standing Woman*, (Stillwater, MN, Voyager Press, 1997).

Leaming, Hugo P., "The Ben Ishmael Tribe: A Fugitive 'Nation' of the Old Northwest," in Melvin G. Holli and Peter d'Alroy Jones (ed.) *The Ethnic Frontier: Essays in the history of group survival in Chicago and the Midwest*, (Eerdmans, 1977).

Linenthal, Edward, *Preserving Memory: The Struggle to Create America's Holocaust Museum*, (New York: Viking Press, 1995).

Lorimer, Douglas A, *Colour, Class and the Victorians: English Attitudes to the Negro in the Mid-Nineteenth Century*,(Leicester: University of Leicester Press, 1978)

Malthus, Thomas R., *An Essay on the Principle of Population*, (Cambridge, Cambridge University Press, 1992).

Mass, Bonnie, *Population Target: The Political Economy of Population Control in Latin America*, (Toronto: Women's Educational, 1977).

Mather, Cotton, *Magnalia Christi Americana: or, The Ecclesiastical History of New-England, From its First Planting, in the Year 1620, unto the Year of Our Lord 1698*, (Cambridge: Cambridge University Press).

McCulloch, Oscar C., "The Tribe of Ishmael: A Study in Social Degradation," *Proceedings of the National Conference of Charities and Correction, at the Fifteenth Annual Session held in Buffalo, N.Y. July 5-11, 1888*, Edited by Isabel C. Barrows, (Boston, Press of Geo Ellis, 1888).

Means, Russell, *American Indian Movement*, *October 12, 1992* in Ward Churchill, *A Little Matter of Genocide: Holocaust & Denial in the Americas 1492 to the Present*, (City Lights Books, 1997).

Mink, Gwendolyn, *Old Labor and New Immigrants in American Political Development: Union, Party and State, 1875-1920*, (Ithaca, N.Y. Cornell University Press, 1986).

Monmouth, Geoffrey of, *The History of the Kings of Britain*, Translation by Sebastian Evans (New York, 1911).

Morgan, Edmond S., *American Slavery, American Freedom; The Ordeal of Colonial Virginia,*(W. W. Norton & Company, 1975)

Morton, Thomas, *New English Canaan*, (Boston: John Wilson and Son. 1883).

Neel, James V. "Genetic Aspects of Ecology of Disease in the American Indian," in Francisco M. Salzano, *The Ongoing Evolution of Latin American Populations* (Charles C. Thomas, Publisher; 1971).

Newton, Michael and Judy Ann. *The Ku Klux Klan: An Encyclopedia*, (New York: Garland Publishing, Inc. 1991).

Novick, Peter. *The Holocaust in the American Life* (New York, Hughton Miffen, 1999).

Orel, Vitezslav Orel, *Gregor Mendel: The First Geneticist* (Oxford, Oxford University Press, 1996)

Paul, Diane B., *Controlling Human Heredity, 1865 To the Present*, (New Jersey, Humanity Books, 1995).

Pearson, Kar, *The Life, Letters and Labours of Francis Galton*, (London, (Cambridge: Cambridge University Press, 1930).

Perry, Michael W., ed., *The Pivot of Civilization in Historical Perspective: The Birth Control Classic*, (Seattle, Inking Books. 2001).

Posthumus, Hakluytus, *Purchas His Pilgrimes: Contayning a History of the World in Sea Voyages and Lande Travells by Englishmen and Others*, (20 vols. (London: Glasgow, 1905-1907), vol. I.

Quinn, David Beers, *Set Fair for Roanoke: Voyages and Colonies, 1584-1606*, (University of N. Carolina Press, 1985).

Raleigh, Sir Walter, *History of the World*, (London 1836

Reed, Myron, "Tribute to Oscar C. McCulloch," *Proceedings of Charities and Corrections at the Nineteen Annual Session Held in Denver, Colorado*, (George Boston: Ellis,1982).

Ritter, Carl (of Berlin), *Geographical Studies*, translated by William Leonhard Gage, (Boston, Gould and Lincoln, 1863).

Robertson, Ritchie, "Rafael Seligmann's Rubinsteins Versteigerung: The German-Jewish Family Novel before and after the Holocaust," in Harold Bloom, *Literature of the Holocaust* (Chelsea House publishers, 2004).

Roosevelt Theodore , *The Strenuous Life: Essays and Addresses*, (New York, The Century Co., 1900).

-----, *The Wininng of the West* (Lincoln, University of Nebraska Press, 1995) vol. III.

Rosen, Christine, *Preaching Eugenics: Religious Leaders and the American Eugenics Movement*, (New York, Oxford University Press, 2004).

Ross, Edward Alsworth Ross, *The Old World in the New; The Significance of Past and Present Immigration to the American People*, (New York, Century Co., 1914).

Sanger, Margaret, *The Pivot of Civilization*, (New York, Brentano's, 1922).

-----, *Woman and the New Race*, (New York Kessinger Publishing, 2010).

Saxton, Alexander, *The Rise and Fall of the White Republic: Class Politics and Mass Culture in Nineteenth Century America*, (London, Verso Books, 1991).

Schwartz, Barry N., ed., *White Racism*, (New York, Laurel Leaf Books, 1978).

Shearwood, Corinne, "New Evidence for a Late Introduction of Malaria Into the New World, *Current Anthropology*, Vol. 16, No. 1.

Slotkin, Richard, *Regeneration Through Violence: The Mythology of the American Frontier, 1600-1860*, (Middletown, Connecticut: Wesleyan University Press).

Spencer, Herbert, *The Principles of Biology* (New York, Appleton and Company, 1884), vol.I.

-----, *Social Statics*, (New York, Robert Schalkenback Foundation, 1970)

Stannard, David E. *American Holocaust: The Conquest of the New World*, (Oxford University Press, USA, 1993).

-----,"Uniqueness as Denial: The Politics of Genocide Scholarship," published in *Is the Holocaust Unique? Perspectives on Comparative Genocide*, edited by Alan Rosenbaum (Boulder co: Westview Press,1996).

Stern, Alexandra M., *Eugenic Nation: Faults and Frontiers of Better Breeding in Modern America*, (Berkeley: University of California Press, 2005).

Stiffarm, Lenore A. with Phil Lane Jr., "The Demography of Native North America: A Question of American Indian Survival," in: Annette Jaimes, *The State of Native America: Genocide, Colonization, and Resistance* (South End Press 1992).

Stoddard, Lothrop, *The Rising Tide of Color against White World-Supremacy*,(New York, Charles Scribner's Son, 1926).

-----, *Into the Darkness*, (NewPort Beach, California, Noontide Press, 1999).

Stone, William L., *Life of Joseph Brant--Thayendanegea: including the border wars of the American revolution, and sketches of the Indian campaigns of Generals Harmar, St. Clair, and Wayne,* (New York, George Dearborn, 1838).

Strong, Josiah, *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis* (New York, Baker & Taylor for the American Home Missionary Society, 1885).

Takaki, Ronald T. *A Different Mirror: A History of Multicultural America,* (Boston, Little Brown, 1993).

-----, *Iron Cages: Race and Culture in 19th-Century America*, (New York, Alfred A Knopf, 1979).

Tayler, Peter J, *Britain and the Cold War: 1945 as Geopolitical Transition*, (New York, Guilford Publications 1990).

Tayler, Philip, *The Distant Magnet, European Emigration to USA*, (New York, Harper and Row, 1971)

Thorp, Raymond W. Jr. & Robert Bunker, *Crow Killer: The Saga of Liver-Eating Johnson*, (Indiana University Press, 1983).

Trent, William, *Journal of William Trent, May 24, 1763, Pen Pictures of Early Western Pennsylvania*, John W. Harpester, editor, (University of Pittsburgh Press, 1938).

Toland, John, *Adolf Hitler: The Definitive Biography*, (New York, Doubleday & Company, 1976).

Tupper, Martin Farquhar, *Ballads for the Times*, (London, Arthur Hall, Virtue and Co., 1851)

Turner, Frederick Jackson, *The Significance of the Frontier in American History*, (New York, Henry Holt and Co, 1995)

Vilar, Irene, *A Message from God in the Atomic Age*, Translated by Gregory Rabassa. (New York: Pantheon, 1996), pp. 47-48.

Vizenor, Gerald, *Manifest Manners: Postindian Warriors of Survivance,* (University Press of New England, 1994).

Wagenen, Bleeker Van, *Preliminary Report of the Committee of the Eugenic Section of the American Breeders' Association to Study and to Report on the Best Practical Means for Cutting Off the Defective Germ-Plasm in the Human Population*, (American Breeders' Association, 1912).

Waldman, Carl, *Atlas of the North American Indian* (Facts on File Library of American Literature, 1985).

Wallace, Anthony F. C. *The Death and Rebirth of the Seneca* (New York, Alfred A Knopf, 1979).

Walsh, Edmund A. S.J., *Total Power: A Footnote to History*, (New York: Doubleday & Company, 1948).

White, Charles, *An Account of the Regular Gradation in Man, and in Different Animals and Vegetables*, (London, 1799).

Wilson, Peter Lamborn, *Sacred Drift: Essays on the Margins of Islam*, (San Francisco, City Lights Books 1993).

ACADEMIC JOURNALS,(Articles and Essays)

Bauer, Yehuda, "Whose Holocaust?" *Midstreem* (November 1980).

Bergman, Jerry, "Ota Benga: The Story of the Pygmy on Display

in a Zoo," *Creation Research Society Quarterly*, vol. 30, Number 3, December, 1993.

Bobbitt, John Franklin, "Practical Eugenics," *The Pedagogical Seminary*, vol. xvi (1909).

Brace, Charles L., "Pauperism," *The North American Review*, 120 (1875)

Briggs, Laura, "Discourses of 'Forced Sterilization' in Puerto Rico: The Problem with the Speaking Subaltern," *Differences, A Journal of Feminist Cultural Studies*, vol.10 No.2 (1998).

Crosby, Alfred W., "Infectious Disease and the Demography of the Atlantic Peoples,: *Journal of the World History*, vol. 2, No.2 (Fall, 1991).

Dillingham, Brint, "Indian Women and Indian Health Services Sterilization Practices," *American Indian Journal*, 3 (January 1977)

Dobyns, Henry F., "Estimating Aboriginal American Population: An Appraisal of Techniques with a New Hemispheric Estimate," *Current Anthropology*, 7 (1966).

Durand, John D. "Historical Estimates of World Population, An Evaluatuin," *Population and Development Review*, vol. 3 No. 3, (1977).

Editorial, "Killing our future: Sterilization and Experiments,"(editorial), *Akwesasne* Notes 9 (Spring 1977).

Elliot, Charles to Aberdeen, June 15, 1845, Ephraim Douglas Adams (editor), British Correspondence Concerning Texas," *Southwestern Historical Quarterly*, XX (October 1916).

Fitzhugh, George, De Bow's Review, 12 (June 1852); *Putnam's Monthly*, 3 (February, 1845).

Galton, Francis, "Eugenics: Its Definition, Scope and Aims," *American Journal of Sociology*, vol. x; July, 1904; Number 1.

Goddard, Henry H., "Mental Tests and the Immigrant," *The Journal of Delinquency*, vol. II, No. 5 (Sep. 1917).

Hays, Willet M, "Constructive Eugenics," *The American Breeders Magazine*, vol. III, no.1, (1912).

Howe, Lucien, "Presidential Address of the Eugenics Research Association: The Control of Law of Hereditary Blindness," *Euginical News*, (July 1928),

Jarcho, Saul, "Some Observation on Diseas in Prehistoric North America, *Bulletin of the History of Medicine,* Vol. 38, no. 1, (Jan.-Feb. 1964).

Johansen, Bruce E., "Stolen Wombs, Indigenous Women Most at Risk," *Native Americas*, Summer 2000.

----- "Reprise/Force Sterilization," *Native Americas*, Winter 1998.

Kane, Katie, "Nits Make Lice: Drogheda, Sand Creek, and the Poetics of Colonial Extermination," *Cultural Critique*, No. 42 (Spring, 1999).

Kuntu, Del Jones aka Nana, "U.S. Population Control Continues to Kill," *M. O. T. Healthzine*, issue 2.

Laughlin, Harry H., Secretary of the Committee, "Report of the Committee to Study and to Report on the Best Practical Means of Cutting Off the Defective Germ-Plasm in the American Population," *Bulletin* No. 10B: (Cold Spring

Harbor, Long Island, New York, February, 1914).

------. "Foldout on Analysis of Existing Sterilization Laws, 1913" foldout Continuation. *Bulletin*, No. 10A

------. "The Eugenics Exhibit at Chicago, A Description of the Wall-Panel Survey of Eugenics exhibited in the Hall of Science, Century of Progress Exposition, Chicago, 1933-1934,"*Journal of Heredity*, vol. 26m No.4, (1935), pp.155-162.

Macdowell, E. Carlton, "Charles Benedict Davenport, 1866-1944: A Study of Conflicting Influences", *BIOS, A Quarterly Journal of Biology*, vol.17, no.1 (March 1946).

McCurdy, Jack, "Bennett Calls Stanford Curriculum Revision Capitulation to Pressure," *Chronicle of Higher Education*, April 27, 1988.

Moran, Rick, "Food Stamps Crime Wave," *American Thinker*, (June 23, 2011).

Sanger, Margaret, "Is Race Suicide Probable?" *Colliers Magazine*, (August 15, 1925).

Tabori, George, (György Tábori), "Hamlet in Blue," *Theatre Quarterly*. 20, (1975/1976).

Turner, Frederick Jackson, "The Problem of the West," *The Atlantic Monthly*, September 1896.

Wiggam, Albert Edward and Stephen S. Visher, "Needed: Faculty Family Allowances," *Eugenics*, vol. III, No. 12 (December 1930).

Williams, William Appleman, "The Frontier Thesis and American Foreign Policy," *Pacific Historical Review*, vol. 24, No. 4 (November, 1955).

GOVERNMENT DOCUMENTS

Annals of Congress, 16th Congress, 1st session, pp. 1729-30.

British Manuscripts Project, a checklist of the microfilms prepared in England and Wales for the American Council of Learned Societies, 1941-1945. Compiled by Lester K. Born (New York, Greenwood Press [1968]) (reprint of the 1955 edition). Library of Congress Call No.: Z6620.G7 U5 1968.

Colonial Records, *Minutes of the Provincial Council of Pennsylvania From the Organization to the termination of the proprietary Government* [Colonial Records] (16 vols., Harrisburg, 1883-1853), vol. vii.

-----, 68th Congress, 1st session., vol.65. p16. 1924. p.5648.

Congress Joint Committee on the Conduct of the War, 38th Congress, 2nd Session (Washington, 1865): The Chevington Massacre, Testimony.

Congressional Globe, 33rd Congress, 1st Session, Appendix, February 20, 1845.

Congressional Record, 44th Congress, 2nd session, vol. 5, pt. 3, 1877.

Comptroller of the United States, *Investigations Of the Allegations Concerning Indian Health Services* (Washington D,C., Government Printing Office, 4 November 1976).

Federal Energy Administration, Office of Strategic Analysis, *Project Independence; A Summary* (Washington D.C., U/S Department of Energy, 1974).

National Archive, 59/250/22/ID/3-5459, Document number 540.1A1/2. Philander Chase Knox, Letter to Mr. Alfred

Mitchel Inns, Charge d'affairs of Great Britain, July 3, 1912.

59/250/22/10/3-5459 Document number 540.1A1/1. Henry L. Stimson to Philander Chase Knox, June 20, 1912.

National Security Council: Henry Kissinger, "Implications of Worldwide Population Growth for U.S. Security and Overseas Interests," (National Security Council, Washington, D.C. 20506), National Security Study Memorandum 200, April 24, 1974.

State Historical Society of Wisconsin,, *John F. Fonda "Early Wisconsin," Collection of the State Historical Society of Wisconsin*, (Madison: Published by the Society of Wisconsin, 1907).

State Museum of Auchwitz- Birkenau, *Memorial Book: The Gypsies at Auschwitz-Birkenau* (K G Saur Verlag Gmbh & Co., 1993).

U.S. Agency for International Development: "USAID Policy Paper: Population Assistance," (Bureau for Program and Policy Coordination U.S. Agency for International Development, Washington, D.C. September 1982).

U.S. District Courts et al. Katie Relf et al., plaintiffs, v. Casper W. Weinberger et al., defendants [and] National Welfare Rights Organization, plaintiff, v. Casper W. Weinberger et al., defendants, *Federal Supplement: Cases Argued and Determined in the United States District Courts, United States Customs Courts, and Rulings of the Judicial Panel on Multidistrict Litigation*, 372 (District of Columbia, 1974).

U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, *1970 Census Report of the Population Subject Report: Characteristics of American Indian* (Washington DC: Bureau of the Census, June 1971).

---- *Bureau of the Census, 1980 Census Report of the Population Subject Report: Characteristics of American Indian*, (Washington DC: Bureau of the Census, June 1981).

United States War Department, Puerto Rico Census Office: Report on census of Puerto Rico, 1899," (Washington, DC: U.S. G.P.O., 1900), Series: CIS Executive Branch Documents, 1789-1909: no. W4802-1.

ORGANIZATION: Documents

American Philosophical Society

Letter from Charles Benedict Davenport to John Shaw Billing, May 3, 1903: B-D 27, Beginnings Correspondence # 1

Letter from Charles B. Davenport to Alexander Bell, (Sep. 25 1915): B:D 27 Alexander Graham Bell #7

Henry L. Stimson Center

Russell Rumbaugh, "What We Bought: Defense Procurement from FY01 to FY10," (The Henry L. Stimson Center, October, 2011).

Kennedy Institute of Ethics

Georgetown University, Kennedy Institute of Ethics, High School Curriculum Project, Chapter 2, "Carrie Buck and the Lynchburg State Colony."

Massachusetts Historical Society

Michael Wigglesworth, "God's Controversy with New Eng-

land," *Proceedings of the Massachusetts Historical Society*, vol. xii (1871-1873)

National Poverty Center

The University of Michigan, Gerald Ford School of Public Policy. http://npc.umich.edu/poverty/

Population Research Institute,

Colin Mason, "Rwanda to Sterilize 700,000 Men, PRI Pledges to "Work Tirelessly" Against It." February 9, 2011.

Smith College

Margaret Sanger letter to Clarence Gamble, October 19, 1939. Sanger manuscripts.

The Race Betterment Foundation

Proceedings of the first National Conference on Race Betterment, January 8, 9, 10, 11, 12, 1914 (Battle Creek, Michigan: Gage Printing Company, ltd., 1914).

PAPERS

Chicago Tribune

James Robison, "U. S. Sterilizes 25 Percent of Indian Women: Study, 22 May 1977.

The Independent

Theodore Roosevelt, "Expansion and Peace," December 21, 1899.

The Interim, Canada's Life and Family Newspaper

"New Research Reveals Depth of Sterilization Abuse in Peru," March 7 1998.

The Miami Herald

"Sterilization Debate in Peru: Are Some Women Coerced?" January 11, 1998.

The New American

Michael Tennant, "U.S. Funds Rwandan Sterilization Campaign," February 15, 2011.

The New York Times

"A Puerto Rican Sees 'Genocide'," October 31, 1974.

Richmond Times˜Dispatch, (Virginia)

"Delegates Urge Wider Practice of Sterilization," January 16, 1934.

"Welfare Cause for Sterilization," April 6, 1980.

Saint Louis Post˜Dispatch

Paul Wagman, "U. S. Program To Sterilize Millions," April 22, 1977.

The Sunday Telegraph, (London)

Christina Lamb, "Votes for sterilisation threaten Brazilian tribe", September 13, 1998.

The Washington Post

Anthony Faiola,"Peru's Family Planning Under Fire: Critics Allege Poor Women are Coerced to Undergo Sterilization", February 12, 1998.

المؤلف

أستاذ الإنسانيات واللغات الحديثة، ومدير البرنامج العربي في جامعة سَفُك **Suffolk** ببوسطن.

وهو سوري بالمولد، فلسطيني بالاختيار.

لـــــه:

٢٤ كتاباً ألفه أو ترجمه أو حرره. مِن أول هذه الكتب «**عن الشعر والجنس والثورة**» مع الشاعر الراحل نزار قباني (بيروت ١٩٧١)، وآخرها الطبعة الثالثة من كتاب *«The open veins of Jerusalem»* (نيويورك، منشورات جامعة سيراكوس). ومن كتبه باللغة العربية «**أسئلة الشعر**» (بيروت ١٩٧٩)، و«**حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية**» (رياض الريس ــ بيروت ٢٠٠٢)، و«**فكرة أميركا**» (الدار البيضاء ٢٠٠٣)، و«**تلمود العم سام**» (رياض الريس ــ بيروت ٢٠٠٤)، و«**أميركا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنكليزية**» (رياض الريس ــ بيروت ٢٠٠٩) ومن كتبه بالإنكليزية: *Post Gibran* مع الشاعر خالد مطاوع، و*Culture and Hegemony* مع

نصير عاروري، إضافة إلى ٤ مجموعات شعرية للشاعر الراحل محمود درويش مترجمة إلى الإنكليزية.

في أيار / مايو ١٩٨٣، قدّم له ماريو زاكاري نائب رئيس البرلمان الأوروبي وسام أوروبا لجهوده في حوار الحضارات.

ومنير العَكش مؤسس ورئيس تحرير «جسور» التي تصدر بالإنكليزية على شكل كتاب بالتعاون مع منشورات جامعة سيراكوس بنيويورك، كما أنه يشارك في إدارة عدد من مراكز الأبحاث العربية في الولايات المتحدة.

للإتصال: jusoor@aol.com

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ش

ع

غ

ف

ك

ل

فهرس الأماكن

أ

ب

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

The American Eugenicide

400 years of wars against the poor and the weak

بالمصادفة يعثر المؤلف على وثائق أميركية رسمية ترسم بدم بارد خططاً "لقطع دابر نسل ربع نساء العالم القادرات على الحمل"، بينهن ١٤ مليون ضحية أميركية، بشهادة مدير مكتب الحكومة الاتحادية للسكان الدكتور ريمرت راڤنهولت. هذه المذبحة التي تستهدف نسل الملايين من الفقراء والمستضعفين داخل أميركا وخارجها والتي بلغت أوج سعيرها في عهد الرئيس الحالي باراك أوباما، هي موضوع هذا الكتاب. لقد بحث المؤلف في فلسفتها وأخلاقها وتقنياتها وجه ضحاياها ليكشف، كما سيرى القارئ، أنها استمرار لثقافة الإبادات التي عاشت عليها فكرة أميركا المستمدة من فكرة إسرائيل التاريخية على مدى أكثر من ٤٠٠ سنة. لهذا ينهي أبرز الباحثين العرب في الدراسات الأميركية، كتابه هذا بفصل خاص يبين فيه وبشهادات نادرة أن "الهولوكست الأميركي هو السحابة التي أمطرت الهولوكست النازي" كما يقول الفيلسوف الصهيوني ستيڤن كاتز.

شهادات من الكتاب:

- "أولى بنا أن نقتل هؤلاء المنحطين وهم في الأرحام لنتجنب إعدامهم عندما يُخلقون ويصبحون مجرمين أو فقراء معوزين بسبب غبائهم".
وندل هولمز رئيس المحكمة العليا

- "لا بد من السيطرة على خصوبة النساء والرجال والتحكم الصارم بنشاط هذه الخصوبة، وذلك بمعالجة طعام وشراب الشعوب بعقاقير التعقيم وبزرع كبسولة إلكترونية تحت الجلد لا ترفع إلا بإذن رسمي".
جون هولدن المدير الحالي لمكتب السياسة العلمية في البيت الأبيض

- "ملايين الدولارات تخصص لتعقيم مئات آلاف الأميركيين بهدف تحسين النسل.. ولن نفاجأ أبداً إذا ما شرعوا يوماً في تعقيم كل من يكرهون من البشر".
سان فرانسيسكو دايلي نيوز

- "ليس الهولوكست الأميركي تاريخاً مضى وانقضى. إنه واقع يعيشه العالم، وإنه خطر يهدد مستقبل الإنسانية بمصير الهنود الحمر".
وينونا لا دوك المرشحة لمنصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٩٦.




ISBN 978-9953-21-535-8